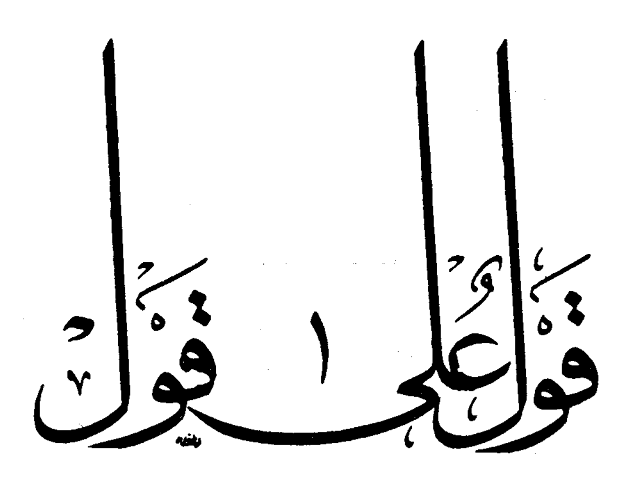
حسن سعيد الكرمي



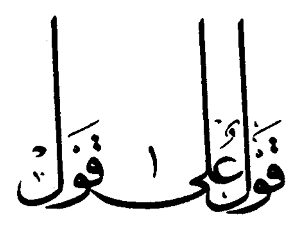
الجزء العاشر

دار لبنان للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

الطبعـة الثانية

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

طُبِعَ بموافقة إذاعة لندن


قول على قول

الإهداء

إلى إخواني العرب

الذين يحرصون على حفظ تراثهم وتمجيد تاريخهم ،

والابقاء على آدابهم ولغتهم ،

أُقدم هذا الكتاب .

حسن سعيد الكرمي



مقــدمــة

أقدم إلى القراء الكرام وإلى محبي الأدب العربي الجزء العاشر من « قول على قول » وهو البرنامج الذي كنت أذيعه من القسم العربي في هيئة الاذاعة البريطانية في لندن . ورجائي أن يجد هذا الجزء كالأجزاء السابقة من العطف والتشجيع ما لاقاه البرنامج الإذاعي في حينه .

وقد تركت ، كالعادة ، الأسئلة والأجوبة على ما هي عليه بدون تغيير كما أذيعت مع بعض الاضافات ، وذكرت مع كل سؤ ال اسم السائل الكريم إثباتاً لصحة السؤ ال .

ولم أقصد بأجوبتي في ذلك البرنامج أن تكون دراسة أدبية ولغوية مستقصاة ، وإنما أردت أن تكون للامتاع والتسلية والتعريف بشيء من ذخائر الأدب العربي وطرائفه .

لندن ١٩٨٠

ح . س . الكرمي



● **السؤال** : من القائل وما المناسبة :

فما اْستَعْصَى على قومٍ مَنالٌ ... إذا الإقدامُ كان لهم رِكابا

فلم أر غير حكم الله حُكماً ... ولم أر غــير باب الله بابا

أحمد بن عبد الله باعباد الضالعي
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
قائد عبده فارع الشنيقي
القطيف ـ سوق الخميس ـ المملكة العربية السعودية

✶

أحمد شوقي

● **الجواب** : هذان البيتان للمرحوم أحمد شوقي من قصيدة في ذكرى المولد النبوي الشريف مطلعها :

سَلُوا قلبي غــداةَ سلا وتابا ... لعلَّ على الجمــالِ له عتابا

ويُسألُ في الحوادثِ ذو صوابٍ ... فهل تَرَكَ الجمالُ له صوابا ؟

وكنتُ إذا سألتُ القلبَ يوماً تولى الدمعُ عن قلبي الجوابا

وتقع القصيدةُ في واحدٍ وسبعين بيتاً كما في الديوان . وبدأها شوقي بالنسيب على عادة الشعراء :

وكنتُ إذا سألتُ القلبَ يومـــاً تولّى الدمـــعُ عن قلبي الجوابا

ولو خُلِقتْ قلوبٌ من حديد لَما حَمَلَت كما حَمَل العـــذابا

وكُلُّ بساطِ عيشٍ سوف يُطْوَى وإن طـــال الزمانُ به وطابا

ولا يُنْبيكَ عن خُلق الليـــالي كَمَن فَقَد الأَحِبَّةَ والصحابا

ثم يذكر أحوال الدنيا وتقلبها فيقول فيها :

ومِن عَجَبٍ تُشَيِّب عاشِقيها وتُفْنِيهم وما بَرِحت كَعَابا

جَنَيْتُ بروضِها ورداً وشوكاً وذُقتُ بكاسِها شَهداً وصابا

فلم أرَ غيرَ حكم الله حكماً ولم أرَ دون بابِ الله بابا

وبعد ذلك يذكر المولد النبوي الشريف :

تجلّى مولدُ الهـــادي وعَمَّت بشائرهُ البَوادِيَ والقِصـابا

وأسْدَت للبريةِ بنتُ وَهْبٍ يداً بيضاء طَوَّقت الرِّقابا

أبا الزهراء قد جاوزتُ قدري بمدحـــك بَيْدَ أنّ لِيَ انتسابا

فما عَرَف البلاغةَ ذو بيانٍ إذا لم يَتَّخِذْكَ له كتـــابا

والبيت الأول المسئول عنه يأتي في الثلث الآخرِ من القصيدة حيث يقول :

وما نَيْــلُ المطالب بالتمني ... ولكنْ تؤخذ الدنيـا غِلابا
وما استعصى على قومٍ منال ... إذا الإقــدامُ كان لهم ركابا

ويقول في حض المسلمين على اتباع سُنَن الرسول ، ويخاطب النبي ﷺ :

ومــا للمسلمين سواكَ حِصنٌ ... إذا مـــا الضُرُّ مَسَّهمُ ونابا
كأنَّ النحسَ حين جرى عليهم ... أطـــار بكل مملكةٍ غُرابا
ولو حَفِظوا سبيلَك كان نُوراً ... وكان من النحوس لهم حجـــابا
بَنَيتَ لهم من الأخلاق رُكناً ... فخانوا الركنَ فانهدم اضطرابا
وكان جنابُهم فيهـــا مَهيباً ... ولَلأخلاقُ أجــدرُ أن تُهابا
فلولاهـــا لساوى الليثُ ذئباً ... وساوى الصـــارمُ الماضي قِرابا



● **السؤال :** من قائلُ هذا البيت وما المناسبة :

عن المرء لا تَسْأَلْ وَسَلْ عن قرينه ... فكُلُّ قَرينٍ بالمقارِنِ يَقْتَدِي

عقلا الحمد الضحوي

حائل — المملكة العربية السعودية

*

عدي بن زيد العبادي

● **الجواب :** المشهور أن قائلَ هذا البيت هو عَدِيُّ بنُ زيد العِبادي ، فهو يقول :

عن المرء لا تسال وأبْـصِر قرينَه ... فإنّ القرينَ بالمُقارِنِ يَقْتَدي

إذا ما رأيتَ الشرَّ يَبْعَثُ أهْلَه ... وقام جُناةُ الشرِّ للشرِّ فَاقْـعُدِ

ويورِدِ بعضُهم البيتَ المسئولَ عنه في جملةِ أبيـاتِ مُعَلَّقةِ طرَفةَ ابنِ العبد . والمعنى مَطروقٌ طرَقَـه عَدَدٌ من الشعراء ، منهم يحيى بن أكثم حيث قال :

وقارِنْ إذا قارنتَ حُرّاً فإنما … يَزين ويُزْري بالفتى قُرَناؤُه

إذا المرءُ لم يَختَرْ صَديقاً لنفسِه … فنادِ به في الناسِ هذا جَزاؤُه

ومنهم عُتبَةُ بنُ هُبَيرة الأسَدي :

إنْ كنتَ تبغي العلمَ أو أهْلَه … أو شاهِداً يُخبِرُ عن غائِبِ

فاخْتَبِرِ الأرضَ بأسمائِها … واخْتَبِرِ الصاحبَ بالصاحبِ

ومنهم أبو العتاهيةِ بقوله :

من ذا الذي يَخفَى عليكَ إذا نَظَرْتَ إلى قَرينِهْ

وعلى الفتى بِطباعِه … سِمَةٌ تلوح على جَبينِهْ

ومنهم أبو محمدٍ اليَزيدي بقوله :

ومَن يُصاحِبْ صاحباً … يُنسَبْ إلى مُستَصحَبِهْ

بِزائِناتِ رُشْدِه … أو شائِناتِ رِيَبِهْ

ورأسُ أمرٍ لِامرىءٍ … خيرٌ له من ذَنَبِهْ

وذو النُهَى ليست تِباعاتُ الهَوَى مِن أرَبِهْ

ومنهم الإمامُ عليّ بن أبي طالب بقوله في الشعر المنسوب إليه :

ولا تَصْحَبْ أخا الجهلِ … وإيّاكَ وإيّاه

فكم مِن جاهلٍ أرْدَى … حليماً حين آخاه

وللشيء مِـن الشيء مقاييسُ وأشْبـاه
يُقـاسُ المرءُ بالمرء إذا ما المرءُ مـاشاه
وللقلبِ على القلبِ دليـلٌ حين يلقاه

ومن القائلين في ذلك أيضاً أبو اللَّحّام التغلبي :

ومـا المرءُ إلاّ حيث يجعل نفسَه
فأبصِرْ بِعَيْنَيك آمْرَاً حيث يَعْمِدُ

ومنهم زيادُ بن زيدٍ العُذري :

ويُخبِرنا عن غائبِ المرءِ هَدْيُه كَفَى الهَدْيُ عَمّا غَيَّبَ المَرْءُ مُخْبِرا

ومنهم عمرو بنُ الحارث الطائي بقوله :

إذا شئتَ أن تَقْتاسَ أمرَ قبيلةٍ وأحلامَها فآنظُر إلى مَن يَقُودُها

ومنهم ذِراعُ الحنَفي ، وقد مرّ بنا شيءٌ منذلك للشاعر عُتَيْبة بن هبيرة :

إن سَرَّكَ العِـلْمُ وأشباهُه وشاهِـدٌ يُنْبيكَ عن غائبِ
فآعتبر الأرضَ بأسمائِهـا وآعتبر الصاحِبَ بالصاحبِ

ومنهم عبدُ اللهِ بنُ معاوية :

آنظُر إلى قُرَناء المرءِ تَعْرِفُـه
بِهِمْ وإنْ أنتَ لم تَكْشِفه عن خَبَرِ

ويَرْوُون بَيْتَي عَدِيّ بن زيد على هذه الصورة، كما في أدب الدنيا والدين للماوردي :

عن المرء لا تَسالْ وَسَلْ عن قرينِه
فكلُّ قَرينٍ بالمُقــارن يَقْتَدي

إذا كنتَ في قومٍ فصاحِب خيــارَهم
ولا تَصْحَب الأردىٰ فتَرْدى مع الرَّدِي

وفي الحديث النبوي : إنما المرءُ بخليله فليَنظـُر امرؤٌ من يُخالِل .

ويقول صالحُ بنُ عبد القُدُّوس :

ولأن يُعـادِيَ عاقِــلاً خيرٌ له
مِن أنْ يَكونَ له صَديقٌ أحْـمَقُ

فـارْبأْ بنفسِكَ أن تُصـادِقَ أحمقاً
إنَّ الصديقَ على الصديـقِ مُصَدَّقُ



● السؤال : من قائل هذا البيت وما المناسبة :

لم أكُن مِن جُناتِها عَلِمَ اللهُ وإني بِحَرِّها اليومَ صالي

الشريف نامي حَمّود آل نامي

متوسطة بدر – بدر – المملكة العربية السعودية



الحارث بن عِباد

● **الجواب** : هذا البيت لشاعرٍ جاهليّ اسمُه الحارثُ بنُ عِباد ، وله ذِكْرٌ في حرب البَسُوس . فإنه لمّا حَدثت حربُ البسوس ، وهي مشهورة في الجاهلية ، اعتزل هو القتالَ ولم يَدْخل فيه مع أحدٍ ، واعتزلتْ معه قبائلُ مِن بكر منها يَشكُر وعِجْل. فنَزع سِنانَ رُمْحِه وحَلّ وتَرَ قوسِه ، ولم يَقبَل أن يُحارِب المُهلهلَ مع بني شَيبان. ثم لَقِيَ المهلهل بُجَيراً ابن الحارث فقتله وقال : بُؤْ بِشِسْعِ نعلِ كليب . فلمّا بلغ الحارث بنَ عِباد مَقتلُ ابنه ثارت بِه الحميةُ ونادى في قومه بالحرب وقال قصيدتَه المشهورة التي كرّر فيها قولَه (قَرّبا مَربط النعامةِ مني) أكثرَ من عشرين مرة (وقال ابن بَدرون : أكثرَ من خمسين مرة) . وكانت النعامةُ فَرَسَه. ولم يكن في زمانها مِثلُها . فَطلبها فجاؤُوه بها فجزّ ناصيتَها وذَنبَها ، وكان أولَ رجلٍ من العرب

يفعل ذلكَ فاتخذته العربُ سُنَّةً لها إذا قُتِل لأحدهم عزيزٌ وأراد أن يَطلُبَ بثأرِه . والبيتُ من هذه القصيدة التي يقول في أولها :

كُلُّ شيءٍ مَصيرُه للزَّوال غيرَ رَبِّي وصالِحِ الأعمالِ
وتَرَى الناسَ يَنظرون جميعاً ليسَ فيهم لذاك بعضُ احتيالِ

ويقول عن مقتل ابنه بُجَير :

قُلْ لِأُمِّ الأَغَرِّ تبكي بُجَيراً حِيلَ بين الرجـال والأموالِ
ولَعَمْـري لَأَبْكِيَنَّ بُجَيراً ما أتى الماءُ مِن رُؤوسِ الجبالِ
لَهْفَ نفسي على بُجَيرٍ إذا ما جالت الخيلُ يومَ حربٍ عُضالِ
يا بُجَيْرَ الخيراتِ لا صُلْحَ حتى نَمْلَأَ البِيدَ مِن رؤوس الرجالِ

ثم يقول في القصيدة :

أصبحَتْ وائِـلٌ تَعِـجُّ من الحربِ عَجيجَ الجمالِ بالأَثْقـالِ
لم أكُن مِن جُناتِهـا علم اللهُ وإني بحرِّهـا اليومَ صالي

ثم يقول عن ابنه :

وأشـابوا ذُؤابتي بِبُجَيْرٍ قَتَلوه ظُلْماً بغيرِ قتـال
قتلوه بِشِسْعِ نَعْـلِ كُلَيبٍ إنّ قتلَ الكريمِ بالشِسْعِ غالي
يا بني تَغلِبٍ قَتَلْتُم قَتيـلاً مـا سَمِعنا بِمِثلِه في الخوالي

وهنا يقول :

قَرِّبـا مَرْبِطَ النعامـةِ مني لَقِحَت حَرْبُ وائلٍ عن حِيالِ

● **السؤال** : من القائل وما المناسبة :

واللهِ لن يَصِلوا إليكَ بجمعِهم   حتى أُوَسَّدَ في الترابِ دَفِينا

منصور سليمان عبد الله

الشارع الرئيسي – المخار – جمهورية اليمن العربية



أبو طالب عم النبي ﷺ

● **الجواب** : هذا البيت لأبي طالب عم النبي ﷺ ، وهو من جملة أبياتٍ لها حكاية جرت في أول عهد الدعوة النبوية ، ورأيت في البداية والنهاية لابن كثير أن قُريشاً جاءت إلى أبي طالب فقالوا له : إن ابنَ أخيكَ هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانْهَهُ عَنّا . فقال لابنه : يا عَقيل ، انطلِق فأتني بمحمد . فقال عقيل : فانطلقتُ إليه فاستخرجتُه من بيتٍ صغير كان فيه . فجاء به عَقيل في الظهيرة في شدة الحر . فلمّا أتاهم قال له أبو طالب : إن بني عمكَ هؤلاء زَعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم ، فانتهِ عن أذاهم . فحلَّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء وقال : « تَرَوْنَ هذه الشمس ؟ » قالوا : نعم . قال : فما أنا بأقدرَ أن أدَعَ ذلكَ منكم على أن تشتعلوا منه بشُعلة . فقال أبو طالب :

والله ما كذَب ابنُ أخي قط ، إرجعوا . وفي حكايةٍ أُخرى عن البيهقي أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بَعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابنَ أخي إنّ قومَك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا، فابْقِ عليَّ وعلى نفسِك، ولا تُحمّلني من الأمر ما لا أُطيق أنا ولا أنت . فاكفُف عن قومك ما يَكرهون من قولك . فظن رسول الله أنْ قد بدا لِعمّه فيه ، وأنه خاذلُه ومُسْلِمُه ، وضَعُف عن القيام معه . فقال رسول الله : « يا عَمّ لو وُضِعَت الشمسُ في يميني والقمرُ في يَساري ما تركتُ هذا الأمر حتى يُظهِره الله أو أهلَكَ في طلبه » . ثم استعبر رسولُ الله فبكى فلمّا ولّى قال أبو طالب حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله : يا ابنَ أخي ! فأقبل الرسولُ عليه ، فقال له : إمضِ على أمرك وافعل ما أحببت ، فواللهِ لا أُسْلِمك لشيءٍ أبداً ، ثم قال أبو طالب في ذلك :

واللهِ لن يَصِلوا إليكَ بجَمْعِهِم
حتى أُوَسَّدَ في الترابِ دَفينا
فامض لِأمرِكَ ما عليكَ غضاضةٌ
أَبْشِر وقَرَّ بذاكَ منكَ عُيونا
وَدَعَوْتَني وعَلِمْتُ أنكَ ناصِحي
فلقد صدقتَ وكنتَ قِدْمُ أمِينا
وعَرَضتَ ديناً قد عَرَفتُ بأنه
مِن خير أديانِ البريةِ دينا
لولا الملامةُ أو حِذاري سُبّةً
لَوَجَدْتَني سَمحاً بذاكَ مُبينا

وذكر ابنُ هشام في السيرة هذه الحادثة ولم يذكر الأشعار . وزاد على ذلك أن قريشاً حينما علمت بأن أبا طالب أبى خِذلانَ ابن أخيه ، مَشوا إليه بعُمارة ابن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عُمارة بنُ الوليد أنْهَدُ فتىً في قريش وأجملهُ ، فَخُذْه فلَكَ عقلُه ونصرُه واتَّخِذه وَلداً فهو لك ، وأسْلِم إلينا ابنَ أخيك هذا الذي قد خالف دينَك ودينَ آبائك ، وفرَّق جماعةَ قومِكَ وسَفَّه أحلامَهم فَنَقْتُلَه ، فإنما هو رجلٌ برَجُل . فقال : واللهِ لبئسَ ما تسومونني ، أتُعطوني ابنَكم أغذُوه لكم وأُعطيكم ابني تقتلونَه ؟! هذا واللهِ ما يكون أبداً . فقال المُطعِمُ بنُ عَدِيّ بن نَوْفل ابن عبد مَناف بن قصيّ : واللهِ يا أبا طالب لقد أنصَفَك قومُك وجَهَدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراكَ تريد أن تقبلَ منهم شيئاً . فقال أبو طالب للمطعم : واللهِ ما أنصفوني ؛ ولكنكَ قد أجمعتَ خِذلاني ومظاهرةَ القومِ عليّ ، فاصنَع ما بدا لك . فخرج القومُ وتركوا أبا طالب . ثم حَقِب الأمرُ وتنابذ القوم وبادى بعضُهم بعضاً وتناكروا . فقال أبو طالب عند ذلك يُعرِّض بالمطعِم بن عدي ويَعُمُّ مَن خذَله من بني عبدِ مناف ومن عاداه من قبائلِ قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم :

ألاَ قُل لعمروٍ والوليدِ ومُطْعِمٍ
ألا لَيت حظي من حِياطَتِكم بَكْرُ
مِن الخُورِ حَبحابٌ كثيرٌ رُغاؤه
يُرَشّ على الساقين مِن بَوْلِه قَطْرُ
أرَى أخَوينْا مِن أبينا وأمِّنا
إذا سُئِلا قالا إلى غيرِنا الأمرُ
أخُصُّ خُصوصاً عبدَ شمسٍ ونوفلاً
هما نَبَذانا مثلَ ما يُنبَذُ الخمرُ

إلى أن يقول :

فقـد سَفُهت أحـلامُهم وعقولُهم
وكانوا كَجَفْرٍ بئس ما صَنَعَت جَفْرُ

ثم إن قريشاً أخذت تـُعَذّب مَن أسلم من القبائل في مكة ، ولكنّ بني هاشم وبني عبد المطلب من عبد مناف اعتصبوا مع أبي طالب ضد أعدائه فمدحهم بقوله :

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لِمَفْخَر   فَعَبْدُ مَنافٍ سِرُّهـا وصميمها
وإن حُصّلت أشرافُ عبدِ منافها   ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُـها
وإن فَخَرت يوماً فإن محمـــداً   هو المصطفى مِن سِرّها وكريمُـها
تداعت قريشٌ غَثُّها وسَمِينُها   علينا فلم تَظْفَر وطاشت حُلومُها

إلى آخره ...



● **السؤال** : من قائل هذين البيتين وما المناسبة ، مع ذكر الأبيــات الأخرى :

وقوسُك قوسُ الجود والوَتَرُ الندى
وَسَهْمُك سهم الجود إضْرِب به عُسْري

ولائمةٍ لامتكَ يا جُود في النــدى
ومن ذا الذي يَثْني السحابَ عن القطرِ

هَزّاع محمد خلف
الشرقاط ـ العراق

*

أبو الأسد نُباتة

● **الجواب** : هذان البيتان فيهما تخليط كما ذكرهما السائلُ الكريم. فالبيتُ الأولُ لا يتصل بالبيت الثاني على مــا أذكر لأنه من قصيدةٍ أخرى ولذلك نتركه . أما البيت الثاني فقد رُوي على غير حقيقته والرواية الصحيحة هي :

ولائمةٍ لامتكَ يا فيضُ في الندى فقلتُ لها لن يَقْدَحَ اللَّوْمُ في البحر

وهذا منْ أبيات قالها أبو الأسد نُباتة يمدح الفيضَ بنَ صالح وزير المهدي ، والأبيات هي :

ولائمةٍ لامَتْكَ يافيضُ في النَّــدَى
فقلتُ لها لن يَقْدَحَ اللَّوْمُ في البحرِ

أرادتْ لِتَثني الفيضَ عن عادةِ الندى
ومَن ذا الذي يثني السحابَ عن القطرِ

مواقِـعُ جُودِ الفيضِ في كُلِّ بلدةٍ
مواقِـعُ ماءِ المُزنِ في البَلدِ القَفْرِ

كأنَّ وُفـودَ الفيضِ حين تَحمَّلوا
إلى الفيضِ لاقَـوْا عنده ليلةَ القدرِ

ويقول أحمدُ بنُ ابراهيمَ بن اسماعيل (وكان معاصِراً للبحتري) :

لا تُكثِري في الجُـــود لائمتي   وإذا بَخِـلْتُ فأكْثِري لَوْمي
كُفِّي فَلَسْتُ بحاملٍ أبـــداً   ما عِشْتُ هَمَّ غَدِي على يَوْمي

ويقول يَزيدُ بنُ حَبناء من الأزارقة :

دَعِي اللومَ إنَّ العيشَ ليس بدائمٍ   ولا تَعْجَلي باللَّوْمِ يا أُمَّ عاصِمِ
فإذ عَجِـلَتْ منكِ الملامةُ فـاسْمَعي   مقالةَ مَعْنِيٍّ بِحَقِّكِ عــالِمِ
ولا تَعْذُلينا في الهديةِ إنمـا   تكون الهدايا مِن فُضولِ المغانمِ

ويقول عَدِيُّ بنُ زيد في الجودِ بالمالِ في زمن الحياة :

أعاذِلَ مـــا يُدريكِ أن مَنِيَّتي
إلى ساعةٍ في اليومِ أو في ضُحَى الغدِ

ذَريني فإني إنما لِيَ ما مَضَى
أمامِيَ مِن مـالي إذا خفَّ عُوَّدِي

وصُمَّت لِيقـــاتٍ إليّ مَنِيَّتي
وغُودِرتُ قـد وُسِّدْتُ أم لم أُوَسَّـدِ

ولِلوارثِ الباقي من المالِ فـاتْرُكي
عِتابي ، فإني مُصلِحٌ غـــيرُ مُفسِدِ

ومن أجملِ ما قرأتُ في اللوم على الجود هذه الأبيات لشاعرٍ قديم يقال إنه مُبَشّر بنُ الهذيل الفَزاري كما جاء في معجم الشعراء للمَرزُباني :

وَعاذِلَة هَبّت بليلٍ تلومُني ولم يَغتَمِرْني قبلَ ذلك عَذولُ
تقول أتَئِدْ لا يَدْعُكَ الناسُ مُمْلِقاً وتُزْري بمَن، يا ابنَ الكرام، تَعولُ
فَقُلْتُ أبَتْ نفسٌ عليَّ كريمةٌ وطارقُ ليلٍ غيرَ ذاك يَقولُ
ألم تَعلمي يا عَمْرَكِ اللهَ أنني كريمٌ على حين الكرامُ قليلُ
وإنيَ لا أخزَى إذا قال مُمْلِقٌ سَخيٌّ ، وأخزَى أن يُقالَ بخيلُ
فلا تَتْبَعِي العَيْنَ الغَويَّةَ وانظري إلى عُنْصُرِ الأحسابِ أين يَؤُولُ
ولا تَذْهَبَنْ عَيْناكِ في كُلِّ شَرْمَحٍ له قَصَبٌ جُوفُ العِظام أسِيلُ

عَسَى أن تَمَنَّى عِرْسُهُ أنني لها ... به حين يَشْتَدُّ الزمانُ بَدِيلُ

إذا كنتُ في القومِ الطِوالِ فَضَلْتُهم ... بعارِفةٍ حتى يُقالَ طويلُ

ولا خيرَ في حُسنِ الجسومِ وطُولِها ... إذا لم تَزِن حُسنَ الجسوم عُقولُ

وكائنْ رأينا مِن فُروعٍ طويلةٍ ... تَموتُ إذا لم يُحْيِهِنَّ أصولُ

فإن لا يَكُنْ جسمي طويلاً فإنني ... له بالفعالِ الصّالحاتِ وَصولُ

ولم أرَ كالمَعْروفِ أمّا مَذاقُه ... فَحُلْوٌ وأمّا وَجْهُه فَجَميلُ

وللشاعر عدي بن زيد أبيات في معنى اللوم على الكرم يقول فيها :

وعاذلةٍ هَبَّت بليلٍ تلومني ... فلما غَلَت في اللوْمِ قلتُ لها اقْصِدي

أعاذِلُ إن الجهلَ من لذّة الفتى ... وإن المنايا للرجال بمَرصَدِ

أعاذِلُ ما يُدريك أن منيتي ... إلى ساعةٍ في اليوم أو في ضُحَى الغدِ

ذَريني فإني إنَّ ما لِيَ ما مضى ... أماميَ من مالي إذا خف عُوَّدي

وللوارث الباقي من المال فاتركي ... عِتابي فإني مُصلِح غير مُفسِدِ

إلى آخره.

● السؤال : هل لكم أن تحدثونا عن ابن هَرْمة ؟

نصرت توفيق خريش
عين إبل – لبنان

★

ابن هَرْمة

● الجواب : يطول الكلامُ على الشاعر ابراهيمَ بنِ هَرْمة إذا أرَدْنا استقصاءَ سيرته ، ويكفي أن نذْكُرَ مُجْمَلا قصيراً عنه . فقد وُلد ابراهيم سنة تسعين ، وعاش حتى أسَنّ ، وأنشد أبا جعفرِ المنصور في سنة ١٤٠ هجرية . وكان يَعيش في المدينة . وترجَم له صاحبُ الأغاني وصاحبُ كتاب الشعر والشعراء وغيرُهما . ويُعَدّ ابنُ هرمة مِن ساقةِ الشعراء كابنِ ميادة . وكان مولَعاً بالشراب . ولمّا ولي أبو جعفرِ المنصور قَدِم عليه ابراهيم ومَدحه فاستحسنَ شعرَه وقال : سَلْ حاجتك ؟ قال : تكتبُ إلى عاملِ المدينة أنْ لا يُحدّثَني إذا أُتِيَ بي إليه وأنا سكران . فقال المنصور : هذا حَدٌّ من حدودِ الله ، وما كنتُ لأعَطّلَه . قال : فاحْتَلْ لي فيه يا أميرَ المؤمنين . فكتب المنصورُ إلى عامل المدينة : مَن أتاكَ بابنِ هَرْمَةَ وهو سكران فاجلِدْه مئةَ جلدة واجْلِد ابن هَرْمة ثمانين . فلمّا وَصل كتابُ المنصور ،

وعَلِم به الناس ، صاروا يَمُرُّون به وهو سكران ، فيقولُ لهم ، مَن يَشتري ثمانين بمئة ؟ فكانوا يَتركونه وشأنه .

ووجّه المنصورُ رسولاً إلى ابن هرمة ، ودَفع إليه ألفَ دينار وخِلْعة ، ووَصفه له وقال : إنكَ تراه جالساً في موضع كذا في المسجد ، فانتسِبْ له إلى بني أميةَ ومواليهم ، وسَلهُ أن يُنشِدَك قصيدتَه الحائية التي يَمدُح بها عبدَ الواحد بنَ سليان ويقول فيها :

وَجَدْنا غالباً كانت جَناحاً   وكان أبوكَ قادِمةَ الجَناحِ

فإن أنشَدكَها ، فأخرجْه من المسجد واضرِبْ عُنقَه ، وإن أنشَدَك قصيدته اللامية التي يمدحني فيها ويقول :

فَأُمُّ الذي آمَنْتَ آمِنَةُ الرَّدَى   وأمُّ الذي خوَّفْتَ بالثُكْل ثاكِلُ

فادْفع إليه ألفَ الدينار والخِلعة ، ومـا أراه يُنشِدُك غيرَها ، ولا يَتعرَّف بالحائية . فأتاه الرسولُ ، فوجده كما قال المنصور ، فجلس إليه وانتسب له واستنشده قصيدته الحائية في عبد الوهاب بن سليان ، ففَطِن ابراهيمُ للحيلة والمكيدة وقال : ما قلتُ هذه القصيدةَ قَطّ ولا أعرِفها ، وإنما يَحكيها عني مَن يُعاديني ، وإن شئتَ أنشَدتُكَ أحسنَ منها . فقال الرسول : قد شئتُ فهات. فأنشد ابنُ هَرْمة قصيدتَه التي مدح بها أبا جعفرِ المنصور لمّا قدِم عليه وفيها :

له لَحَظاتٌ عن حِفافَيْ سَريرِه   إذا كَرَّها فيها عِقابٌ ونائِلُ
فأُمُّ الذي آمَنْتَ آمِنَةُ الرَّدَى   وأمُّ الذي خوَّفتَ بالثُكْلِ ثاكِلُ

حتى وَصل إلى آخرِها .

ثم قال للرسول : هـات ما أمرَ به أميرُ المؤمنين ، قال : أيُّ شيء هو هذا ؟ قال : دَعْ عنكَ ذا ، فواللهِ ما بعث بك إلاّ أميرُ المؤمنين ، ومعك بِرٌ وكُسْوة ، وأمرَكَ أن تسألَني عن القصيدة ، فإن أنشدتُكَ إياها ضرَبْتَ عنقي ، وإن أنشدتُكَ هذه دَفعتَ إليَّ ما حمَّلكَ إياه . فضَحِكَ الرَّسول ، وتعجَّب من فِراسته ، وقال : صدقتَ لعَمري . ودَفع إليه الألفَ دينار والخِلعة .

وقال أبو نُواس : شاعران شبَّها في بيتين ، ووَضعا التشبيهَ فيهما في غيرِ موضعه ، فلو أُخِذَ بيتُ هذا ووُضِع مع بيتِ هذا ، وبيتُ هذا مع بيتِ هذا لصار مُشبَّهاً به ، وهما قولُ جرير للفرزدق :

وإنكَ إنْ تَهْجُو تميماً وتَرْتَشي تَبابِينَ قَيسٍ أو سُحوقَ العمائمِ
كَمُهْرِيقِ مـاءٍ بالفلاةِ وغَرَّه سَرابٌ أذاعتـه رياحُ السمائمِ

وقولُ ابنِ هرمة :

وإني وتَرْكي نَدَى الأكْرَمينَ وقَدْحِي بكَفِّيَّ زَنْداً شَحاحا
كَتارِكةٍ بيضَهـا بالعَراء ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ أخرى جَناحا

فلو قال جرير :

فإنكَ إنْ تَهْجو تميماً وتَرْتَشي تَبابين قَيسٍ أو سُحوقَ العمائم
كتاركةٍ بيضَهـا بالعَراء ومُلْبِسَةٍ بَيضَ أخرى جَناحا

ولو قال ابنُ هرمة :

وإني وتَرْكي نَدَى الأكرمين وقَدْحي بكَفِّيَّ زَنْداً شَحاحا

كمُهْريقِ مـــاءٍ بالفَلاةِ وغرَّه سَرابٌ أذاعَتْـــه رياحُ السمائم

لـكانا أشبهَ لهما .

ثم إنّ ابنَ هَرْمة تَلافى ذلك من بعد ، فقال :

وإنكَ إنْ أطْـمَعْتَني منكَ بالرّضى وأيْأَسْتَني مِن بعدِ ذلك بالغَضَبْ

كَمُمْكِنَةٍ مِن دَرّها كَفَّ حالِبٍ ودافِقَةٍ من بعدِ ذلك ما حَلَبْ

ومما يُستَجاد مِن شعرِ ابنِ هَرْمةَ قولُه :

قد يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفتى ورِداؤُه خَلَقٌ وجَيْبُ قَميصِه مَرْقوعُ

إمّا تَرَيْني شاحِبـــاً مُتَبذِّلاً كالسيفِ يَخْلُق جَفْنُه فَيَضيعُ

فَلَرُبَّ ليـلةِ لَذَّةٍ قـــد بِتُّها وحرامُها بحلالِهـــا مَدْفُوعُ

ومن أقواله في كَلْبِ صاحبِ الضيافةِ الكريم :

يكاد إذا ما أبصر الضيفَ مُقبِلاً يُكَلِّمُه مِن حُبِّه وهو أعْجَمُ



● **السؤال :** قرأتُ هذين البيتين ولم أعرف قائلهما ولمن قيلا وفي أي عصر :

يا بنتَ خيرِ أبٍ يا أختَ خيرِ أخٍ ... كِنـايةً لهما عن أشرَفِ النَّسَبِ

أُجِلّ ذِكْرَكِ أن تُسْمَيْ مُؤَبَّنةً ... ومَن يَصِفْكِ فقد سمّاكِ للعربِ

علي عبد السميع مسلم

سرت – الجماهيرية العربية الليبية

★

المتنبي

● **الجواب :** هذان البيتان للمتنبي من قصيدةٍ قالها في رثاء أختِ سيف الدولة الحمداني . فقد تـُوفـّيت هذه السيدة في مَيّافارَقِين ، ووَرَدَ خبرُ وفاتِها إلى الكوفة ، وكان المتنبي فيها ، فكتب القصيدة ، وبَعث بها من الكوفة إلى سيف الدولة يُعزّيه بوفاتها سنة ٣٥٢ هجرية . وهذان البيتان هما مطلعُ القصيدة . وتقع في قريبٍ من أربعةٍ وأربعين بيتاً . ومن أبياتها المشهورة قولـُه :

فليتَ طالعةَ الشمسين غائبــةٌ وليتَ غائبـةَ الشمسين لم تَغِبِ

وليتَ عينَ التي آبَ النهارُ بها فِداءُ عين التي زالت ولم تؤُبِ

جعل المتوفاةَ والشمسَ الحقيقيةَ شَمْسَين ، إحداهما طالعةٌ وهي شمسُ النهار والثانية غائبةٌ وهي أختُ سيف الدولة ، فهو يتمنى أن تكونَ شمسُ النهار الطالعةُ هي الغائبةَ وأن تكونَ الشمسُ الثانيةَ طالعةً مكانها . وفي القصيدة من الكلام الفلسفي قولُه :

تخالف النــاسُ حتى لا اتّـفاقَ لهم
إلاَّ على شَجَبٍ والخُلْقُ في الشَّجَبِ
فَقيل تَخْلُصُ نفسُ المرءِ سالمــةً
وقيل تَشْرَكُ جِسْمَ المرءِ في العَطَبِ
وَمَن تَفَكَّرَ في الدنيا ومُهْجَتِه
أقامه الفِكْرُ بـين العَجْـزِ والتَّعَبِ

وللمتنبي بيتٌ فلسفيٌ آخر ، وهو قوله :

هَوِّنْ على بَصَرٍ ما شَقَّ مَنْظَرُه فإنَّمــا يَقَظـاتُ العَيْنِ كالحُـلُمِ

وهذا البيت ، في معناه كما يبدو ، يُشير إلى فكرةٍ سُفسطائيةٍ قديمة إغريقية تقول بأنَّ الحقيقةَ لا وجودَ لها في هذا العالم . ومعرفةُ المتنبي بذلك جاءت عن طريقِ اتصاله بأحدِ المتفلسفة في الكوفة . وكانت الفرقةُ الحسَّانيةُ والفرقة الكَيْسانية من الفرق الإسلامية ، تَـرَيان هذا الرأي ، أي رأيَ الشكِّ في حقيقةِ هذا الوجود . ويقال إنَّ صالحَ بنَ عبد القدوس ألَّف كتاباً سمّاه كتابَ الشك ، ذكر أنَّ مَن قرأه شكَّ فيما كان حتى كأنه لم يكن ، وفيما لم

يكن حق كأنه كان . ويُحكى أن صالحَ بنَ عبد القدوس هذا ، مات له ولدٌ صغير ، فحضر إليه أبو الهُذَيل العَلاّف ومعه ابراهيمُ النظّام، فوجداه يتلظى حُزناً على ولده . فقال له أبو الهذيل : لا أرَى لتحرقِكَ هذا وجهاً ، إذِ الناسُ عندك كالنبات . فقال صالح : يا أبا الهُذَيل ، إنما تحرُّقي على ولدي لأنه لم يَقرأ كتابَ الشكّ . فقال : وما هذا ؟ فقال صالح : كتابٌ وَضَعْتُه ، مَن قرأه شكّ فيما كان حتى كأنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى كأنه كان . فقال له ابراهيم النظّام : فابنِ أنتَ على أنه لم يمت وإن كان قد مات ، وعلى أنه قرأ الكتاب وإن لم يكن قرأه !

وهذه الحكايةُ تذَكّرني بهذه المناسبة بحكايةٍ أُخرى من هذا النوع . فقد دَخَل رجلٌ من الحسّانية وهي فرقةٌ من الرافضة ، على المأمون ، وكان ثُمامةُ ابنُ أشرسَ حاضراً . فقال له المأمون كلِّمْهُ . فقال له ثمامةُ سائلاً : ما تقول وما مَذْهَبُك ؟ فقال الحسّاني: أقول إنّ الأشياءَ كلَّها على التوهم والحِسبان ، وإنما يُدرِك الناسُ منها على قَدْر عقولهم ، ولا حَقّ في القضية . فقام إليه ثُمامةُ ولطمه فقال الحسّاني : يا أميرَ المؤمنين ، يَفعل بي مثلَ هذا في مجلسك؟ فقال له ثُمامة : وما فعلتُ بك ؟ قال : لَطَمْتني . قال : ولعلّي إنما دَهنتُك بالبان ، ثم أنشأ يقول :

ولعلّ آدمَ أمُّنا والأبُّ حوّا في الحسابْ
ولعلّ ما أبصَرْتَ مِن بيضِ الطيورِ هو الغُرابْ
وعساكَ حين قَعَدْتَ قُمتَ وحين جئتَ هو الذهابْ
وعسى البَنَفسِجُ زَنْبَقٌ وعَسَى البَهارُ هو السَّذابْ
وعَساكَ تأكُلُ من ثَراك وأنت تحسَبه كَبابْ !

● **السؤال :** هل المعلقات سبع أم أكثر ، وما ترتيبها الزمني ، وأيها أجود بالترتيب ، وما مطلع كُلّ معلقة ؟

فيصل رشاد ملحم
الدريكيش – سورية



المعلقات

● **الجواب :** اختلف الرواةُ في عدد المعلقات وأصحابها ؛ فمنهم مَن جعلها سَبْعاً وأصحابُها : امرؤ القيس وطَرَفة وزهير ولبيد وعمرو بن كُلثوم والحارثَ بن حِلِّزَة وعنترة . ومنهم من جعلها ثمانياً بإضافة النابغة الذبياني ؛ ومنهم من جعلها عَشراً بإضافة الأعشى وعبيد بن الأبرص . وذكر ابنُ خَلدون عَلقمةَ الفحل من جملةِ سَبعةٍ من أصحاب المُعَلَّقات . وذكر الزوزني في شرحه المعلقات أنها سَبعٌ : لامرىء القيس وطَرَفة وزهير ولبيد وعمرو بن كلثوم وعنترة والحارث بن حِلِّزة ، ولم يُدْخل النابغةَ الذبياني ولا أعشى بكر ، وإنما أضيف هذان الشاعران إلى شرح المعلقات للزوزني على أنهما من أصحاب المعلقات ، فتكون المعلقاتُ بذلك تسعاً . ونَشر النعساني شرحاً للمعلقات وعدّها عَشراً ، وأصحابها امرؤ القيس وطرفة وزهير ولبيد وعمرو

ابن كلثوم وعنترة والحارث بن حِلّزة والنابغة والأعشى وعبيد بن الأبرص. وهذا هو ما أقرّه أيضاً الشيخ مصطفى الغلاييني في شرحه للمعلقات.

والمعلقات قصائدُ اختارها العرب من شعر فحولِ الشعراء وكتبوها بماء الذهب على الحرير ووَضعوها في الكعبة تشريفاً لها، أو إنهم علقوها فيها فسميت بالمعلقات، ولأنها كتبت بماء الذهب على نسيج من الكتان الأبيض المعروف بالقُباطي سُمّيَت بالمُذهّبات. ومع ذلك فقد أنكر بعضُهم أنها كانت تُعلّق بأستار الكعبة، وأقدم من أنكر ذلك أبو جعفر النحاس النحوي. غير أنّ ابنَ عبدِ ربه يقول: وقد بَلَغ مِن كَلَفِ العَرب به (أي بالشعر) أن عَمَدت إلى سبع قصائدَ من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القُباطي، وعَلّقتها بأستار الكعبة، فمنه ما يقال له: مُذَهّبة امرىء القيس ومُذَهّبة زهير. والمُذَهّبات سَبْعٌ، ويقال لها المُعلّقات. هذا ما قاله ابنُ عبد ربه. وقد أيّد هذا القولَ ابنُ رشيق صاحبُ كتاب العمدة، وابنُ خلدون.

أمّا ترتيبُ هذه المعلقات الزمني فغير ميسور بسبب اختلاف الروايات وعدم وجود قيود تاريخية صحيحة. والشيءُ الممكن هو ترتيبُ الشعراء بحسب سِني وفاتِهم تقريباً. فامرؤ القيس توفي سنة ٥٦٥ ميلادية، وطرفة سنة ٥٥٠ أو ٥٥٢، وزهير سنة ٦٣١، والحارث بن حلزة سنة ٥٦٠، ولبيد سنة ٦٨٠، وعمرو بن كلثوم سنة ٦٠٠، وعبيد بن الأبرص سنة ٥٥٥، والنابغة سنة ٦٠٤، وعنترة سنة ٦١٥، والأعشى ٦٢٩. فأقدمهم وفاةً طرفة بنُ العبد ثم عبيد بن الأبرص ثم الحارث بن حلزة ثم امرؤ القيس، ويليهم عمرو بن كلثوم ثم عنترة والنابغة والأعشى وزهير، وآخرهم لبيد بن ربيعة فقد أدرك الإسلامَ وأسلم. ويقال إن الأعشى أدرك الإسلام أيضاً ولم يُسْلِم.

واختلف أدباءُ العرب في أحسنِ المعلقات شِعراً، فمنهم من فضل شعر امرىء القيس، ومنهم مَن فَضّل شعرَ النابغة أو شعر طَرفة أو شعر زهير

أو شعر لبيد أو عمرو بن كلثوم. وقد رتّب أبو عبيدة الشعراء في هذا الترتيب: امرؤ القيس ثم زهير ثم النابغة ثم الأعشى ثم لبيد ثم عمرو بن كلثوم ثم طَرَفة. والمتفق عليه بصورة عامة أن امرأ القيس هو أميرُ الشعراء.

أما مطالع المعلقات فهي كما يلي:

معلقةُ امرِىءِ القيس مَطلَعُها:

قِفا نَبْكِ مِن ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ

بِسِقْطِ اللِّوىٰ بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ومعلقة طَرَفةَ مطلعها:

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ

تَلُوحُ كَباقي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ

ومعلقة زهير مطلعها:

أمِن أمِّ أوفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ بِحَوْمانَةِ الدَّرّاجِ فالمُتَثَلَّمِ

ومعلقةُ لبيد مطلعُها:

عَفَت الديارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بِمِنىً، تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها

ومعلقة عمرو بن كلثوم مطلعها:

ألاَ هُبّي بِصَحْنِكِ فَاَصْبَحينا ولا تُبقي خمورَ الأنْدَرينا

ومعلقة عنترة مطلعُها:

هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ أم هل عَرَفتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ ؟

ومعلقة الحارث بن حِلِّزة مطلعُها :

آذَنَتْنا بِبَيْنِها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثّواءُ

ومعلقة الأعشى ميمون مطلعها :

وَدِّع هُريرةَ إن الركبَ مُرْتَحِلُ وهل تُطيق وَداعاً أيها الرَّجُلُ

ومعلقة النابغة الذبياني مطلعها :

يا دارَ مَيَّةَ في العَلْياءِ فالسَّنَدِ أقوت وطال عليها سالِفُ الأَمَدِ

ومعلقة عبيد بن الأبرص مطلعها :

أَقْفَر مِن أهله مَلْحُوبُ فالقُطَّبِيّاتُ فالذَّنُوبُ

وعند العرب قصائد مشهورة غير المعلقات،مثل المُجَمْهَرات والمُنتقَيات والمذهَّبات والمشوبات والمُلْحَمات وغيرها.فالمُجَمْهرات سبع قصائد لمشاهير الجاهلية من الطبقة الثانية بعد المعلقات ويقال إنها سُمِّيت بالجمهرات تشبيهاً لها بالناقة المُجَمْهَرة وهي المتداخلة الخلق كأنها جمهور من الرمل ، أي إنها عالية الطبقة محكمة السبك ، وأصحابها : النابغة الذبياني وعَبيد بن الأبرص وعَدِي ابن زيد وبِشْر بن أبي حازم وأُمَيّة بن أبي الصلت وخِداش بن زهير والنَّمر ابن تَوْلَب .

والمنتَقَيات قصائد سبع من مختار أشعار العرب في الطبقة الثالثة بعد المعلقات ، وأصحابها المُسَيَّب بن عَلَس والمُرَقَّش الأصغر والمتلمِّس وعروة ابن الورد والمهلهِل بن ربيعة ودُرَيد بن الصمة والمتنخِّل الهذلي .

والمذَهَّبات سبع قصائد في الطبقة الرابعة بعد المعلقات ، وكذلك المراثي والمشوبات والمُلحمات ، وكلها مراتب أولها المعلقات وآخرها المُلحمات . وهذا يوحي بأن المعلقات في الأصل سبع قصائد ، ولا معنى لزيادتها إلى عشر .

● **السؤال** : من القائل وما المناسبة :

يَعِز على الأوس بن تَغلِبَ موقف ... يُسَلُّ عَلَيّ السيفُ منه وأسْكُتُ

وما جَزَعي مِن أن أموتَ وإنني ... لأَعْلَمُ أنَّ الموتَ شيءٌ مُوَقَّـتُ

محمد الصادق شعبان

طريق تنبو – مركز الشيحية – صفاقس – تونس

★

مالك بن طوق

● **الجواب** : هذان البيتان لمالِكِ بن طوقِ التغلبي مِن أبياتٍ وحكاية . أمّا الأبياتُ فمطلعها ، كما في فَـوَاتِ الوَفيات :

أرَى الموتَ بين النِطْعِ والسيفِ كامِناً
يُلاحِظُني مِن حَيْثُ مـــا أتَـلَفَّتُ

أمّا الحـكايةُ فهي أنّ مالكاً هذا كان أحدَ الأشراف والفرسانِ الأجواد ، وكانت له الرَّحْبَةُ المعروفة برحْبَةِ مالِكِ بنِ طوْق ، بناها على الفرات .

وسَببُ ذلك أنَّ هارون الرشيدَ رَكِبَ في حَرّاقةٍ مع نُدمائِه في الفرات ومعهم مالِكُ بنُ طوْق ، فلما دَنت الحرّاقةُ مِن مكانٍ يُقال له الدواليب قال مالك : يا أميرَ المؤمنين لو خَرجْتَ إلى الشّطّ لِنَجوز هذه الدواليب ! قال الرشيد : أحَسْبُك تخافُ هذه ؟ قال : اللهُ يكفي أميرَ المؤمنين كُلَّ محذور . قال : قد تطيَّرتُ بقولك . ثم صَعِد إلى الشطّ . فلما بَلغت الحراقةُ إلى الدواليب دارت دورةً ثم انقلبت بما فيها . فتعجب الرشيد من ذلك . وسَجَد شكراً لله ، وتصدّق بأموالٍ كثيرة ؛ وقال لمالك : وجبَت لك علينا حاجة ، فسل ما تُحِب . فقال : يُعطيني أميرُ المؤمنين هنا أرضاً أبْنيها ، فتُنسَبُ إليّ . قال الرشيد : قد فعلْنا ، وساعدناكَ بالأموالِ والرجال . فلمّا عَمَرها مالِكُ بن طوْق واستوسقت أمورُه فيها ، أنفَذ إليه الخليفةُ يَطلُب منه مالاً ، فتَمَلَّل ودافَع ومانَع وتحصَّن ، وجَمع الجيوش ، وطالت الوقائعُ بينه وبين عَسكر الرشيد ، إلى أن ظَفِر به صاحبُ الرشيد وحَمَله مُكبَّلاً ، ومكث في السجن عَشرةَ أيام ، ثم أمَر بإحضاره في جمع من الرؤساء وأربابِ الدولة . فقبّل الأرضَ بين يَدَي الرشيد ولم يَنطِق . فعَجِبَ الرشيدُ مِن صمْته ، وغاظه ذلك ، وأمَر بضَربِ عُنُقِه ، وبُسِط النِطْعُ وجُرِّد السيفُ وقُدِّم مالك . فقال الوزير : يا مالك ، تكلَّمْ فإن أميرَ المؤمنين يَسمَع كلامَك . فرَفع مالِكٌ رأسَه وقال : يا أميرَ المؤمنين ، أخرِسْتُ عن الكلام دَهشةً ، وقد أُدْهِشتُ عن السلام والتحية ، فأمّا إذا أذِن أميرُ المؤمنين فإني أقولُ : السلامُ على أميرِ المؤمنين ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، الحمدُ للهِ الذي خَلق الإنسانَ مِن سُلالةٍ مِن طين. يا أميرَ المؤمنين ، جَبَر اللهُ بكَ صَدْعَ الدين ولَمَّ بكَ شَعَثَ الأمة ، وأخمَدَ بكَ شِهابَ الباطل ، وأوضحَ بكَ سبيلَ الحَقّ ، إن الذنوبَ تُخرِس الألسنةَ الفصيحةَ وتصدَعُ الأفئدة ، وأيْمُ اللهِ لقد عَظُمت الجريمة وانقطعت الحُجّة ولم يَبْقَ إلاّ عَفوُكَ وانتقامُك ، ثم أنشأ يقول بعد ما تلَفّت يميناً وشِمالاً :

أرى الموتَ بين النِطع والسيفِ كامناً

يُلاحِظني مِن حيث مـــا أتَلَفَّتُ

حتى أتمّ القصيدة .

فبكى الرشيد وعفا عنه .

وفي ثـَمَراتِ الأوراقِ لابنِ حجّة الحموي أنّ الحكايةَ جرَت بين المعتصم وتميم بنِ جميلٍ الخارجي ، وكان هذا قد خرج على المـُعتصِم فجيء به أسيراً ، وجيءَ بالسيفِ والنِطع ، فتكلم الخارجيُّ بكلامٍ يشبه ما أوردناه آنفاً عن مالكِ بن طوق ، ثم أنشد القصيدةَ نفسها . فبكى المعتصم ، وقال إنّ من البيانِ لَسِحْرا ، وعفا عنه . واللهُ أعلم . ويظهر أن حكايةَ مالكِ بن طوق هي الصحيحة ، لأنه يقول :

يَعِزّ على الأوسِ بن تَغْلِبَ موقفٌ ...

ومالكُ بن طوق تَغلبي .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

إذا جــار الأميرُ وحاجبـــاه
وقاضي الأرض أسْرَفَ في القَضاء
فويلٌ ثم ويـــلٌ ثم ويـــل
لقـاضي الأرض مِن قـاضي السماء

مشعل عوض العتيبي
المدرسة المتوسطة – خميس مشيط – المملكة العربية السعودية

★

إذا جار الأميرُ ..

● **الجواب :** كنت أجبتُ عن هذا السؤال في مناسبةٍ سابقة ، وذكرتُ عنه حكايةً فيها هذان البيتان ، ولكنني قرأتُ في أمالي الزّجّاجي حكايةً تختلف عن تلك ، في المناسبة التي قيل فيها هذان البيتان . فقد ذكر الزّجاجي حديثاً عن يعقوبَ بن يُوسفَ الكوفي قال : حَججتُ ذات سنة فإذا أنا برجلٍ عند البيت وهو يقول : أللّهمَّ إغفِرْ لي ، وما أظنُّكَ تفعل . قال فقلتُ :

يا هذا ما أعجبَ يأسَكَ مِن عفوِ الله ، قال : إنّ لي ذنباً عظيماً . فقلت : أخبرني . فقال : كنتُ مع يحيى بن محمد في الموصل ، فأمرَنا يومَ جُمعة فاعْتَرَضْنا المسجدَ ونرى أنـّا قتَلنا ثلاثين ألفاً . ثم نادى المنادي : مَن عَلـّق سَوْطَه على دارٍ فالدارُ وما فيها له . فعلـّقتُ سوطي على دارٍ ودخلتُها فإذا فيها رجلٌ وامرأةٌ وابنان لهما ، فقدّمت الرجلَ فقتلتُه ، ثم قلتُ للمرأةِ : هاتي ما عِندَكِ وإلاّ ألحقتْ إبنيك به . فجاءتني بسبعةِ دنانير . قال فقلتُ : هاتي ما عِندَكِ ! فقالت : ما عندي غيرُها . فقدّمتُ أحدَ ابنيها فقتلتُه ، ثم قلتُ : هاتي مـا عندكِ ، وإلاّ ألحقتُ الآخرَ به . فلما رأت الجِدّ مني قالت : إرْفـَق ، فإن عندي شيئاً كان أوْدَعنيه أبوهما . فجاءتني بدرعٍ مُذْهَبة لم أرَ مثلَها في حسنها . فجعلتُ أقلـّبها فإذا عليها مكتوبٌ بالذهب :

إذا جـار الأميرُ وحاجبـاه
وقاضي الأرضِ أسرف في القضـاء
فويـلٌ ثم ويـلٌ ثم ويـلٌ
لقاضي الأرضِ مِن قـاضي السماء

فسقط السيفُ مِن يدي وارتعدتُ وخرجتُ مِن وَجْهي إلى حيثُ ترَى.

أمـّا الحكايةُ الأخرى عن هذين البيتين فتختلف اختلافاً كـُلـّياً.وخلاصتُها كما جاءت في الجزء الأول من كتاب (قول على قول) ، أنّ رجلاً من أهل اليمن روى أنّ سيلاً عظيماً أقبل على مكانٍ من اليمن في خلافة أبي بكرٍ الصديق ، فكشَف عن بابٍ مُغلقٍ ظـُن في ذلك الوقت أنه كنز . فكتب أهلُ ذلك المكان إلى أبي بكر يستشيرونه ، فجاءهم الجوابُ بأن لا يُحرّكوا ساكناً حتى يُرسِل إليهم التعليماتِ . ثم فـُتِح الباب ، فإذا برجلٍ على سرير ، عليه سبعون

حُلّةٌ منسوجةٌ بالذهب ، وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان :

إذا خـــان الأميرُ وكاتبـــاه
وقاضي الأرض داهَنَ في القضـاء

فويـــلٌ ثم ويل ثم ويـــل
لقـاضي الأرضِ من قـاضي السماء

ووُجِـد عند رأسه سيفٌ أشدُّ خُضرةً من البَقلة ، مكتوبٌ عليه : سيف عادِ بن إرَم . واللهُ أعلم .

ولعلّ الفكرةَ من الحكايات عن الألواح أو الأحجار أو السيوف المنقوشة بأبيات من الشعر أو غيرها هي الإتيان بشيء له قيمة تاريخية حتى يصدقـــه الناس ، ومن ذلك مثلاً ادعاء بعض الأقوام بأن دينهم أو أخلاقهم أو نظام الحكم عندهم ورثوهـا عن أجدادهم من قصائد أثرية قديمـة أو من نقوش على الأحجار أو من ألواح من قديم الزمان . ويقال عن دين المورمون في أمريكا أنه أخذ من ألواح عليها تعاليم الدين أتت من فلسطين ودفنت في أمريكا واكتشفها نبيهم وأخرجها للناس . وكان من عادة بعض العرب أنهم إذا أرادوا أن يقولوا قولاً حكيماً يصدقه الناس فإنهم كانوا ينسبونه إلى لقمان الحكيم أو إلى أرسطو أو أو أفلاطون أو بزرجمهر . واعتادوا أيضاً أن ينسبوا الحكمة البسيطـة إلى الأعراب ، واشتهر بذلك الأصمعي لأنه كانه يؤلف الأشعار والحكايات وينسبها إلى أعرابي أو أعرابية . واحترم العرب القديمَ ، حتى إنهم قسموا السيوف إلى ما كان منها عتيقاً وما كان مُحْدَثاً ، والفرس العتيق عندهم خير الخيول .

● **السؤال** : من القائل وما المناسبة مع نبذةٍ عن حياة الشاعر .

أهاجتكَ الظعائنُ يومَ بانوا بذي الزيّ الجميـل من الأثاثِ

ظعائنُ أسلكَتْ نَقْبَ المُنَقّى تُحَثّ إذا ونت أيَّ احتثاثِ

محمد توفيق ديناوي
الرينة – الناصرة

★

محمد النميري

● **الجواب** : هذان البيتان لشاعرٍ اسمُه محمدٌ النُمَيري ، كان في الدولةِ الأموية في أيام عبد الملك بن مروان والحـَجّاجِ بنِ يوسف ، وكان يُشبب بزينبَ أختِ الحجاج ، وقال فيها قصيدتـَه المشهورة التي كانت أولَ ما قاله ، ومطلعُها :

تَضَوَّع مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ إذ مَشَت

بــــه زَينبٌ في نِسْوَةٍ عَطِراتِ

وقال فيها أيضاً :

طَربْتَ وشاقَتْكَ المَنازِلُ مِن جَفْن
ألاَ رُبَّما يَعْتادُكَ الشوقُ بالحُزْنِ

وقال فيها أيضاً :

أهاجتكَ الضغائنُ يومَ بانوا بِذِي الزِّيِّ الجميلِ من الأثاثِ
ظعائنُ أسلكَتْ نقبَ المُنَقَّى تُحثُّ إذا وَنَتْ أيَّ احتِثاثِ

وكان الحَجّاجُ يتهدده ، فهرب إلى اليمن وقال في ذلك :

أتاني عن الحَجّاجِ والبَحرُ بيننا
عَقارِبُ تَسْري والعيونُ هَواجِعُ

وقال :

وفي الأرضِ ذاتِ العَرضِ عنكَ ابنَ يُوسُفٍ
إذا شِئتُ مَنْأىً لا أبا لَكَ واسِعُ

فإن نِلْتَني حَجّاجُ فاَشْتَفِ جاهِداً
فإن الذي لا يَحفَظُ اللهُ ضائعُ

فَطلَبه الحجّاجُ ولم يتمكن منه ؛ ولكنْ طال على النميري مُقامُه بعيداً غريباً هارباً واشتاق إلى وطنه ، فجاء ودَخل على الحجاج حتى وقَف على رأسِه ، فلمّا رآه الحجاجُ قال له : إيهِ يا نُمَيري ، أنتَ القائل :

فإن نِلْتَني حَجّاجُ فاَشْتَفِ جاهداً

فقال : بل أنا الذي أقول :

أخاف مِن الحجاجِ ما لستُ خائِفاً
مِن الأَسدِ العِرْباضِ لم يَثْنِه ذُعْرُ
أخاف يَدَيه أن تنـــالا مَقاتِلي
بأَبْـيَضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

وأنا الذي أقول :

فها أنا ذا طَوَّفتُ شَرْقاً ومَغْرباً وأبْـتُ وقد دَوَّخْـتُ كُلَّ مكاني
فلو كانت العَنقاءُ مِنكَ تطيرُ بي لَخِلْتُكَ ، إلاَّ أن تَصُدَّ ، تَراني

فتَبَسَّم الحجاج وأمَّنه ، وخَلَّى سبيلَه .

ويقال إن يُوسُفَ بنَ الحكم أبا زينب ، جاء إلى عبدِ الملكِ بنِ مَروان ، لمَّا بَعَث عبدُ الملكِ بالحجاج لحربِ ابنِ الزبير ، وقال له : يا أميرَ المؤمنين إن غلاماً منا قال في ابنتي زينب ما لا يَزال الرجلُ يَقولُ مِثلَه في بنت عَمِّه ، وإنَّ هذا (يعني ابنَه الحجاج) لم يَزَل يَتَتوَّقُ إليه و يَهُمُّ به ، وأنتَ الآنَ تَبْعَثُه إلى ما هناك ، وما آمَنُه عليه . فدَعا عبدُالملك بالحجاج وقال له إن مُحَمَّداً النميريَّ جاري ولا سلطانَ لكَ عليه فلا تَعْرِضْ له .

وكان الحجاجُ وَجَّه بِزَيْنَبَ مع نِساءٍ أخرى إلى الشام لمَّا خَرَج ابنُ الأشعث على الدولة خوفاً عليها . فلمَّا قُتِلَ ابنُ الأشعث كتب الحجاجُ إلى عبدِ الملك بذلك ، وكتب إلى أخته زينب كتاباً يُخبرُهـا الخبر ، وأرسل الكتابين مع رسولٍ له . فأعطاها الرسولُ الكتابَ ، وهي راكبةٌ على بغلةٍ ، ففَضَّت زينبُ الكتابَ لِتقرأه فسَمِعَت البغلةُ قعْقَعةَ الكتابِ فنَفَرت ،

وتردّت زينبُ عنها فاندقّت عُنُقُها وماتت . وقال النميريُّ في رثائها :

لِزَيْنَبَ طَيْفٌ تَعترِيني طَوارِقُه
هُدُوًّا إذا الليلُ ارْجَحَنَّتْ خَوافِقُهْ

سَيَبْكِيكِ مِرْنانُ العَشِيِّ يُجيبُه
لَطيفُ بَنانِ الكفِّ دُرْمٌ مَرافِقُهْ

إذا ما بِساطُ اللَّهْوِ مُدَّ وأُلْقِيت
لِلَذّاتِه أنماطُه ونَمارِقُهْ

وللنُّميري غيرُ هذه الأشعار أشعارٌ يُغَنّى بها في ذكر زينب ، ومنها :

تَشْتُو بمكةَ نَعْمَةً | ومَصِيفُها بالطائفِ
أحْبِبْ بتِلْكَ مَواقِفاً | وبزَيْنَبٍ مِن واقِفِ
وعَزيزةٍ لم يَغْذُها | بُؤْسٌ وجَفْوَةُ حائفِ
غَرّاء يَحكِيها الغَزالُ | بمُقْلَةٍ وسَوالِفِ

ومن شعره الغنائيّ أيضاً فيها قولُه :

ألا مَن لِقَلْبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ، بِحُبِّ المُحِلَّةِ أُخْتِ المُحِلّْ

ومنها :

كأنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبيلَ وريحَ الخُزامى وذَوْبَ العَسَلْ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أنيابِها إذا ما صَفا الكوكبُ المُعْتَدِلْ

● **السؤال :** من القائل :

يا أهلَ بيتِ رسولِ الله حُبّكُمُ فَرضٌ من اللهِ في القرآنِ أنزَلَهُ

عبد النبي عمران علي احمد النعيمي
صُحار

★

الامام الشافعي

● **الجواب :** هذا البيتُ منسوبٌ إلى الإمام الشافعي ، ويقول :

يا آلَ بيتِ رسولِ الله حُبُّكُمُ فَرْضٌ من الله في القرآنِ أنزله
يَكفِيكُم مِن عظيمِ الذِكرِ أنكم مَن لم يُصَلِّ عليكم لا صَلاةَ له

وقولُه : حُبُّكُم فَرضٌ في القرآنِ أنزله ، إشارةٌ إلى الآيةِ الكريمة : قُل لا أسألُكم عليه أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ في القُرْبى. وفي التفسير أنّ القُربى هنا كما قال سعيد بن جُبَيْر هي آلُ الرسول ﷺ . وقال ابنُ عباس : عَجِبتُ أن النبيّ ﷺ لم تكن بطنٌ من قريش إلاّ وله فيهم قَرابة . وعن ابن عباس

أيضاً في قوله تعالى : إلا المودة في القربى يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي ، وإلى هذا القول ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والضحاك . وعن إبن عمر أن أبا بكر قال : ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته واختلفوا في قرابته ، فقيل عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم ، وقيل أهلُ بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا لا في جاهلية ولا في إسلام. وعن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: إني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتابُ الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به ؛ فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهلُ بيتي ، أذكركم اللهَ في أهل بيتي . قال : نساؤه من أهل بيته ؛ ولكن أهلَ بيته من حرمت عليه الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آلُ عليّ ، وآلُ عقيل ، وآلُ جعفر ، وآلُ عباس . ويقول الخازن في تفسيره إن قال قائل إن طلبَ الأجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز ، لقوله تعالى في سورة نوح وغيره من الأنبياء : وما أسألكم عليه من أجر إن أجريَ إلا على ربّ العالمين ، قلتُ : لا نزاعَ في أنه لا يجوز طلبُ الأجر على تبليغ الرسالة ؛ بقي الجوابُ عن قوله : إلا المودة في القربى ، فالجواب عنه من وجهين : الأول معناه لا أطلب منكم إلا هذا ، وهذا في الحقيقة ليس بأجر ومنه قول النابغة :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم ... بهنّ فلولٌ من قراع الكتائبِ

معناه : إذا كان هذا عيبَهم فليس فيهم عيبٌ بل هو مدحٌ فيهم ، ولأنّ المودةَ بين المسلمين أمرٌ واجب ، وإذا كان كذلك في حقّ جميع المسلمين كان أهل البيت أولى ، فقولُه تعالى : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودةَ في القربى ، فالمودةُ في القربى ليست أجراً في الحقيقة لأنّ قرابتَه قرابتُهم ،

فكانت مودّتهم وصلتهم لازمةً لهم ، والوجه الثاني أنّ هذا الاستثناء بكلمة (إلاّ) استثناءٌ منقطع ، وتمّ الكلامُ عند قوله : قُل لا أسألُكم عليه أجْراً ، ثم ابتدأ فقال : إلاّ المودةَ في القربى ، أي لكنْ أذكّرُكم المودةَ في قرابتي الذين هم قرابتكم ، فلا تؤذوهم . وقيل إنّ هذه الآيةُ منسوخةٌ ، وذلك لأنها نزَلت في مكة ، وكان المشركون يؤذون رسولِ الله ﷺ ، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية ، فأمَرَهم فيها بمودّةِ رسولِ الله وصلةِ رَحمه ؛ فلمّا هاجر إلى المدينة وآواه الأنصارُ ونصَروه أحَبّ اللهُ تعالى أنْ يُلحِقَه بأخوانه من النبيين ، فأنزل اللهُ تعالى : قُل ما سألتُكم من أجرٍ فهو لكم ، إنْ أجْريَ إلاّ على الله . فصارت هذه الآيةُ ناسخةً لقوله : قُل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودةَ في القربى . وإلى هذا ذهب الضحاكُ والحسينُ بنُ الفضل . والقولُ بنسْخِ هذه الآية غيرُ مرضي ، لأنّ مودةَ النبي ﷺ وكفّ الأذى عنه ومودةَ أقاربه من فرائضِ الدين ، وهو قولُ السلف ، فلا يجوز القولُ بنسخِ هذه الآية .

أمّا قولُ الشافعي : « مَن لم يُصلّ عليكم لا صَلاةَ له » فهو إشارةٌ إلى أنّ المُسلمَ في الصلاة يقول في ختامِ صلاته في الركوع : اللهم صَلّ على محمد وعلى آلِ محمد ، كما هو معلوم .

وللامام الشافعي أشعارٌ أُخرى في مدحِ آلِ البيتِ منها مثلاً قولُه :

آلُ النبيّ ذريعتي ... وهُمُ إليه وسيلتي

أرجو بأن أُعطَى غداً ... بيدي اليمين صحيفتي

أي إنه يَرْجو لصلاحه ومَحبّته لآلِ البيت وشَفاعَةِ رسولِ الله أن يكونَ من المَرْضيّ عنهم يومَ القيامة ، فيأخذَ صحيفتَه بيمينه ، كما جاء

في القرآن الكريم :«فأمّا مَن أوتيَ كتابَه بيمينه فيقول هاؤمُ اقرأوا كتابيَه إني ظننتُ أني مُلاقٍ حسابيَهْ . فهو في عيشةٍ راضيهْ . في جنةٍ عاليه . قطوفُها دانيَه . كُلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخاليه . وأمّا مَن أوتيَ كتابَه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيَه . »

ورأيت في تفسير ابن كثير قولَه : وقد ثبت في الصحيح أن رسولَ الله ﷺ قال في خطبته في غدير خم: « إني تاركٌ فيكم الثّقلين : كتابَ الله وعِترَتي، وإنهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض » . وفي الصحيح أن الصدّيق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه : واللهِ لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصِل من قرابتي . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس : واللهِ لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم، لأن إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول اللهِ من إسلام الخطاب . وروى الإمام أحمد عن يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا والحُصَين بن مَيْسَرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال حُصَين : لقد لَقيتَ يا زيد خيراً كثيراً : رأيتَ رسول الله ﷺ وسمعتَ حديثَه وغزوتَ معه وصليتَ معه ؛ لقد رأيتَ يا زيد خيراً كثيراً ، حدّثنا يا زيد ما سمعتَ من رسول الله . فقال : يا ابنَ أخي ، لقد كبِر سِنّي وقَدُم عهدي ، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعِي من رسول الله ﷺ ، فما حدّثتكم به فاقبلوه ، وما لا فلا تُكلّفونيه . ثم قال : قام رسول الله ﷺ خطيباً فينا عند ما يُدعى خُماً بين مكة والمدينة ، فحمِد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ ، ثم قال : « أما بعدُ أيها الناس ، إنما أنا بَشَرٌ يوشِك أن يأتيني رسولُ ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين ، أولهما كتاب الله تعالى فيه الهُدَى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » ثم قال : « وأهلُ بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » . فقال حصين لزيد بن الأرقم : ومَن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه أهلَ بيته ؟ قال زيد إن نساءَه لسن من أهل بيته ، ولكن أهلَ بيته مَن حرم عليه الصدقة . قال حصين: ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم .

● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

يُذَكِّرُني الشبابَ جِنانُ عَدْنٍ على جَنّاتِ أنهــارٍ عِذابِ
تُفَيِّءُ ظلَّها نَفَحاتُ ريحٍ تهز متونَ أغصانٍ رطـابِ

مَرْوان صَقر
اللاذقية — سورية

*

ابن الرومي

● **الجواب :** هذان البيتان لابنِ الرومي من قصيدةٍ مَدَح بها عُبَيدَ الله ابنَ عبدِ الله بنِ طاهر ، ومَطلعُها :

يُذَكِّرُني الشَّبابَ هَوانُ عَتْبي وَصدُّ الغانياتِ لَدَى عِتابي

وَيتكرّرُ قولُه ، يُذكّرُني الشبابَ مرّاتٍ ، فهو يقول :

يُذَكِّرُني الشَّبابَ جِنانُ عَدْنٍ على جَنَباتِ أنهـارٍ عِذابِ
تُفَيِّءُ ظِلَّها نَفحاتُ ريحٍ تَهُزُّ مُتونَ أعطافٍ رِطابِ

ويقول :

يُذَكِّرُني الشَّبابَ رياضُ حزْنٍ ترَنَّمُ بينَهـا زُرْقُ الذُبابِ

وكذلك :

يُذَكِّرُني الشبابَ سَراةُ نِهْيٍ نَميرِ الماءِ مُطَّرِدِ الحَبـابِ

وكذلك :

تذَكِّرُني الشبابَ صَباً بَليلٌ رَسِيسُ المَسِّ لاغِبَةُ الرِّكابِ

وفي الآخِر يقول :

يُذَكِّرُني الشَّبابَ وَميضُ بَرْقٍ وسَجْعُ حمامَةٍ وحَنينُ نابِ

فيا أَسَفاً ، ويا جَزَعاً عليه ويا حزَناً إلى يومِ الحسابِ

أأُفْجَعُ بالشَّبابِ ولا أُعزَّى لقد غفَلَ المُعَزِّي عن مُصابي

ولابنِ الرومي أيضاً في تفَجُّعِه على ذَهابِ الشباب :

يا شَبابي وأينَ مني شَبابي آذَنَتْني أيّامُه بانْقِضابِ

لَهْفَ نَفسي على نَعيمي ولَهْوي تحت أفنانِه اللِّدانِ الرِّطابِ

ومُعَزٍّ عن الشَّبابِ مُؤَسٍّ بِمَشيبِ اللِّداتِ والأَصحابِ

قُلْتُ لمّا انتَحَى يَعُدُّ أَساةً مِن مُصابِ شَبابُه كَمُصابي

ليس تَأْسو كلومُ غيري كُلومي ما بِهِ ما بِهِ وما بِيَ ما بي

وَيَرُدُّ الجاحِظُ على الذين يَتفَجَّعون على زوالِ الشباب ويَتَمَنَّوْن لو عادَ إليهم فيقول :

أترْجو أن تكونَ وأنت شيخٌ كما قد كُنْتَ أيامَ الشَّبابِ

لقد كَذَبتْكَ نفسُكَ ليس ثوْبٌ دَريسٌ كالجديدِ من الثيابِ

وفي معنى قولِ ابن الرومي يقول منصورٌ النَّمِري :

ما تَنقَضِي حَسْرَةٌ مني ولا جَزَعٌ

إذا ذَكَرْتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ

أوْدَى الشبابُ وفاتتني بِغِرَّتِهِ

خُطوبُ دَهْرٍ وأيامٌ لها خُدَعُ

ما كنتُ أوفي شبابي كُنهَ غِرَّتِه

حتى انقضى فإذا الدُّنيا له تَبَعُ

تَعَجَّبَتْ أنْ رأتْ أسرابَ دمعته

في حَلْبَةِ الخَدِّ أجْراها حشىً وَجِعُ

أصبحتِ لم تُطْعَمي ثُكْلَ الشباب ولم

تَشْجَيْ بِغُصَّتِه فالعُذْرُ لا يَقَعُ

ما واجهَ الشيبَ مِن عَيْنٍ وإن وَمِقَت

إلاّ لها نَبْوَةٌ عنه ومُرْتَدَعُ

إني لَمُعْتَرِفٌ ما فِيَّ من أرَبٍ

عند الحِسانِ فما للنفسِ تَنْخَدِعُ

قد كِدْتَ تَقضي على فَوْتِ الشبابِ أسىً
لولا تَعَزّيكَ أنّ الأمرَ مُنْقَطِعُ

ما كان أقْصَرَ أيامَ الشبابِ وما
أبْقى حلاوةَ ذكراه التي تَدَعُ

ما كنتُ أوّلَ مَسْلوبٍ شبيبَتَهُ
مَكْسُوَّ شيبٍ ، فلا يَذْهَبْ بك الجَزَعُ

وفي أقوالِ ابنِ الرومي أيضاً في الشباب والشيب :

وإني لأرجو الشَّيْبَ ثم أخافُه
كما يُرْتَجَى شُرْبُ الدَّواءِ ويُحْذَرُ

هو الشيبُ إن يَسْبِقْ فَعَيْشٌ مُبَغَّضٌ
عَلَيَّ وإن يُسْبَقْ فَمَوْتٌ مُقَدَّرُ

إذا شَنِئَت عَينُ امرىءٍ شَيْبَ نفسِه
فَعَيْنُ سِواهُ بالشَّناءةِ أجْدَرُ

ألا أيُّهذا الشيبُ سمعاً وطاعةً
فانتَ لَعَمْري ما حييتُ المُظَفَّرُ

إذا كنتَ تمحو صِبْغَةَ اللهِ قادراً
فانتَ على ما يَصْبُغ الناسُ أقْدَرُ

أبَى الخِطْرُ والحِنّاءُ حَرْبَكَ بعدما
بدا لهما أنْ سوف لا شَكَّ تَظْهَرُ

ومن الذين كانوا يبكون على الشباب كثيراً أبو العتاهية فهو يقول بمعنى قولِ ابنِ الرومي أو بما هو قريبٌ منه :

لَهْفي على وَرَق الشَّباب ... وغُصْنِه الخُضْرِ الرطابِ

ذَهَب الشَّبابُ وبان عني ... غيْرَ مُنْتَظَرِ الأَيابِ

فَلأَبْكِيَنَّ على الشبابِ ... وطيبِ أيامِ التصابي

ولأَبْكِيَنَّ من البِلَى ... ولأَبْكِيَنَّ مِن الخضابِ

إني لآمُلُ أن أُخلَّدَ ... والمَنيَّةُ في طِلابي

والفَرزدق ، كابنِ الرومي وأبي العتاهية ، كان يتشاءم بالشيب ، فهو يقول:

هَل الشَّبابُ الذي قد فات مَردودُ ... أم هـل دواءٌ يَرُدُّ الشيبَ موجودُ

لن يَرْجعَ الشيبُ شُبّاناً ولن يَجِدوا ... عِدْلَ الشبابِ لهم ما أَوْرَق العودُ

ويقول أيضاً :

فَبانَ مني شبابي بعد لَذَّته ... كأنّما كان ضيفاً نازلاً رَحلا

ومن أقوالِ ابنِ الرومي في الشيب :

كَفَى حزَناً أنّ الشبابَ مُعَجَّلٌ ... قَصيرُ الليالي والمَشيبُ مُخَلَّدُ

وعَزّاكَ عن ليلِ الشّبابِ مَعاشِرٌ

فقالوا : نهارُ الشيبِ أهْدَى وأشْمَلُ

فقلتُ : نَهارُ المرءِ أهدَى لِسَعْيِه

ولكنّ ظِلّ الليـلِ أندَى وأبْرَدُ

مَحارُ الفتى شَيْخوخَـةٌ أو مَنِيَّةٌ

ومَرْجوعُ وهّاجِ المصابيـح رِمْدِدُ

ويقول ابنُ الرومي أيضاً في الشباب :

كان الشبابُ وقلبي فيه مُنْغَمِسٌ

مِن لَذّةٍ لستُ أدْري مـــا دَواعِيها

رَوْحٌ على النفسِ منه كان يُبْرِدُها

بَرْدَ النسيم ولا يَنْفَـــكُّ يُحييها

كأنّ نَفْسِيَ كانت منـــه سارحةً

في جَنّةٍ بات ساقي المُزْنِ يَسْقيها

يَمْضي الشبابُ ويَبْقَى مِن لُبـانَتِه

شَجْوٌ على النفسِ لا يَنْفَكُّ يُشجيها

ما كانَ أعْظمَ عندي قَـدْرَ نِعْمَتِه

لِنَفْسِه لا لِحُـلْمٍ كان يُضْبيهـــا

والأقوالُ في الشباب والمشيب أكثرُ من أن تُحْصى في الشِعرِ العربي ،

وأختِم القولَ هنا بأبياتٍ لطيفة للفقيه الزاهد أبي عمران :

ذَهبَ الشبابُ بجَهْلِه وبعارِهِ وأتى المَشيبُ بحِلْمِه ووَقارِهِ
شتّانَ بين مُبَعّدٍ من ربّه بغُروره ومُبَشّرٍ بجواره
ما زلتُ أمْرَحُ بالشبابِ جَهالةً كالطِرْفِ يَمْرَحُ مُعْجَباً بعِذارِهِ
وسَحَبْتُ أثوابَ البطالةِ لاهياً وجَرَرْتُ من بَطَرٍ فُضولَ إزارِهِ
حتى تَقَلَّصَ ظِلُّه فتَكَشَّفَتْ عَوْراتُه وبدا قَبيحُ عَوارِهِ
لم أحظَ منه بطائلٍ غيرِ الأسى وتَنَدُّمٍ مني على أوزارِهِ
والآنَ قد خطَّ المشيبُ بمَفرِقي بمَواعِظٍ والحَقُّ في تَذْكارِهِ
والنفسُ تَرْكَبُ غَيَّها لا تَرْعَوي عنه ولا تُصْغي إلى إنذارِهِ
لَهْفي على عُمْرٍ يَمُرُّ مُضَيَّعاً مُحْصًى عليه بلَيْلِه ونهارِهِ



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

١ ـ والخبزُ كالعنبر الأصلي عندهُمُ

٢ ـ قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهمُ

مبارك عمر اليمني
أبو ظبي – الخليج العربي

عبد الرحمن حمَد النميري
الجممة – السعودية

خليفة عمر البكباك
مصراته – الجماهيرية الليبية



الأخطل

● **الجواب :** هذا شطرٌ من بيتٍ للأخطل الشاعر الأموي ، والبيت من جملةِ أبياتٍ قالها في الهجاء ، وكان في هذا مُقذِعاً ، مع أنه قد عُرِف عنه الترفعُ عن الأقذاع . والأبياتُ كما تُروى هي :

قومٌ إذا استنبح الأَضيافُ كلبَهم   قالوا لِأُمِّهم بُولي على النـــار

فَتَمْنَعُ البَولَ شُحًّا أن تَجودَ به   ومـــا تَبولُ لَهم إلاَّ بمقدار

والخُبْزُ كالعَنْبَرِ الهِنديِّ عِنْدَهُم   والقَمْحُ خمسون إردباً بدينار

ومعهما بيتان آخران هما :

قومٌ إذا أَكَلوا أَخفَوا كلامَهُمُ
وٱسْتَوْثقوا مِن رتاج البابِ والدارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فضلَ نارِهم
ولا تَكُفُّ يَدٌ عن حُرْمَةِ الجارِ

وهذا القولُ من الأخطل تعييرٌ لجرير بقومه ؛ وجَرِيرٌ هو القائل يهجو بني تغلب قومَ الأخطل :

والتَّغْلِبيُّ إذا تنحنح لِلقِرىٰ   حَكَّ ٱستَه وتَمَثَّل الأمثالا

ويقال إن جَريراً لمّا هجاه الأخطلُ بالبيت : قوم إذا استنبح الأضيافُ كلبَهم ... تَوَجَّع من هذا البيت وقال : جَمَع بهذه الكلمة ضروباً من الهجاء والشتم ، منها البخل الفاحش ومنها عُقوق الأبناء لأمهم في ابتذالها دون غيرها، ومنها تقذير الفِناء ومنها السوءة التي ذكرهـا عن الوالدة . وهذا من بيتٍ لم نذكره بين الأبيات .

وممّا هو من قبيل أبيات الأخطل قولُ الذَّيّال بن فُلَيْح الكِناني :

إنّ بَني مُدْلِجِ النَّوْكىٰ بجهلهم   لا يَعْقِدونَ ولا يُوفون للجار

لا يَعطِفون على جارٍ لِمَصْرَعِه   ولا يُبالونَ ما لاقَوا من العار

قومٌ إذا نَبح الأضيافُ كلبُهُم قالوا لِأُمّهِم بولي على النار

وكان العَربُ إذا طال بهم السفر واحتاجوا إلى الطعام والمأوى في الليل يَستَنبحون الكلابَ حتى إذا عوَت عرف أصحابُها بوجود الأضيـــاف فيُضيفونهم . من ذلك مثلاً قولُ المتلمّس من قصيدة :

ومُستَنبِـحٍ تَستَكشِطُ الريحُ ثوبَه
لِيَسْقُطَ عنـــه وهو بالثوبِ مُعْصِمُ

عوَى في سوادِ الليلِ بعد اعتسافِه
لِيَنْبحَ كلبٌ أو لِيَفزَعَ نُوَّمُ

فجاوبه مُستَسْمِعُ الصوتِ للقِرى
له عند إتيانِ المُهبّينَ مَطْعَمُ

يكاد إذا ما أبْصَرَ الضيفَ مُقبِلاً
يُكَلِّمُه مِن حُبّه وهو أعجَمُ

وقد نُسِب هذا الشعر إلى ابنِ هَرْمة . وكنت في مناسبةٍ سابقة ذكرتُ تفصيلاتٍ أُخرى لا مجالَ لذكرها الآن .



● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

أَمْطري لُؤلؤاً جِبالَ سَرَنْدِيب ... وَفِيضي آبارَ تَكْرورَ تِبْرا

عبد الجبار محمود السامراني
سامرا – العراق

★

الشافعي

● **الجواب :** يُنسب هذا البيت إلى الإمام الشافعي من جملةِ أبياتٍ ثلاثة مشهورة وهي :

أَمْطِري لُؤلؤاً جبالَ سَرَنديب ... وفِيضي آبارَ تكرورَ تِبْرا

أَنا إن عِشْتُ لستُ أعدم قوتاً ... وإذا مِتُّ لَسْتُ أعــدم قبرا

هِمَّتي هِمَّةُ الملوكِ ونفسي ... نفسُ حُرٍّ تَرَى المذلّة كفرا

والأبياتُ ليس لها مناسبةٌ كما أعلم ، إلاّ أنْ تكونَ من قبيل الافتخار

بعزةِ النفس والأنَفة عن التكسُّب بأي شيءٍ كان ، كما كان الشعراءُ والأدباءُ يتكسبون على طرقهم الخاصة .

وذكر الشافعي هنا سَرَنديب وتكرور ، لأن الأولى وهي جزيرةُ سَيَلان أو سَيْلان يقال إنها كانت مشهورةً باللؤلؤ ، ولأن الثانيةَ من بلاد السودان إلى الغرب كانت مشهورةً بالذهب . فكأنه يقول إنّ هذا اللؤلؤَ وهذا الذهبَ لا يُغريانِني على إذلالِ نفسي ، لأنني أرى أنَّ ليَ هِمّة الملوك وأن نفسي حُرّةٌ ترى المذلةَ نوعاً من الكُفر بالله . أما سَرَنديب فهي كما قلنا جزيرة سَيْلان المعروفةُ في جَنوب الهند في الطرف الأقصى ، وأصلُ اسمِها سَيَلان ديف أو سَيْلان ديف وديف في لغتهم معناها جزيرة. وقد ذكرَها ابن بَطّوطة في رحلته ووصفها ولكنه – على ما أذكر – لم يتعرض لكثرةِ الجواهر فيها . وحكايةُ الجواهر هذه وكيفيةُ التقاطها بواسطةِ الطير مذكورةٌ في كتابِ ألفِ ليلة وليلة عند الكلام على رحلاتِ السِندباد البحري . وفي ترجمة « لين » Lane لألف ليلة وليلة ذِكرٌ لهذه الجواهرِ ، وتعليقٌ تاريخيٌّ عليها ، فقد نَقل عن الرحّالة الإيطالي المشهور ماركوپولو في الكتابِ الثالث من رحلته قولَه إنّ الجزيرةَ تُنْتِج من الأحجار النفيسة واليواقيت ما هو أثمنُ من أيّ أحجارٍ أو يواقيت في أي جزءٍ من أجزاء العالم ، ومنها السفيرُ والياقوتُ الأصفرُ والجَمَشْت والبَنَفْش وغيرُها من الأحجار الكريمة . والذي تَرْجم رحلة ماركوپولو إلى الانكليزية أضاف إلى ذلك قولَه ، نقلاً عن رحالةٍ آخرَ اسمُه Cordine ، إن الجزيرةَ فيها الزمرد والياقوت والسفير وعينُ الهِر والعقيقُ الأزرق والبنفش وحَجرُ القرفة والعقيقُ وغيرُها . ويقول « لين » إنّ المؤلفين القدماء يَذكُرون عن هذه الجزيرة بصورةٍ خاصةٍ غِناها الطبيعيّ في الجواهر . والذين يُريدون مزيداً عن كيفيةِ سقوط الجواهر واللآلي من السماء باستعمال الطير في هذه الجزيرة فليقرأوا ما جاء عن ذلك في حكاياتِ السندباد البحري في ألف ليلة وليلة .

أما تكرور فهي من بلادِ أفريقيا في جهةِ الجنوب الغربي حول مالي وغانة وما جاورهما. وذكرها صبح الأعشى وقال: أكثرُ ما يُسافر بــه تجارُ المغرب الأقصى إليها الصوفُ والنحاسُ والخرز، ويَخرجون منها بالتِّبْر والخَدَم. وجاء عن الشيخ سعيد الدُّكّالي أنَّ في طاعةِ سلطانها بلادُ مغارةِ الذهب، وهُم هَمَجٌ، وعليهم إتاوةٌ من التِبْر تُحمَل إليه في كل سنة، ولو شاء أخذهم، ولكنّ ملوكَ هذه المملكة قد جرَّبوا أنه ما فُتِحت مدينةٌ مِن هذه المدن (التي في بلادهم) وفشا فيها الإسلام، ونَطق بها داعي الأذان إلّا قلّ بها وجودُ الذهب ثم يتلاشى حتى يفنى.

وقد حُكي في (مسالك الأبصار) عن الأمــير أبي الحسن علي بن أمير حاجب، عن السلطان (مَنْسا موسى) سلطانِ هذه المملكة أنه سأله عند قدومــه الديارَ المصريةَ حاجاً عن معادن الذهب عندهم، فقال: توجــد على نوعين: نوعٍ في زمانِ الربيع يَنبُت في الصحراء، له وَرَقٌ شبيهٌ بالنَّخيل، أصولُه التِبر؛ والثاني يوجَد في أماكنَ معروفةٍ على ضَفّاتِ مجاري النيجر، تُحفَر هناك حفائرُ فيوجَد الذهبُ فيها كالحجارةِ والحَصَى فيؤخَذ، وكلاهما هو المسمى بالتبر. وذُكر عن الشيخ عيسى الزَّواوي عن السلطان (مَنسا موسى) المذكور أنه يُحفَر في معادنِ الذهَب كلُّ حفيرة عُمقُ قامةٍ أو ما يُقاربها، فيوجَد الذهبُ في جَنَباتها. وربما وُجد مُجتمِعاً في سُفل الحفيرة، وأنّ أمماً فيها مملكة من الكفار لا يأخذ منهم جزيةً، إنما يَستَعملُهم في إخراج الذهب مِن معادنه. وذُكِر في (مسالك الأبصار) عن والي مصر عن (منسا موسى) أنّ الذهبَ ببلاده حِمىً له، لا يأخذُه غيرُه. ولا حاجةَ إلى الزيادة فوقَ ما ذكرنا. ولكن يجب أن نُنبِّه إلى كلمة (آبار) في عبارة الشافعي عن آبار تكرور، فإن هذه الآبار هي الحفائرُ التي كانوا يستخرجون منها الذهب كما ذكرنا آنفاً.

ويُنسَب للشافعي في بعض الكتب في إباءِ النفس وعزها هذه الأبيات وهي لغيره :

ولستُ بهيّابٍ لمن لا يهابُني ... ولستُ أرى للمرء ما لا يَرَى لِيا

فإن تَدْنُ مني تَدْنُ منكَ مَودّتي ... وإن تنأَ عني تَلْقَني عنك نائيا

كلانا غَنِيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحن إذا مِتنا أشدُّ تغانيا

ويُنسَب البيتُ الثالث إلى أكثرَ من قائلٍ واحد ، ومنهم الأبَيْرِدِ اليَرْبوعي ، وصاحبُ الأغاني كثيراً ما يُناقض نفسَه في نسبةِ أبياتِ الشعر .

ورأيت في كتاب المضاف والمنسوب للثعالبي قولَه : زعم الجوهريون أن الياقوتَ لا يكون إلاّ من جبل سرنديب في الهند ، وخيرُه الأحمر البهرماني ، ثم الوردي ثم الرُمّاني ، وإذا بلغ البهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وإذا كان وزن الفَصّ الذي يُسَمّى الجَبَل مثقالين قُوّم بمئة ألف دينار ، واشتراه المنصور بأربعين ألفاً . وسأل المقتدر ابن الجصّاص فقال: بِمَ تعرف فضل الياقوت ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين بحسنه وصفائه في العين ورزانته في اليد وبرودته في الفم وصبره على النار ونبوّ المِبرد عنه .



● **السؤال** : من القائل وما المناسبة وما القصيدة :

١) ألم ترَ أنّ المِسكَ لا شيء مثلُه ... وأنّ بياضَ اللـّفتِ حِمْلٌ بدرهم
وأن سوادَ العين لا شكّ نورُها ... وإن بياضَ العين لا شيء فاعلم
٢) ألم ترَ أن البدرَ لا شيء مِثْلُه ... وأن سوادَ الليل لا شيء فاعلم
وأن عبادَ الله بيضٌ وجوههم ... ولا شك أن السودَ أهلُ جهنم

ابراهيم حسين البرغوثي
مؤسسة العنزي — الكويت

★

الحجاج والغلامان

● **الجواب** : لهذه الأبيات حكايةٌ موجودة في كتاب ألف ليلة وليلة ، ولا يُعرف قائلا الأبيـات . والحكاية كما وردت هناك هي أن الحجاج اشترى غلامين ، أحدُهما أسود والثاني أبيض ، وقال لهما في بعض الأيام أن يَمدحَ كلّ واحدٍ منهما نفسَه بشعرٍ ويَذُمّ صاحِبُه . فأنشده الأسود :

أَلم تَرَ أن المسكَ لا شيءَ مثْلُه   وأنَّ بياضَ اللّفت حِمْلٌ بدرهمِ
وأنَّ سوادَ العينِ لا شَكَّ نورُها   وأن بياضَ العين لا شيءَ فاعْلَمِ

وكان السواد عادةً يمدح بالمسك، كما كان المتنبي يقول عن كافورِ الأخشيدي الأسود « أبا المسك » . ثم قال الأبيض :

أَلم تَرَ أن البدرَ لا شيءَ مثْلُه   وأنّ سوادَ الفحم حِمْلٌ بدرهمِ
وأنّ رجالَ اللهِ بيضٌ وجوهُهم   ولا شَكَّ أنّ السودَ أهلُ جهنمِ

وكان العرب يفضلون البياض ويَعُدون ذلك مِن صِفةِ الكرام، كما قال حسان ابن ثابت :

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم   شُمُّ الأنوف من الطراز الأَوَّلِ

وهذا لا خلاف فيه عند العرب . أمّا الذين دافعوا عن السواد فأشهرهم عنترة العبسي ونُصَيب . ورغب العربُ في بعضِ أقوامٍ من السودان كأهل غانة ، ويقول الشريشي في شرح المقامة التاسعة من مقامات الحريري إنّ العربَ كانوا يأتون بالنساء من أهل غانة لما فيها من الخصالِ الكريمة في خَلقِهن ، بالرغم من شدة سوادهن ، وفي خُلقِهنّ فوق المراد من ملاسة الأبدان وحسن العينين واعتدالِ الأنوف وبياض الأسنان وطيب الروائح، ووصف ابنُ الرومي واحدةً منهن فقال من أبيات :

يُذَكِّرُكَ المسكُ والغوالي والنَّدُّ ذواتِ النسيم والعَبَقِ
ليست من العيسِ الأُلُفِ ولا الفُلْجِ ، الشفاهِ الخباثثِ العَرَقِ
يَفتَرُّ ذاك السوادُ عن يَقَقٍ   مِن ثَغرِها كاللآلىءِ النَّسَقِ

ويقول الشريف الرضي في حُبّ السواد :

أحِبُّكَ يا لونَ السوادِ فإنني
رأيتُكَ في العينين والقلب توأما
وما كان سهمُ العين لولا سوادُها
لِيَبْلُغَ حبّاتِ القلوب إذا رَمى
إذا كنتَ تَهوى الظبي ألمى فلا تَلُم
جُنوني على الظبي الذي كُلُّه لَمَى

ولابن مَسْلمة ما يقرب من هذا المعنى :

لام العواذلُ في سوداء فاحمةٍ كأنها في سوادِ القلب تمثالُ
وهام بالخال أقوامٌ وما عَلِموا أني أهيم بشخصٍ كُلُّه خالُ

ويقول نُصَيب وكان أسود :

وسوداء الأديم إذا تبدّت يُرَى ماء النعيم جَرَى عليهِ
رآها ناظري فَصَبا إليها وشِبْهُ الشيء مُنجذِبٌ إليهِ

ويقول ابنُ رشيق :

دعا بكِ الحسنُ فاستجيبي يا مِسْكُ في صِبغَةٍ وطيبِ
تيهي على البيضِ واستطيلي تيهَ شَبابٍ على مَشيبِ
ولا يَرُعْك اسودادُ لونٍ كَمقلةِ الشادنِ الرَّبيبِ

فإنمـــا النورُ عن سوادٍ في أعين الناسِ والقلوبِ

ومما أنشده الجاحظ وأخذه ابنُ رشيق عنه قولـه :

مُشْبِهاتُ الشبابِ والمِسكِ تَفدِيهنّ نفسي من الردى والخطوبِ
كيف يهوى الفتى اللبيبُ وصالَ البيضِ والبيضُ مُشبِهاتُ المشيبِ

وأنشد الجاحظ أيضاً ، وهو قريب من قول الغلام الأسود :

وإن سوادَ العين في العين نورُها وما لِبياضِ العين نورٌ فَيُعْلَم

وأخذه أبو الطيب فقال في كافور :

فجاءت به إنسانَ عين زمانه وخَلَّت بياضاً خلفَها وأماقيا

ولابن الجهم :

وغائبٍ للسُّمرِ من جهـــله مُفَضِّلٍ للبيضِ ذي مَحْكِ
قولوا له عني أمـــا تستحي مَن يجعلُ الكافورَ كالمِسكِ ؟

وقال عليّ بن العباس بن الأحنف معاصر ابن الجهم :

أُحِبُّ النساءَ السودَ من أجل تَكْتُمٍ
ومن أجلها أحببت ما كانَ أسودا
فجئني بمثلِ المسكِ أطيبَ نكهـة
وجئني بمثلِ الليـل أطيبَ مرقـدا

ولا نريد هنا أن نذكر ما قاله عنترة عن سواده ، فقد أسهبنا القولَ في ذلك في مناسبةٍ سابقة ، ولكن نذكر ما قاله نصيب في سواده ، ومنه :

فإن يكُ من لوني السوادُ فإنه
لكالمِسك لا يَروَى من المسك ذائقُه
وما ضَرَّ أثوابي سوادي وتحتها
لِباسٌ من العلياء بيضٌ بنائقُه

وفضلوا السوادَ على البياض ، ومن ذلك قول الشريف الرضي :

أحِبّك يا لونَ السواد فإنني رأيتك في العينين والقلب توأما
وما كان سهمُ العين لولا سوادها ليبلغ حبات القلوب إذا رمى
إذا كنتَ تهوى الظبيَ ألمى فلا تلُم جنوني على الظبي الذي كله لمى

ويقول ابن رشيق :

دعا بكِ الحسنُ فاستجيبي يا مِسكُ في صِبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي تِيهَ شبابٍ على مشيب
ولا يَرُعكِ اسوداد لونٍ كمقلة الشادن الربيب
فإنما النور عن سوادٍ في أعين الناس والقلوب

وقال ابن رشيق إن هذا المعنى أخذه من شعر أنشده الجاحظ ، وهو :

مشبهات الشباب والمسك تفديهن نفسي من الردى والخطوب
كيف يهوى الفتى اللبيب وصال البيض والبيض مشبهات المشيب

وأخذه أيضاً من بيتٍ من الشعر أنشده الجاحظ ، وهو :

وإن سواد العين في العين نورها وما لبياض العين نور فيعلم

● **السؤال** : من القائل :

احفظ لسانك أيها الإنسانُ لا يَلْدَغَنَّكَ إنـــه ثُعْبانُ

كم في المقابرِ مِن قتيلِ لسانِه كانت تهابُ لقاءه الشُجعانُ

محمود سعيد محمد

البلدية – الكويت

★

علي بن أبي طالب

● **الجواب** : وجدتُ هذين البيتين في بعضِ المصادر منسوبين إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وراجعتُ ديواناً مطبوعاً له فلم أجد فيه هذين البيتين ، ولا أدري مبلغَ صحةِ هذه النسبة. والمعنى في البيتين مطروقٌ في الشعر العربي ، كقول يعقوب بنِ السكيت كما جاء في ابن خِلكان :

يُصابُ الفتى من عَثرةٍ بلسانه

وليس يُصاب المرء من عَثرة الرِجْلِ

فَعَثْرَتُه في القولِ تُذْهِبُ رأسَه
وعَثْرَتُه بالرجلِ تبرا على مَهْلِ

وهذان البيتان منسوبان في العقد الفريد إلى جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب . ويقول صالحُ بنُ عبدِ القُدُّوس :

لا تَنْطِقَنْ بمَقالةٍ في مَجلسٍ تَخْشَى عَواقبَها وكُن ذا مَصْدَقِ
وٱحفظ لِسانكَ أن تقولَ فَتُبتَلى إنَّ البــلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

ويقول أبو بكر بن سَعدون :

سَجْنُ اللسانِ هو السلامةُ للفتى مِن كُلِّ نازلةٍ لهــا استئصالُ
إنَّ اللسانَ إذا حَلَلْتَ عِقالَه ألقاكَ في شنعاء ليس تُقَــالُ

وقال صالحُ بنُ عبد القدوس في قصيدته الزينبية :

وٱحْفَظ لسانَك وٱحتَرِز من لَفْظِه
فالمرءُ يَسْلَمُ باللِّسانِ ويَعْطَبُ
وزِنِ الكلامَ إذا نَطَقْتَ ولا تَكن
ثَرْثارةً في كُلِّ نــادٍ تَخْطُبُ

والبيت الثاني شبيه بقولٍ آخر لصالحِ بنِ عبد القدوس :

وزِنِ الكلامَ إذا نَطَقتَ فإنَّمــا
يُبدي عُقولَ ذوي العقولِ المَنطِقُ

ويقول الحُسَين بن محمد التُّجيبي القُرطبي :

تَحَفَّظ مِن لسانِكَ فهو عُضْوٌ أَشَدُّ عليكَ مِن وقـــع السِنانِ

فلا واللهِ مـــا في الخَلْق شيءٌ أحقُّ بطولِ سَجْنٍ مِن لسانِ

ومما يُنْسَب أيضا إلى الإمام علي بن أبي طالب قولُه :

إن القليـــلَ من الكلامِ بأهله حَسَنٌ وإنّ كثيرَه مَمقوتُ

ما زَلّ ذو صَمْتٍ وما مِن مُكْثِرٍ إلاّ يَزِلُّ وما يُعابُ صَموتُ

إن كان يَنْطِق ناطِقٌ مِن فَضله فالصمتُ دُرٌّ زانـــه ياقوتُ

وفي إحدى أراجيز الشيخ السابوري قولُه في الصمتِ وحفظ اللسان :

لا شيءَ مِن جوارح الإنســـانِ أَحقُّ بالسِّجْنِ من اللّسانِ

إنّ اللســـانَ سَبُعٌ عَقورُ إنْ لم يَسُسْهُ الرأيُ والتدبيرُ

لا تُطلِقَنَّ القولَ في غير بَصَرْ إن اللسانَ غيرُ مأمونِ الضررْ



● **السؤال** : من القائل وما المناسبة مع نبذة عن حياته ، ولماذا قال : أفاطـــم ؟

أفاطِمُ قبل بينكِ مَتِّعيني وَمَنْعُكِ ما سَأَلْتُكِ أنْ تَبيني

فلا تعِدي مَواعِدَ كاذباتٍ تَمُرُّ بها رياحُ الصيفِ دوني

محمد علي أبو كِيم

مزده – غريان – ليبيا

★

المُثَقَّب العبدي

● **الجواب** : هذان البيتان مَطلَعُ قصيدةٍ طويلةٍ للشاعر الجاهلي عائذِ ابنِ مِحْصَن ، المعروف بالمُثقّبِ العَبْدي . وأورد القصيدةَ بكاملها صاحبُ المفضليات ورأيتُها أيضاً في كتاب شعراء النصرانية . وتقع القصيدةُ في قريبٍ من أربعةٍ وأربعين بيتاً ، وهي في مدح عمرٍو بنِ هنـد ، ومن جملةِ القصائدِ السبع المعروفةِ بالمَشوبات . وسُمّي هذا الشاعر بالمثقّب العبدي لقوله في هذه القصيدة :

رَدَدْنَ تحيَّةً وَكَنَنَّ أُخرى   وثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ لِلْعُيونِ

ومعنى « وثـقّـبْنَ الوَصاوِص للعيون » أنهنّ اتخـذن في سِتر الهَـوْدَج ثـُقوباً يَنظرن إليه منها . وهذا البيت يُرْوَى أيضاً هكذا :

أَرَيْنَ محاسِناً وَكَنَنَّ أخرى   وثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ للعيونِ

وهكذا :

ظَهَرْنَ بِكِلَّةٍ وَسَدَلْن أخرىٰ   وثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ للعيونِ

ويأتي بعد البيتين في مطلع القصيدة بيتان مشهوران وهما :

فإني لو تُخالِفُني شِمـــالي   بِنَصْرٍ ما وَصَلْتُ بها يَميني

إذاً لَقَطَعْتُها وَلَقُلْتُ بيني   كذلكَ أجْتَوي مَن يَجْتَويني

ومن أحسنِ أبياتِ القصيدة قولـه في آخرِها يخاطب عمرو بنَ هندٍ :

فإما أن تكونَ أخي بحَقٍّ   فأَعرِفَ منكَ غَثّي مِن سَميني

وإلاَّ فـاَطَّرِحْني واتَّخِذني   عَدوًّا أَتَّقيـــكَ وتَتَّقِيني

وقولـه في النداء : أفاطِمُ بدلاً من أفاطِمةُ ، فهذا معروف في اللغة بالنداء المُرَخَّم ، ومنه : أيا أسمىٰ بدلاً من يا أسْماء ، أو يا ناقُ بـــدلاً من يا ناقةُ وهكذا .

والمعروف عن حياة المثقّب العَبْدي قليلٌ لا فائدةَ من ذكره .

وقولـه : وثـقّـبْنَ الوَصاوِصَ لِلـعُيون ، أي لـكي يَنظُرْن إليه كما

قلنا ، معروفٌ في الشعر العربي . من ذلك مثلاً قوله العُتبي أو غيره :

رأينَ الغوانيالشيبَ لاح بعارضي فأعرضنَ عني بالخدودِ النواضر
وكُنَّ متى أبصَرنني أو سَمِعْن بي سَعَيْن فرَقَّعْنَ الكُوى بالمحاجر

أي إنهن كُنّ يَسدُدْن الفتَحات بأعيُنِهن لِيَنظُرْنَ إلي .

ومِثلُه قولُ أبي الشبل التميمي ، كما في الأغاني وحماسةِ ابنِ الشجري :

رأينَ الشيبَ قد ألبَسَني أُبْهَةَ الكَهْلِ
فأعرَضنَ وقد كُنّ إذا قيل أبو شِبْلِ
تَساعَيْنَ فرقَّعْنَ الكُوى بالأعينِ النُجْلِ

والقول في هذا كثير ، وقليلٌ منه في الشعر الجاهلي، ومن ذلك قول المثقِّب العَبْدي :

تَهزَّأت عِرسِيَ واستنكرت شيبي ففيها جَنَف وازورار
لا تُكثري هُزأً ولا تعجبي فليس بالشيب على المرء عار
عَمْرَكِ هل تدرين أن الفتى شبابه ثوبٌ عليه مُعار

وفي الشعر الإسلامي قول كشاجم :

ضحِكت من شيبةٍ ضَحِكت لِسَوادِ اللِّمَّةِ الرَّجُلَه
ثم قالت وهي هازئةٌ جاء هذا الشيب بالعَجَله
قلتُ : من حُبِّيك لا كِبَرٌ شاب رأسي ، فانثنت خَجِلَه
وثنَت جفناً على كحَلٍ هي منه الدهرَ مُكتَحِلَه
أكثرت منه تعَجُّبها فهي تجنيه وتعجب له

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

تراه يَطوف في الآفاقِ حِرصاً ‏ ‏ ليأكُلَ رأسَ لُقمانَ بنِ عادِ

عبد الله بن محمد الخضير
بريدة – المملكة العربية السعودية

★

١ – يزيد بن الصَّعِق ‏ ‏ ٢ – أبو المهوّس (أو المهوّش) الأسدي

● **الجواب:** هذا البيت يتنازعه شاعران : الأول يزيد بن عمرو بن الصَّعِق والثاني أبو المهوّش (أو المهوّس) الأسدي . والغالب إنه ليزيدَ بن الصعق ، كما جاء في طبقات فحول الشعراء لابن سلام وفي معجم الشعراء للمرزباني وفي شرح أدب الكتاب للبَطَلْيَوْسي. والبيتُ من أبياتٍ ثلاثة هي :

إذا ما ماتَ مَيْتٌ من تميمٍ ‏ ‏ وسَرَّكَ أن يَعيشَ فَجِئْ بزادِ

بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسَمنٍ ‏ ‏ أو الشيءِ المُلَفَّفِ بالبِجادِ

تراه يَطوف في الآفاقِ حِرصاً ‏ ‏ ليأُكل رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

ومعنى الأبيات بصورة عامة أنَّ قبيلةَ تميم كانت تُحِب الطعامَ حُبّاً شديداً فعُيِّرت بذلك ، وقالوا إنَّ مِن شدة حُبِّها للطعام أنَّ الميتَ منهم يقوم من الموت إذا شعر بوجود الزاد عنده ، بل إنه من شدةِ حرصه على الزاد يشعر إذا نال أُكلةً أو طعاماً ، كأنه نال أمراً عظيماً وظفر برأسِ لقمانَ بنِ عاد ، وهو ما لا يُنال . ومِثلُه فيما لا ينال قولُهم : كأنه جاء برأس خاقان ، أو كأنه جاء برأس كليب . وشدةُ حِرص التميمي على الزاد شبيهةٌ بحرص البعض على النقود والمال ؛ وكان الشيخ عبد الرحمن سلام رحمه الله يردّد هذا البيت كثيراً :

رنُّوا الفلوسَ على بَلاطِ ضريحه وأنا الضمينُ لكم بردِّ حياته

والسبب في أن تميماً كانت تُعَيَّر بحب الطعام وشدة الشَّرَه إليه ما جرى في حكاية المثل : إن الشقيَّ وافِدُ البراجم . وهي أنَّ أسعدَ بنَ المنذر أخا عمرو بنِ هند كان مُستَرضَعاً في بني دارم في حِجر حاجب بنُ زُرارةَ بنِ عُدَس . فخرج يوماً يتصيد فلم يُصِب شيئاً ، فمرّ بإبلٍ لسُوَيدِ بنِ ربيعةَ الدارمي فنحر منها بَكْرة . فقتله سويدٌ هذا . فقال الشاعرُ عمرو بنُ مِلقَط الطائي يحرّض عمرو بنَ هند على بني دارم ، ومنهم زرارة ، ويقول من أبيات:

مَن مُبلِغٌ عَمْراً بأنّ المرء لم يُخلَق صَبارَه

فاقْتُل زُرارةَ لا أرى في القوم أوفى من زُراره

فغزاهم عمرو بن هند يومَ القُصَيبَةِ ويومَ أُوارة ثم أقسَم ليَحرِقَنَّ منهم مئةَ رجل ، ولذلك سُمّي المُحرّق . فأخذ منهم تسعةً وتسعين فقذفهم في النار ، وأراد أن يَبَرَّ بقسَمِه بعجوزٍ منهم لِيُكمِلَ العِدّة ، فلمّا أمرَ بها أن تُلقى في النار صاحت وقالت : ألاَ مِن فتىً يَفدي هذه العجوز بنفسه ؟ ثم قالت : هيهات ! صارت الفِتيانُ حُمَماً . ومَرَّ في تلك الآونة رجلٌ من

البراجم ، وهم من تميم ، كان قد اشتم رائحةَ اللحم فظن أن الملكَ كان يُطعم الناسَ الشواء ، فساقه النهم إلى المكان وجاء إلى عمرو بن هند فقال له الملك : من أنت ؟ قال : وافدُ البراجم . فقال عمرو : إن الشقي وافدُ البراجم ، فذهبت مثلاً . فأمر به فقُذف في النار . فكان وافدُ البراجم هذا سبباً في تعيير قبيلة تميم بالشره إلى الطعام . وفي ذلك يقول جرير يُعَيِّر الفرزدق ، والفرزدقُ من تميم :

أين الذين بنارِ عمروٍ حُرِّقوا   أم أين أسعدُ فيكم المُسْتَرْضَعُ

وقال جرير أيضاً :

وأخزاكُمُ عمروٌ كما قد خَزيتُمُ   وأدْرَكَ عمّارٌ شَقِيَّ البراجمِ

وفي تعيير تميم بحب الطعام يقول يزيد بن الصَّعِق الكلابي :

ألاَ أبلِغ لديكَ بني تميمٍ   بآيةِ ما يُحبُّون الطعاما

وقد ذكروا بشأن البيت المسئول عنه والبيتين الآخَرَين معه أنّ الأحنف ابنَ قيس وهو سيّد بني تميم في زمن معاويةَ بنِ أبي سفيان دخلَ يوماً على معاويةَ ، فأراد معاويةُ أن يمازحه ، فقال له : ما الشيءُ الملفّفُ بالبِجاد ؟ فقال له الأحنف : السخينةُ يا أمير المؤمنين . أراد معاوية أن يعرّض بقومِ تميم فأشار من طرفٍ خفي إلى قول يزيد بن الصعق أو أبي المهوّس الأسدي وهو :

إذا ما مات ميتٌ من تميم   وسرّك أن يعيشَ فجىء بزادِ

بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ   أو الشيءِ المُلَفّفِ بالبِجادِ

والمُلفّف بالبجاد وهو وَطَب (أو زِقّ) اللبن يُترَك حتى يَروب ، ويُلفّف بكساءٍ من الصوف له خطوط ويعرف هذا الكساء في فلسطين باسم

البشت . فكان العربُ يُلفّفون وَطَبَ الحليب بالبجاد لابقائه دفيئاً ، وهذا يُسرِع في رَوَبانه . أما السخينةُ فهي طعامٌ من الدقيق الذي كان يُلقى في الماء فيُغلى الماءُ حتى يصيرَ الجميع كالحساء . وكانت قريش تأكل هذا الطعام الخسيس فعيّرت به وُسمّيت باسم هذا الطعام. فكانوا يقولون لقريش سخينة، ومن ذلك قول حسان بن ثابت :

زعمت سَخينةُ أنْ سَتَغلِبُ رَبَّها وَلَيُغْلَبنّ مُغالِبُ الغَلاّبِ

ويقال إن السبب في تسمية قريش بالسخينة هو أن النبيّ ﷺ دعا عليهم وقال : اللهمّ اشدُد وَطأتَكَ واجعَل عليهم سِنينَ كسِنِيّ يوسف . فأجدبوا سبعَ سنين، فكانوا يأكلون الوَبَر بالدم ، ويأكلون السخينة. وذكر أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى أن قريشاً كانت تلقّب سخينةً لأكلها السُّخن ، وأنه لَقَب لزمهم قبل مبعث النبي ﷺ ، يَدُل على ذلك قول خِداش بن زهير وهو جاهلي لم يُدرِك الإسلام :

يا شِدَّةً ما شَدَدْنا يومَ ذاكَ على ذوي سَخينةَ لولا ألَّيلُ الحُرُمِ

ورأيتُ أقوالاً أُخرى عن هذا ومثله في كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لا مجالَ لذكرها هنا .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة وأين قيل :

ضَعيفةُ كرِّ الطَّرْفِ تحسب أنها   قريبةُ عَهْدٍ بالإفاقةِ من سُقْمِ

مقدم هوبة محفوظ محمد بلفقيه
شِبام – جمهورية اليمن الديمقراطية

★

أبو نواس

● **الجواب :** هذا البيت لأبي نُواس من أبياتٍ قالها في مجلسِ أنسٍ فيه النديم وفيه الساقية وقد وصف أبو نواس هذه الساقية بأبياتٍ معدودة ، منها هذا البيت ، فهو يقول :

ألاَ لا أرَى مِثلي امترى اليومَ في رَسْمِ
تَغَصُّ بــــه عَيْني ويَلفِظه وهمي
أتت صُوَرُ الأشيـــــاء بيني وبينَه
فجهلي كَلاَ جَهْلٍ وعِلمي كَلاَ عِلْمِ

فَطِبْ بحديثٍ عن نديمٍ مساعـــدٍ

وساقِيَةٍ سِنٌّ المُراهِـقِ لِلحُلْم

إذا هي قامت والسُّداسِيُّ طالهـــا

وبينَ النحيفِ الجسم والحَسَنِ الجسْمِ

ضعيفةُ كرٍّ الطرف تحسب أنها

حديثةُ عهدٍ بالإفاقـــةِ من سُقْمِ

وإني لَآتي الأمرَ من حيث يُتَّقَى

وتَعْلَمُ قوسي حين أقْصِد من أرْمي

ورأيتُ في كتاب ذيل الأمالي والنوادر لأبي عليّ القالي عن أبي عبيدة أنه قال : يُعجبني من شعر أبي نواس كُلّه بيتان وهما قولُه :

ضعيفة كرّ الطرف تحسب أنها ...

وذكر البيتين .

ورأيت في أخبار أبي نواس لأبي هِفان نقلاً عن زهر الآداب أنّ أبا هِفانَ قال : كان أبو عبدالله محمد بن زيادٍ الأعرابي يَطعنُ على أبي نواس ويَعيب شعره ويُضَعّفُه ويستلينه ، فجُمع مع بعضِ رُواةِ أبي نواس فجلس والشيخُ لا يعرفه ، فقال له صاحب أبي نواس : أتَعْرِف أعزّكَ اللهُ أحسنَ مِن هذا وأنشده :

ضعيفة كرٍّ الطرف تحسب أنها   قريبةُ عهـــدٍ بالإفاقةِ من سُقم

تَفَوَّق مالي مِن طريفٍ وتالدٍ   تَفَوُّقيَ الصهباء من حَلَبِ الكَرْمِ

وإني لآتي الوصلَ مِن حيث يُبتَغى   وتَعلَم قوسي حين أنزِع مَن أرمي

فقال أبو عبدالله : لا والله ، فلمن هو ؟ قال راوية أبي نواس : هو للذي يقول :

رَسمُ الكرى بين الجُفون مُحيلُ   عَفّى عليه بُكاً عليك طويلُ

يا ناظِراً ما أقلعت لحظاتُه   حتى تشحَّط بينهن قتيـــلُ

فطَرِب الشيخ وقال : وَيْحكَ ، لِمَن هذا ؟ فوالله ما سمعتُ أجودَ منه لِقَديمٍ ولا لِمُحْدَث . فقال : لا أُخبِرُك أو تكتُبَه ، فكتبه وكتَبَ الأول . فقال الراوية : هو للذي يقول :

رَكْبٌ تساقَوْا على الأكوارِ بينهم   كأسَ الكرى فانتشى المَسْقِيُّ والساقي

كأنَّ أرؤُسَهم والنومُ واضِعُها   على المناكب لم تُخلَق بأعنـــاقِ

ساروا فلم يَقْطَعوا عقداً لراحلةٍ   حتى أناخوا إليكم فَلَّ أشواقِ

من كُلّ جائِلَةِ الطرفين ناجيَةٍ   مُشتاقةٍ حَمَلت أوصالَ مُشتاق

فقال أبو عبدِ الله : لِمَن هذا ؟ وكتبه . فقال راويةُ أبي نواس : هذا للذي تَذُمّه وتَعيبُ شعرَه أبي عَليّ الحَكَمي . فقال : أَكْتُم عليّ ، فوالله لا أعود لذلك أبداً . وروايةُ هذه الأبيات في الديوان هي كما يلي :

رَكبٌ تَساقَوْا على الأكوار بينهم
كأسَ الكرى ، فانتشى المَسْقِيُّ والسّاقي
كأنَّ أرؤُسَهم والنومُ واضِعُهــا
على المناكب لم تُوصَلْ بأعنـــاقِ

خاضوا إليكم بحارَ الليل ، آونـةً

حتى أناخوا إليكم فَـلَّ أشواقِ

مِن كُلِّ جائلةِ النِّسْعَين ضامِرَةٍ

مُشْتاقــةٍ حَمَلَت عِبئاً لِمُشْتاقِ

والحُسنُ منكِ يَطوف العاشقونَ به

فانتِ موسِــمُ رُوّادٍ وعُشّاقِ

والوصفُ الوارد في قوله :

ضعيفةُ كَرِّ الطرف تحسب أنها قريبةُ عهدٍ بالإفاقةِ من سُقْم

يتكرر كثيراً في الشعر العربي . فهذا جرير يقول :

إن العيونَ التي في طرفها مَرَضٌ قتلننا ثُمّ لم يُحيين قتــلانا

يَصْرَعْنَ ذا اللب حتى لا حَراكَ به وهُنّ أضعفُ خلقِ اللهِ إنسانا

ومثله قولُ ابن عبدِ ربه :

يا سَقيمَ الجنونِ من غير سُقمٍ بين عينيكَ مَصْرَعُ العُشّاقِ

ويقول الشاب الظريف :

أستودع اللهَ ركباً في هوادجكم مُحَجَّباً ليس تُرْعَى عنده الذِّمَمُ ؟

له من الغُصْنِ قَدٌّ زانه هَيَفٌ ومن غزالِ الحِمَى طَرْفٌ به سَقَمُ

ويقول أبو فِراسِ الحمداني :

وشادنٍ قال لي لمّا رأى سَقَمي وضَعْفَ جِسميَ والدمعَ الذي انسجما

أخذتَ دمعكَ من خدي وجِسمَكَ من خصْري وسُقمَكَ مِن طرفي الذي سَقِما

ويقول محيي الدين بن عربي :

مَرَضِي مِن مريضةِ الأجفانِ عَلّلاني بذِكرِهــا عَلّلاني

ويقول الأبيوردي :

ترنو بطرف غزالٍ فاترٍ دَعِجٍ نفسي فداءٌ لِطرْفٍ فاترٍ دَعِجِ

ويقول عبدُالله بن المعتز :

عليمٌ بمـا تحت الصدور من الهوى
سَريـعٌ بكَرِّ اللحظ والقلبُ جازِعُ
ويَجْرَحُ أحشائي بعينٍ مَريضـةٍ
كما لان متنُ السيفِ والسيفُ قاطِعُ

وقال خالدُ الكاتب :

ومريضِ طرفٍ ليس يَصْرِفَ طَرفَه
نحو امرىءٍ إلاّ رمــاه بحتفِه
قــد قلتُ إذ أبْصَرْتُه مُتمايلا
والرِّدْف يَجذِب خَصْرَه من خَلْفِه
يا مَن يُسَلِّمُ خَصْرَه مِن رِدْفه
سَلِّم فُؤادَ مُحِبِّه مِن طَرْفِــه

وذكر القالي في أماليه باباً في فتور الطرف ، كما ذكر ذلك صاحب نهاية

الأرب ، ومن ألطف الأقوال في ذلك أيضاً قولُ البحتري :

وفي القهوةِ أشكالٌ   مِن الساقي وألوانُ
حَبابٌ مِثلُ مــا يَضحَكُ عنه وهو جَذْلانُ
وسُكْرٌ مِثلُ مـا أسكرَ طَرْفٌ منه وَسنانُ

وقولُ عَديّ بن الرّقاع :

وكأنّها وَسْطَ النساء أعارَها   عَينَيْه أحوَرُ مِن جآذِرِ جاسِمِ
وَسْنانُ أقْصَدَه النُعاسُ فرَنّقَت   في عينِه سِنَةٌ وليس بنــائمِ

وفي مجالٍ آخر يقول السريّ الرّفاء :

وفتيــةٍ زَهَرُ الآداب بينهم   أبهى وأبهج من زهر الرياحين
مَشَوا إلى الراح مَشيَ الرّخ وانصرفوا   يمشون من بعدها مشي الفرازين

وفي العيون المريضة يقول الهَمَذاني كما في نهاية الأرب للنويري :

تعمل الأجفـان بالدَّعَـج   عَمَل الصهبــاء بالمُهَج
قــل لظبيٍ تُستَرَقّ له   مُهَج الأحرار بالدَّعج
أنت والأجفان ما لَحَظت   من فُتور العين في حَرَج
كيف أدعو الله أسأله   فَرَجاً مِمّن به فَرجي

ويقول ابن الرومي :

يا عليلاً جعــل العِلّة مفتاحــاً لِظُلْمِي
ليس في الأرض عليلٌ   غير جَفنيك وجسمي
بك سُقْمٌ في جفون   سقمهـا أكدّ سُقمي

● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

وثقيلٍ مـــا بَرِحنا نتمنى البعدَ عنـه
راح عنا ففرحنـــا جاءنا أثقـــلُ منه

محمود قاسم الأسمر
Sindel Fingen – ألمانيا الغربية

*

البهاء زهير

● **الجواب :** هذان البيتان للبهاء زهير ، وقد اشتهر في شعره بذم الثقيل، وله في ذلك أشعار كثيرة ، نختار منها ما يلي :

وثَقيـــلٍ كأنما مَلَكُ الموتِ قُرْبُه
ليس في الناسِ كُلِّهم مَن تراه يُحِبُّـــه
لو ذَكرتَ اسمَه على الماء لما ساغ شُرْبُه

ويقول :

وَجليسٍ ليس فيه قَطُّ مِثلَ الناس حِسٌّ
لِيَ منـــه أينما كنتُ على رَغمِيَ حبْسُ
ماله نَفسٌ فتنهاه ، وهــل للصَّخرِ نَفسُ
إنّ يوماً فيه ألقــاه ليومٌ هـــو نَحْسُ

ويقول أيضاً :

رُبَّ ثَقيلٍ لِبُغْضِ طَلْعَته أخشاه حتى كأنَّه أَجلي
وكُلَّما قلتُ لا أشاهِـده ألقـــاه حتى كأنه عَملي

وله أيضاً :

يا ثقيـــلاً لِيَ مِن رُؤيتِه هَمٌّ طويـــلُ
وبَغيضاً هـــو في الحَلْـــق شجًى ليس يَزولْ
كُلُّ فضلٍ في الوَرَى أضعافُه فيكَ فُضولُ
كيف لي مِنكَ خلاصٌ أيْنَ لي منـــك سَبيلُ
صار أمري فيكَ حتى لستُ أدري مـــا أقولُ
أنتَ واللهِ ثقيـــلٌ أنت واللهِ ثقيـــلُ

وآخِرُ بيتٍ في هذه الأبيات يشبه قولَ بعضِهم :

أنتَ يا هذا ثقيلٌ وثقيــلٌ وثقيلُ
أنتَ في الهيئــةِ إنسانٌ وفي الميزان فيــلُ
لو تعرّضتَ لِظِلٍّ فَسَد الظلُّ الظليلُ

واستثقل العربُ الثقيلَ حتى إنهم استثقلوا ظِلَّه فقالوا : ثقيلُ الظل أو كثيفُ الظل . وقالوا عنه إنه ثقيل الروح . وكان الأعمش إذا حضر مجلسَه ثقيلٌ يُنشد :

فما الفيلُ تَحْمِلُهُ مَيِّتاً بأثقلَ مِن بعضِ جُلاّسِيَهْ

وسُئِل الأعمَشُ مَرّةً : لماذا عَمِشَتْ عيناك ؟ فقال : من رؤية الثقلاء . وكان حمّادُ بنُ سَلَمة إذا رأى ثقيلاً قادماً قرأ الآية : « ربَّنا اصْرِف عَنا العذابَ إنا مُؤْمِنون » : وكثيرٌ من الناس ، حتى في الوقت الحاضر إذا رأوا ثقيلاً قالوا : أشتاتاً أشتاتاً . وكان الشعبي يقول : مَن فاتَتْه ركعتا الفجر ، فَلْيَلعَنِ الثقلاء . وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى ثقيلاً قال : أللّهُمَّ اغفِر له وأرِحنا منه . وسُئِل شَخْصٌ وكان له ثلاثة بنين ثقلاء : أيُّ بَنيكَ أثقل ؟ فقال: ليس بعد الكبير أثقلُ من الصغير إلاّ الأوسط. وكان أبو العتاهية يقول لابنه محمد : أنتَ واللهِ يا محمد ثقيلُ الظل مُظلِمُ الهواء جامدُ النسيم باردٌ حامِض مُنتِن .

ومن أظرَفُ ما قيل في الثقيل قولُ مطيعُ بنِ إياس :

قُل لعباسٍ أخينا يا ثَقيــلَ الثقلاء

أنتَ في الصيفِ سَمومٌ وجَليدٌ في الشتاء
أنتَ في الأرضِ ثقيلٌ وثَقيلٌ في السماء

وأظرَفُ مِن ذلك قولُ أبي عُمارةَ الصوري :

ثَقيلٌ بَراه اللهُ أثقَلَ مَن بَرَى
ففي كُلِّ قَلْبٍ بغضَةٌ منه كامِنَهْ
مَشَى فَدَعا مِن ثِقْلِه الحوتُ رَبَّه
وقال إلٰهي زادت الأرضُ ثامِنَهْ

وقال الأعمش : ما نظرتُ إلى ثقيلٍ إلاّ اشتَكت عَينِي . وقال : رُبَّما سألني ثَقيل عن مسألةٍ فأنساها في الوقتِ لِما يَنالُني منه . وقال مالِكٌ لطبيبه : أنظر بَجسّي ؛ فَجسّه ، وقال : مِزاجُكَ مُعتَدِل ، إلا أنَّ فيه كَدَراً ، فهل وَصَل إليك اليومَ ثقيل ؟ قال : نعم . قال : هذا من ذاك . وقيل : مجالسةُ الثقيل حُمّى الروح. ومَرِض الشعبيُّ يوماً فعاده ثقيل وأطال الجلوس ، وسأل : ما أشَدُّ ما مَرَّ عليكَ في مرضك ؟ فقال الشعبي : قُعودُك عندي . ودَخل ثقيلٌ على الصاحبِ بن عباد وأطال الجلوسَ عنده فتبَرَّم به الصاحب ، فكتب رُقعةً ودفعها إليه وفيها :

إن كنتَ تَزعُمُ أنّ الدارَ تَملِكُها
حتى نَقومَ فَنَبْغي غيرَها دارا
أو كنتَ تعلم أن الدارَ أملِكُها
فَقُم لِكي تُذهِبَ الأحزانَ والعارا

وأنشد يوسف بن المغيرة في ثقيلٍ باردٍ اسمُه أبو يعقوب :

وَمَن يَقتُلِ الأَبطالَ باساً ونجدةً   فإن أبا يَعقوبَ يَقتُلُهم بَرْدا

ومن ذلك أن ابراهيم بن سيّابة الشاعر جاء إلى بشار فقال له : ما رأيتُ أعمى قطّ إلا وقد عُوّض عن بصره إما الحفظ والذكاء وإما حسن الصوت ، فأي شيءٍ عُوّضتَ أنت ؟ قال : أن لا أرى ثقيلاً مثلك !

وفي عيون الأخبار باب خاص بالثقلاء ، وفيه أن بختيشوع قال للمأمون : لا تجالس الثقلاء فإنا نجد في الطب : مجالسة الثقيل حُمّى الروح . ويقال : إذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل . وكتب رجل على خاتمه : أَبْرَمْتَ فقُم ، فكان إذا جلس إليه ثقيل ناوله خاتمه . وقال بشّار :

ربما يُثقِل الجليس وإن كان خفيفاً في كفة الميزان

ولقد قلت حين وتّد في الأرض ثقيل أربى على ثَهلان

كيف لم تحمل الأمانةَ أرض   حَمَلت فوقها أبا سفيان

وأنشد أبو طالب يحيى بن علي اليعقوبي :

لَحَمْلُ تهامةٍ وجبالِ أُحْد   وماء البحر يُنقَل بالزّبيل

ونقل الصخر فوق الظهر عُرياً ،   لَأَهون من مجالسة الثقيل

وقال سهيل بن عبد العزيز :

مَن ثقُل عليك بنفسه وغَمّك في سؤاله ، فألزِمه أُذناً صماء وعيناً عمياء .

وقيل إن رجلاً مَرّ بصديق له ومعه ثقيل يجالسه ، فقال له الرجل : كيف حالك ؟ فأجاب :

وقائلٍ كيف أنت قلتُ له   هذا جليسي فما ترى حالي ؟

● **السؤال** : من القائل :

حَواجِبُنا تَقْضي الحوائجَ بيننا فنحن سكونٌ والهوى يَتَكَلَّمُ

علي حَمّود

Farrell – الولايات المتحدة

★

حواجبنا تقضي الحوائج

● **الجواب** : لم أقف على قائل هذا البيت ، وهو من أبياتٍ ترد في كتب الأدب ، ولا تُنْسَب إلى قائلٍ معين ، كما رأيت حتى الآن . والأبيات هي :

يُتَرْجِم طرفي عن لساني تَلَعْثُماً ويُبْدي لكم ما كان صدري يُكَتِّمُ

ولمّا التقينا والدموعُ سَواجِمٌ خَرِسْتُ وطَرْفي عن هواي يُتَرْجِمُ

تُشير لنا عمّا تَقول بِطَرْفِها وأومي إليها بالبَنانِ فَتَفْهَمُ

حَواجِبُنا تَقْضي الحوائجَ بيننا فنحن سكوتٌ والهوى يَتَكَلَّمُ

ومن هذا المعنى قولُ الفرزدق :

هل تَذْكُرين إذا الركابُ مُناخةٌ برحالِها لِرَواحِ أهلِ المَوْسِمِ
إذ نحن نَسْتَرِق الحديثَ وفوقَنا مِثلُ العَجاجِ من الغُبار الأقتمِ
وكذاكَ نُخبرُ بالحواجبِ بيننا ما في النفوسِ ونحن لم نَتَكَلَّمِ

ومن ذلك قولُ ابن الزيات :

وإني لأَلْقاها فَيَنْطِق طَرْفُها لِطَرفي بما تُخفي وإن لم تَكَلَّمِ
وتَبْخَل عني بالسَّلام وعينُها تُشير به نحوي وإن لم تُسَلِّمِ
بنفسيَ إنسانٌ إذا غاب لم أزَلْ أُلاحِظُ عينيه بعين التوهُّمِ
سرورٌ وحُزْنٌ فيه يعتورانني فأَقْطَعُ يومي بالبكا والتبسّمِ

وقال صَريعُ الغواني :

جعلنا علاماتِ المودةِ بيننا
مصائدَ لحظٍ هُنَّ أخفى من السحر
فأعرِفُ فيها الوصلَ في يُمنِ طَرْفِها
وأعرِف فيها الهجرَ بالنَّظَرِ الشَّزْرِ

ومن ذلك أيضاً :

أشارت بِطَرْفِ العين ِخيفةَ أهلِها إشارةَ محزونٍ ولم تَتَكَلَّمِ
فأيقنتُ أن الطرفَ قال مُرَحِّباً وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المُتَيَّمِ

وفي هذا الباب أشعارٌ عديدة، كثيرٌ منها لا يُعْرَف قائلوها. من ذلك مثلاً:

إشارتُنا في الحبِّ غَمزُ عيوننا … وكُلُّ لبيبٍ بالإشـــارة يَفْهَم

حواجِبُنا تقضي الحوائجَ بيننا … فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومنهـا:

إذا خِفْنا من الرقبـــاء يوماً … تكلمت العيونُ عن القـــلوبِ

وفي غمزِ الحواجب مُغنياتٌ … لحاجـــاتِ المحبِّ إلى الحبيبِ

ومنهـا:

أراقِبُها خوفَ المُراقِب لَحْظةً … فأشكو بطرفي ما بقلبي من الوَجْدِ

فَتَفْهَمُ عن لحظي خفيَّ صبابتي … فتومي بطرفِ العينِ أني على العهدِ

ويقول عبدالله بن الدهان:

قـــل للبخيلةِ بالسَّلامِ تَوَرُّعاً … كيف استبحت دمي ولم تَتَوَرَّعي

وزَعمتِ أن تَصِلي بعامٍ قابل … هَيْهاتِ أنْ أبقى إلى أن تَرْجعي

أَبديعةِ الحسنِ التي في وجهِها … دونَ الوجوه عِنايةٌ لِلْمُبْدِعِ

ما كان ضَرَّكِ لو غَمَزتِ بحاجبٍ … يومَ التفرقِ أو أشرتَ بأُصبعِ

وتَيقَّني أني بِحُبِّـــكِ مُغْرَمٌ … ثم اْصنَعي ما شِئتِ بي أن تَصْنَعي

وفي هذا كفاية.

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وإني لأهواها وأهوى لقاءهـــا كما يشتهي الظمآنُ مـــاءً مُبَرَّدا

صالح كيّاد الشمري
الكويت

الأحوص

● **الجواب :** هذا البيت للأحوص وكان في أيام الدولة الأموية يسكن المدينة ، والبيتُ من أبياتٍ قالها الأحوص في حكايةٍ جرَت مع يزيدَ بنِ عبد الملك صاحبِ حَبَابَة وسَلاّمة. وكان الناس في خلافةِ عمرَ بنِ عبدالعزيز قد ألِفوا منه العَدْلَ والصلاح ، فلمّا وَلِيَ يزيدُ بنُ عبد الملك ورأوا منه انشغالَه باللّهْو وتركَه شئونَ العباد وأمورَ الدولة دَخَل عليه أخوه مَسْلَمَةُ ابنُ عبد الملك فعَنَّفه ولامَه ووعظه ، وذكّره عَدْلَ عُمَرَ ، فاتّعَظ وقال : واللهِ ما عُمَرُ بأحوجَ إلى اللهِ مني ، فهَجَر ما كان فيه من اللّهْو ومنادمةِ الجواري ، وأخذ يجلس للناس فشَقَّ ذلك على حَبابَة فأرْسَلت إلى الشاعر الأحوص وطلبت إليه أن ينظم شعراً في حالةِ يزيـــد ، فنظم الشعر ثم استحضرت هي مَعبداً المُغنّي فلَحّنه . ودَبَّرت على أن يَسمعَ يزيدُ الشعرَ مع الغناء ، ثم إنّ حَبابَة أو سَلاّمة غنّتْ يزيدَ بالشعر ومنه :

وما العَيشُ إلاّ ما تَلَذُّ وتَشتَهي   وإن لام فيه ذو الشّنان وفَنّدا

فطَـرِبَ يزيدُ وضرَبَ الأرضَ بِخَيْزُرانةٍ كانت بيده وقال : صَدَقتِ صدقتِ ! على مَسْلَمَةَ لعنةُ الله ، وعلى ما جاء به . وعاد إلى حالته الأولى إلى أن ماتت حبابةُ ، ومات هو بعدها بأيامٍ حزناً عليها .

وأبياتُ الأحوص من أجملِ الشعر ، وتقع في قريبٍ من عشرين بيتـاً ، يقول فيها :

ألا لا تَلُمْه اليـومَ أن يَتَبَلَّدا
فقد غُلِبَ المحزونُ أن يَتَجَلَّدا

وما العَيْشُ إلاّ مـا تَلَذُّ وتَشتَهي
وإن لام فيـه ذو الشنان وفندا

بكيتُ الصّبا جَهْدي فمن شاء لامني
ومن شاء آسَى في البكاء وأسْعَدا

إذا أنت لم تَعشَق ولم تَدرِ ما الهوى
فكن حجَراً من يابسِ الصخر جَلْمَدا

ويقول الأحوصُ أيضاً من جملة الأبيات :

وأشرَفْتُ في نَشْزٍ من الأرضِ يافعٍ
وقد تَشْعَفُ الأيفاعُ مَن كان مُقْصَدا

فقلتُ ألاَ يا ليتَ أسمـاءَ أصْقَبَت
وهل قَوْلُ ليتَ جامِعٌ ما تبَدّدا

وإني لأهواهـــا وأهوى لِقاءها
كما يَشتَهي الصـادي الشرابَ المُبَرَّدا

عَلاقـةَ حُبٍّ لَجَّ في سَنَنِ الصِّبا
فأبْلَى ومـــا يَزْدادُ إلاّ تَجَدُّدا

والحـكايةُ في كتابِ تزيين الأشواق ، وفيه أيضاً تتمة عمّا جرى ليزيدَ بعد وفاةِ حَبابَة .

وحكاية يزيد مع حبابة حينما عاد إليها بعد أبيات الأحوص تشبه بعض الشبه حكاية المتوكل مع إحدى جواريه. فقد حكى علي بن الجهم الشاعر قال : دخلتُ على المتوكل وقد بلغني أنه كلّم جاريته قبيحة فأجابته بشيء أغضبه فرماها بمخدة فأصابت عينها فأثرت فيها ، فتأوهت وبكت، وبكى ابنه المعتز لبكائها، وخرج المتوكـل وقد حُمّ من الغضب والغمّ . فلمّا بَصُر بي دعاني ، وإذا الفتح بن خاقان يري بختيشوع القارورة ويشاوره فيها ، فقال لي : قُل في علتي هذه شيئاً وَصِف أن الطبيبَ ليس يدري ما بي . فقلت :

تنكر حـــالَ علتيَ الطبيبُ	وقال أرى بجسمك ما يريب
جَسَستُ العِرقَ منك فدلَّ جَسّي	على ألمٍ له خـــبر عجيب
فما هذا الذي بك هاتِ قل لي	فكان جوابَـــه مني النحيب
وقلت : أيا طبيبُ، الهجر دائي	وقلبي يا طبيبُ هو الكئيب
فحرّك رأسَه عَجبـــاً لقولي	وقال : الحب ليس له طبيب
وأعجبني الذي قد قال جدّاً	فقلت بلى إذا رضي الحبيب
فذاك هو الشفاء فلا تقصِّر	فقلت : أجل ولكن لا يجيب
ألاَ هل مُسعِد يبكي لشجوي	فإني هـــائم فرد غريب

وللحكاية تتمة ، انتهت بأن عاد المتوكل إلى جاريته وصالحها .

● السؤال : من القائل :

هذي عَروسُ الزَّهْرِ نَقَّطها الندى بالدُّرِّ فابتسمت ونادت مَعْبَدا
لمّا تَفَتَّق سِتْرُها عن رأسِها عَبِث الحياء بخدِّها فتورَّدا

سعيد محمد الخطيب
الدمام – المملكة العربية السعودية

★

الشيخ ناصيف اليازجي

● الجواب : هذان البيتان للشيخ ناصيف اليازجي من قصيدة في الزهر ، وهي إحدى القصائد الزهرية أو الزهريات في الأدب العربي . ويقول بعد هذين البيتين ، وهما مطلع القصيدة :

فَتَح البنفسجُ مُقْلَةً مَكْحولَةً غَمَزَ الهَزارَ بها فقام وغَرَّدا
وتَبَرَّجت وُرْقُ الحَمام بِطَوْقِها لمّا رأينَ التاجَ يعلو الهُدْهُدا

ويقول في آخرها بعد وصف الأزهار والماء والنبات :

يا صاحِبَيّ تَعجَّبا لِلابِسٍ قد حاكها مَن لم يَمُدَّ لها يَدا
كُلُّ الثيابِ يَحُولُ لونُ صِباغِها وصِباغُ هذا حين طال تَجَدَّدا

ومن الزهريات المشهورة قصيدةُ صفي الدين الحلي الذي يقول في أولها :

وَرَدَ الربيع فمرحباً بِوروده وبِنور بَهجته ونَوْر وُرودِهِ

وذَكَر فيها أسماءَ الأزهار والورود والسحاب والماء وغير ذلك . ومنها :

وتَجاوُبُ الأطيار في أشجارِهِ كَبَناتِ مَعْبَدَ في مَواجِب عُودِهِ

ولعليّ بنِ رُستُم المعروفِ بابنِ الساعاتي قولُه ، وهو مشهور :

والطَّلُّ في سِلْك الغُصون كلؤلؤ رَطْبٍ يُصافِحه النَّسيمُ فَيَسْقُطُ
والطيرُ تَقرأ والغَدِيرُ صَحيفةٌ والريحُ يَكتُب والغَمامُ يُنَقِّطُ

وللبحتري أبياتٌ جميلة في الربيع والأزهار في قوله :

حَيَّتْكَ عنا شَمالٌ طاف طائفُها بِجَنَّةٍ ، فَجَرت راحاً ورَيْحانا
هَبَّت سُحَيراً فناجى الغُصنُ صاحبَه سِرًّا بها وتداعى الطيرُ إعلانا
وُرْقٌ تُغَنّي على خُضْرٍ مُهَدَّلةٍ تَسْمو بها وتَمسُّ الأرضَ أحيانا
تَخالُ طائرَها نَشْوانَ ذي طَرَبٍ والغُصنَ مِن هَزّه عِطْفَيْه نَشوانا

ومن أشهر الزهريات زهريةُ بديع الزمان الهمذاني ، وفيها قولُه :

بَرَز الربيعُ لنا بِرَوْنَقِ مائه فانْظُر لِرَوْعَةِ أرضِه وسمائه

فالتُّرْبُ بين مُمَسَّكٍ ومُعَنْبَرٍ مِن نَوْرِه بل مائِه ورُوائِه

والطيرُ مِثلَ المُحْصَنَاتِ صَوادِحٌ مِثلَ المغنِّي شادياً بغنائـــه

إلى آخره .

ولابن الراجح الحِلِّي زهرية يقول فيها :

نَثَرَت عُقودَ سمائهـــا الأنداءُ بيَدِ النسيمِ فلِلثَّرَى إثراءُ

وبـــدَت تباشِيرُ الربيـع كأنّما نَشَرَت حبائرَ وَشْيِها صَنْعاءُ

ولابن مَكانِس زهريةٌ يَصِف فيها شَجَرةَ سَرْحٍ على شاطىء النيل ، يقول فيها :

يا سَرْحةَ الشاطىء المُنساب كَوْثَرُه

على اليواقيتِ في أشكال حَصْبـــاء

حلَّت عليك عَزاليهـا السحابُ إذا

نوءُ الثريـــا استهلَّت ذات أنواء

ويقول في آخرها ، وهي طويلة :

إذا شَدَوتِ حماماتِ الأراكِ على أغصانها فَتُرينا رَقْصَ هَيْفاء

مِن كُلِّ ورقاءَ في الأفنانِ صادِحةٍ بين الحدائق في فيحاءَ زَهْراء

وُرْقٌ تَغَنَّت بجنّاتٍ رَقِينَ على عيدانِها فالَهُ في مَغْنًى وغَنّاء

ولبدر الدين الذهبي زهريةٌ يقول فيها :

تَرَنَّح عِطْفُ البان في الحُلَلِ الخُضْرِ
وغَنَّى بألحانٍ على عُودِه القُمْري

وأشرق خَدُّ الورد يُبدي نُضارَه
وأشرق جِيدُ الغُصْنِ في لؤلؤ القَطْرِ

وبات سَقيطُ الطَّلّ في كُلّ روضةٍ
يُنَبّه في أرجائها ناعِسَ الزَّهْرِ

ويقول في آخرها :

فكم مِن نَحيبٍ للحمائم في الضُّحَى — عليه وللأنواء مِن دَمْعةٍ تَجري

ولابن الوكيع زهرية لا تختلف في معانيها عن الزهريات الأخرى ، ولذلك نَضرِبُ عنها ونكتفي بما ذكرنا . وقد ألّف شوقي ضيف والدسوقي وغيرُهما معاً كتاباً سَمّوه بوصف الطبيعة وتطوره في الشعر العَرَبي ، وفيه الكثير من هذا النوع بما في ذلك قصائدُ وأشعارٌ أندلسية رائعة .

ورأيت في كتاب حلبة الكميت مجموعة من الزهريات المختلفة ، ومنها قصيدة زهرية لصفي الدين الحلي تعتبر من المفردات ، وهي :

من نفحة الصور أم من نفخة الصور — أحييت يا ريح ميتاً غير مقبور
أم من شذا نسمة الفردوس حين سرت — على طبق من الأزهار ممطور
أم روض عطرك أعدى عطر نفحته — طي النسيم بطي منه منشور
والريح قد أطلقت فضل العنان به — والغصن ما بين تقديم وتأخير
في روضة نصبت أغصانها وغدا — ذيل الصَّبا بين مرفوع ومجرور
والماء ما بين مصروف وممتنع — والظل ما بين ممدودٍ ومقصور
والريح تجري رُخاء فوق بحرتها — وماؤها مُطلق في زي مأسور
والنرجس الغصن لم تُغضض نواظره — فزهره بين منفضّ ومزرور
كأنه ذهب من فوق أعمدة — من الزمرد في أوراق كافور
والأقحوان زها بين البهار بها — مثل الدراهم ما بين الدنانير

إلى آخره .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

ما بالَكُم تُلقِحون الحربَ بينكُمُ ... كأنّ أهلَ الحِجا عن رأيهم عُزُبُ
وتَترُكون عَدواً قد أظَلَّكُمُ ... مِمّا تأشّب لا دينٌ ولا حَسَبُ

مصطفى عبد السلام الشيحي
طرابلس الغرب – الجماهيرية العربية الليبية

*

نصر بن سيار

● **الجواب :** هذان البيتان من أبياتٍ منسوبةٍ إلى نصرِ بنِ سَيّار عاملِ الخليفة مروانَ آخرِ خلفاء بني أمية ، وكان على خراسان . وفي ذلك الوقت ظهرت الدعوة العباسية بزعامة أبي مسلم الخراساني واشتدّ أمرُها. فأخذ نَصْرٌ يكاتب مَروان ويكشِف له عن حال « المسوّدة » أصحاب الدعوةِ العباسية ، ويَدعوه إلى حَسْمِ الأمر بالعزم والقوة ؛ واشتهر أنه كتب إليه يقول من أبياتٍ معروفة :

أرَى بين الرّماد وَميضَ نارٍ ... ويُوشِكُ أن يكونَ لها ضِرامُ

ويقول :

أَقُولُ من التعجب ليتَ شعري ... أَأَيقاظٌ أميّةُ أم نيامُ

فَفِرّي عن رِحالِكِ ثم قولي ... على الإسلامِ والعَرَبِ السَّلامُ

وكتب أيضاً يقول في الحالة :

أبْلِغ ربيعةَ في مروٍ وفي يمنٍ
أنِ اغْضَبوا قبل أن لا يَنْفَعَ الغضبُ

ما بالُكُم تُنْشِبون الحربَ بينكم
كأنّ أهلَ الحجى عن رأيهم عُزُبُ

وتتركون عَدُوًّا قد أحاط بكم
مِمّن تَأَشّب لا دينٌ ولا حَسَبُ

ويقول في آخر الأبيات عن القائمين بالدعوة العباسية :

مَن كان يَسأَلُني عن أصلِ دينهم ... فإنّ دينَهم أن تَهْلِكَ العَرَبُ

قومٌ يقولون قولاً ما سمعتُ به ... عن النبيِّ ولا جاءت به الكُتُبُ

ثم كتب إلى يزيدَ بن عُمَرَ بنِ هُبَيْرةَ الفَزاري عاملِ مروانَ على العراق يستمدّه :

أبْلِغ يَزيدَ وخيرُ القولِ أصدقُه ... وقد تَبَيَّنْتُ أنْ لا خيرَ في الكذبِ

بأنَّ أرضَ خراسانٍ رأيتُ بها ... بَيْضاً لو أفْرِخَ قد حُدِّثتَ بالعَجَبِ

فِراخَ عامين إلاّ أنّها كَبِرَت لمّا يَطِرْنَ وقد سُرْبِلْنَ بالزَّغَبِ

فإن يَطِرْنَ ولم يُحتَلْ لَهُنَّ بها يُلْهِبْنَ نِيرانَ حَرْبٍ أيّما لَهَبِ

ولمّا يَئِس نصرُ بنُ سيّارٍ من نجدةِ مروانَ له خرج من خراسان، وكتب إلى مَرْوان يُخْبِرُه بذلك يقول :

إنّا وما نَكْتُمُ مِن أمرِنا كالثورِ إذ قُرِّبَ للناخِعِ

أو التي يَحْسَبُها أهلُها عَذْراءَ بِكراً وهي في التاسِعِ

كنا نُرَقِّيها فقد مُزِّقَتْ واتّسَع الخرقُ على الرّاقِعِ

كالثَّوْبِ إذ أَنْهَجَ فيه البِلَى أعيا على ذي الحيلةِ الصانِعِ

إلى آخِرِه .

وآخر هذه الأبيات مأخوذ من قول شُقْران السّلامي في مقتل الوليد ابن يزيد :

لا نَسَبَ اليومَ ولا خُلَّةٌ اتّسعَ الخرق على الراقع

إن الذي رَبّضها أمْرَه سِرًّا وقد بَيَّن للناخع

لَكالَّتي يحسبها أهلُها عذراء بكراً وهي في التاسع

فاركب من الأمر قراديدَه بالحزم والقوة أو صانِع

حتى ترى الأجدع مُذْلَوْلِياً يلتمس الفضلَ من الجادع

كنا نداريها وقد مُزّقت واتسع الخرق على الرّاقع

كالثوب إذ أنهج فيه البِلَى أعيا على ذي الحيلة الصانع

ويقال إن البيتين الأخيرين ليسا من شعر شُقْران، ولكن سمط اللآلي نسبهما إليه وقال إن نصرَ بن سَيّار ضمنهما في شعره .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وَلِي دُونَكُمْ أهلونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ   وأرْقَطُ زُهْلولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَلُ

عليبان محسن بن الطابع بن يونس
المكناس – تونس

★

الشنفرى

● **الجواب :** هذا البيت للشَّنْفَرَى من لاميةِ العرب ومطلعُها :

أقيموا بني قومي صُدورَ مَطِيِّكمْ   فإني إلى قومٍ سِواكم لَأَمْيَلُ

والشنفرى شاعرٌ قحطاني من الأزد ، وهو أحدُ المُتَلَصِّصين المشهورين ومنهم أيضاً تأبط شرّا وعمرو بن بَرّاق ، وكان هؤلاء الثلاثة أعدى العدائين عند العرب لا تلحقهم الخيل ، وجرى المثلُ بالشنفرى فقالوا : أعـدَى من الشنفرى . وهو من الجاهليين ومن أغربة العرب . وذكر المعَري في شرحِه على الحماسة أنه ابنُ أخت تأبط شرا ، وأنه رثى خالَه هذا باللاميـة الأخرى المشهورة التي مطلعها :

إنّ بالشِعْب الّذي دون سَلْعٍ   لَقتيلاً دَمُه مـــا يُطَلّ

وسَلْعُ حِصن بوادي موسى من عَمَل الشَوْبَك في الأردن ، وهو الذي يسميه الناس الآن بالبتراء خطأً لأن هذا الاسم منقول عن اللغات الأجنبية وأصله Petra أي الصخر ، سمّاه الرومان بذلك لوعورةِ المكان بالنسبةِ إلى ما حوله ، أو إلى سائرِ بلاد العرب الصحراوية . وكانت سَلْع هذه عاصمةَ الأدوميين القدماء ، فأخذها منهم النبطيون ، وجعلوها عاصمتَهم سنة ٣٠٠ تقريباً قبل الميلاد وظلت كذلك حتى سنة ١٠٥ بعد الميلاد ؛ وهي على سَفْحِ جبلِ هارون أو جبل هُور القديم . واستولى عليها العربُ في أولِ فتوحاتهم في القرن السابع الميلادي وأخذها الصليبيون في القرن الثاني عشر . واكتشف خرائبَها بركهارت سنة ١٨١٢ ، وهي من أهم المواقعِ الأثرية في الأردن الآن .

ويقال إن الشنفرى لَقَبٌ للشاعر وإنّ اسمَه شُمسُ بن مالك وإنه مات قبل تأبط شرا ، وإنــه ليس ابنَ أخته ، وإنّ هذه القصيدة أي قصيدةَ (إن بالشِعب الذي دون سَلْعٍ)..هي لِخَلَفِ الأحمر ،استناداً في التسمية على قول تأبط شرّا :

إنّي لَمُهْدٍ مِن ثَنائي فقاصِدٌ   به لابن عَمّ الصِدْق شُمْس بن مالِكِ

وقال المعري في شرح هذا البيتِ من الحماسة : ليس في العرب شُمْس(بضَم الشين) غيرُ هذا ، ولكنّ العلامةَ العسكري قال : كُلُّ ما جاء في أنساب اليمن فهو شُمس (بضم الشين) وكُلُّ ما جاء في قريش فهو شَمْس (بفتح الشين) .

وذكر بعضُهم أن اسمَ الشنفرى ثابت أو عمرو . وقال شارح القاموس انّ الشنفرى لقب عمرِو بنِ مالك .

وفي البيت المسئولِ عنه كلماتٌ تحتاج إلى تفسير. فالسِّيد الذئب ،والسِّيدة

الذئبة ، وربمـا سُمّي الأسد بالسِّيد ، والعَمَلَّس القويُّ الشديد على السير السريع ، والأرْقَـط أراد به النَّمِر وهو ما يكون فيه سوادٌ يشوبه نُقَطٌ بيضٌ ، والزُّهْلول الأملس ، ويقال للضبع عَرْفاء لكثرةِ شَعْرِ عُرفِها وشعرِ رقبتها ، وجَيْأَل اسم معرفة للضبع . يريد بقوله هذا أن أهلَه هم ما ذكره من الوحوش لا سواهم لأن هذه الوحوش لا تُذيع سِرًّا ولا تَخذِل مَن ارتكب جريرة ، يدلُّ على ذلك قوله في البيت الذي يلي البيتَ المسئولَ عنه :

هُمُ الأهلُ لا مُستَوْدَعُ السِّرِّ ذائع لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ

وقال « لديهم » بصفة العاقل لأنه جعل الوحوش بمقام الأهل فذَكَرهم بضمير العقلاء .

وفي القصيدة أبياتٌ مشهورة ، منها :

وفي الأرضِ مَنْأىً للكريم عن الأذَى
وفيها لِمَن خـاف القِلَى مُتَعَزَّلُ

وإنْ مُدَّت الأيدي إلى الزاد لم أكُن
بأعجَلِهم إذ أجْشَعُ القوم أعجلُ

أديم مِطـالَ الجوع حتى أُمِيتَه
وأضْرِب عنه الذكرَ صَفحاً فأذْهَلُ

ولكنَّ نفسـاً مُرَّةً لا تُقيم بي
على الذامِ إلاَّ ريثما أتحـوَّلُ

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشتَرَى فَسِواكَ بائعُها وأنتَ المُشتَري

ابراهيم أسعد
جبل الزاوية — سورية

★

ابن المولى

● **الجواب :** هذا البيت لابن المولى من أبياتٍ يَمدح بها يَزيدَ بنَ حاتم بن قَبيصة بن المهلَّب ، وابنُ المولى كنيةُ محمدِ بنِ عبدِ الله بن مُسلِم بنِ المولى ، وكان شاعراً مُجيداً من الذين عاصروا الدولتين الأمَوية والعباسية . وقَدِم على الخليفةِ المَهْدي ومَدَحه بقصائدَ عديدة ؛ وذكر أخبارَه كتابُ الأغاني . أمّا بقيةُ الأبيات فهي :

وإذا تَوَعَّرت المسالِكُ لم يَكُن منها السبيلُ إلى نَداكَ بأوْعرِ

وإذا صَنَعْتَ صنيعةً أتْمَمْتَها بيَدينِ ليس نداهما بِمُكَدَّرِ

وإذا هَمَمتَ لِمُعْتَفيكَ بنائلٍ   قال الندى فأَطعتَه لَكَ أكْثِرِ

يا واحِدَ العُرب الذي ما إنْ لهم   مِن مَذْهبٍ عنه ولا مِن مَقْصَرِ

ومعنى البيت الأول أنّ الأعمالَ الكريمةَ هي مِن صفاتِ الرجالِ الأحرار، ولكنّها لو قَدّر اللهُ لها أن تُباعَ وتُشترى فلا تَبيعُها أنتَ بل يَبيعُها سواك، ولا يشتريها سواك بل أنت وَحدَكَ الذي يَشتريها . ومِن قبيلِ ذكرِ الشيء بالشيء أنّ ابنَ الخياط الشاعرَ وفَدَ يوماً على حَلَبَ وكان فيها أبو الفِتيان، فكتَبَ إليه الشاعرُ هذين البيتين :

لم يَبْقَ عندي ما يُباع بدرهم   وكفاكَ مني مَنظري عن مَخْبَري

إلاَّ بَقِيَّةُ مــاءِ وجهٍ صُنتُها   عن أن تُباعَ وأينَ أينَ المشتري

فقال أبو الفِتيان : لو قال : وأنتَ نِعْمَ المشتري لـكان أحسن .

وذكر الحكايةَ عن ابنِ المولى ويَزيدَ بنِ حاتم ابنُ خِلِّكان في وَفيات الأعيان وزاد على الأبياتِ بيتين آخرين وهما :

وإذا تَخَيَّلَ مِن سَحابكَ لامعٌ   سَبَقَت مَخيلَتُه يَدَ المُسْتَقْطِرِ

وإذا الفوارسُ عدَّدَت أبطالَها   عَدُّوك في أبطالهم بالخِنْصَرِ

وقوله بالخِنْصَر أي بالأصبع الصُغرى أو الوسطى، وكان العرب إذا رفعوا من شأنِ أحدهم أشاروا إليه بالأصبع الوسطى .

ولمّا صار أبو الفتيان أميرَ مصر وَفَدَ عليه ومدحه بقوله :

يا واحِــدَ العَرَب الذي   أضحى وليس له نظــيرُ

لو كان مِثْلَكَ آخَرٌ ما كان في الدنيا فقيرُ

فدَعا يزيدُ بخازنه وقال : كم في بيتِ المال : قال فيه من الوَرَق والعَين (أي من الدراهم المضروبة والسبائك) ما مَبلغُه عشرون ألفَ دينار . فقال يزيد : إدْفَعْها إليه . وقال لابن المولى : يا أخي ، المعذِرةُ إلى الله تعالى وإليك ، ولو أنّ في ملكي غيرَها لما ادخرتُها عنك .

وذكر كتابُ زهر الآداب الأبياتَ التي سأل عنها السائل الكريم ولكنه نسبها إلى ابن المبارك .

والمعروف عن يزيدَ بن حاتم أنه من الأجواد والأبطال . كيف لا ؟ وهو من آل المهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي ، واشتهروا بحربهم للخوارج ، حتى إن يزيدَ هذا سار إلى مصر لمحاربة الخوارج هناك بعد أن ثاروا على عُمَرَ بن حفص عاملِ المنصور العباسي على مصر ، وذلك في سنة ١٥٤ ، فحاربهم ودخل مدينة القيروان سنة ١٥٥ وصار والياً على افريقية . وكان بين الولاة في ذلك الزمان واليان مشهوران : أحدهما يزيد بن أُسيد من سُليم والي أرمينيا والثاني يزيدُ بنُ حاتم. فقصد الشاعرُ ربيعةُ الرَّقي يزيدَ بنَ أُسيد المعروف بيزيدِ سُلَيم فمدحه ولكنه لم يُحْسِن إليه ، ثم مَدَح يزيدَ بنَ حاتم فأحسن إليه هــذا وبالغ بالإحسان ، فقال ربيعةُ قصيدة يُفضّل فيها يَزيدَ بنَ حاتم على يزيدِ سُلَيم وكان في لسان يزيد سُليم هذا تمتمة فقال في قصيدته :

حَلَفْتُ يميناً غيرَ ذي مثْنَويّةٍ يمينَ امرىءٍ آلَى بهــا غيرَ آثِمِ
لَشتّانَ ما بين اليزيدين في الندى يَزيدُ سُلَيم والأغرُّ ابنِ حاتِمِ
يَزيد سُلَيمٍ سالمَ المالَ والفتى أخو الأزد للأموالِ غيرُ مُسالِمِ

فَهَمُّ الفتى الأزديِّ إتلافُ ماله وَهَمُّ الفتى القيسي جمعُ الدراهمِ

فلا يَحْسَبِ التَّمتامُ أني هَجوتُه ولكنني فَضَّلتُ أهلَ المكارمِ

فيا أيها الساعي الذي ليس مُدرِكاً بِمَسْعاتِه سَعْيَ البحورِ الخضارمِ

سَعَيْتَ ولم تُدرِكْ نوالَ ابنِ حاتم لِفَكِّ أسيرٍ واحتمال العظـائمِ

كفاكَ بناءَ المَكْرُماتِ ابنُ حاتم ونِمْتَ وما الأزديُّ عنها بنائمِ

والأبيات طويلة ، ويقول منها :

ألاَ إنمـا آلُ المهلَّبِ غُرَّةٌ وفي الحرب قاداتٌ لكم بالخزائم

إلى آخره .

وقال دِعْبلُ بن عليّ الخُزاعي : قلتُ لِمَروانَ بنِ أبي حفصة الشاعر : يا أبا السِّمط ، مَن أشعَرُكم من جماعةِ المحدَثين ؟ قال : أيسرُنا بيتاً ؟ قلتُ : ومن هو ؟ قال الذي يقول :

لَشتّانَ ما بين اليزيدين في النـدى
يَزيـدِ سُلَيمٍ والأغرِّ بنِ حـاتِمِ

وممّا يُذكَر بمناسبةِ ربيعةَ الرقي وهذا الشعر أيضاً أنّ أبا جعفرٍ المنصور ولّى – كما قلنا – يزيدَ بنَ حاتم أفريقية ، وولّى يزيدَ سُلَيم ديارَ مصر . فخرجا معاً ، فكان يزيدُ المُهلّبي وحدَه يقوم بكفايةِ جيشِ افريقية وجيشِ مصر معاً ، فقال ربيعةُ الرقي في ذلك مشيراً إلى تقصير يزيدِ سُليم :

يَزيدَ الخيرِ إن يزيدَ قومي سَمِيّك لا يَجود كما تَجودُ

تقودُ كتيبةً ويقود أخرى فَتَرْزُقُ مَن تَقودُ ومَن يَقودُ

وهذا يَدُلُّ على أن ربيعةَ الرقي المذكورَ كان مولىً لبني سُلَيم لقوله : إن يَزيدَ قومي ، أي يَزيدَ سليم .

وكان لِيزيدَ بنِ حاتم أخٌ يقال له رَوْحُ بنُ حاتم ، فقصده ربيعة الرقي المذكور ، فلم يَرَ منه من الإحسان ما كان يَرْجوه فنظم أبياتاً يَذُمُّه قال منها :

أراني ولا كُفْرانَ للهِ راجعاً
بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ مِن نَوالِ ابنِ حاتمِ

وفي ابن خلكان أخبارٌ أخرى عن ابنِ المولى وعن يزيدَ بنِ حاتم .

و « شَتّانَ » أو « شَتانِ » اسم فعل بمعنى بَعُدَ ، فيقال : شَتّانَ بينهُما بضم نون بينهُما ويقال : « شَتّانَ ما هُما وما بينَهما ، وشتانَ ما زيدٌ وأخوه » . ويقول الأصمعي : شَتّانَ ما بينَهما ، ويقول إنَّ بيتَ ربيعة الرقي :

لشَتّانَ ما بين اليزيدين في الندى ...

ليس بحُجّة ، ولكنَّ الحُجّةَ قولُ الأعشى :

شَتّانَ ما يَوْمي على كُورِها ويَوْمُ حَيّانَ أخي جابرِ

والمشهور : شتّانَ ما بين الثريا والثَّرَى . وفي الزمخشري :

شَتّان خِلْوٌ نائمٌ وهو على سَهَرٍ مُكِبُّ

ويقول المُخَيَّم الراسبي :

شتّانَ بين مُحمَّدٍ ومُحَمَّدٍ ... حيٌّ أماتَ ومَيِّتٌ أحْياني

ويقول أبو الحسن السُّلامي مِن أرجوزة :

شَتّانَ ما بين الأسودِ والنَّقَدْ ... هل يَسْتَوي البَحرُ الخِضَمُّ والثَّمَدْ

وهذا يَدل على صحةِ استعمالِ الوجهين أي باستعمالِ (ما) أو (بين) بعد شتان .

وقولهم: شتان بين مُشَرِّق ومُغَرِّب، أي الفرق بعيد بين المشرق والمغرب.

وحكاية المُخَيَّم الراسبي الذي ذكرنا بيته آنفاً أنه كان مُنقَطِعاً إلى محمد ابن يزيد بن منصور فكَسَبَ معه ألفَ درهم ، فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى ابن خالد البرمكي فأساء هذا صحبته فقال فيه :

شتان بيـــن مُحَمَّد ومحمَّد ... حيٌّ أمات ومَيِّت أحيـــاني

فصَحِبتُ حياً في عطايا ميت ... فبقيتُ مُشْتمِلاً على الخسران

ويقول أبو الأسود الدؤلي لجار له كان يؤذيه :

وإني لَيَثْنيني عن الشتم والخَنَى ... وعن سَبِّ ذي القربى خلائق أربع

حيـــاءٌ وإسلامٌ وبُقيا وأنني ... كريمٌ ومثلي قد يَضُرُّ وينفع

وشتّان مـــا بيني وبينك إنني ... على كلِّ حـــالٍ أستقيم وتَظْلع

والشَّتّ المتفرق ، والجمع أشتات ، ومنه قول جميل بثينة :

وقد تلتقي الأَشتاتُ بعد تَفَرُّق ... وقد تُدْرَك الحاجات وهي بعيد

والشَّتيت هو المُفْتَرق ، ومنه قول مجنون ليلى وأبي سعيد الـكاتب :

وقد يَجمع الله الشتيتين بعدمـا ... يَظُنّان كلَّ الظن أن لا تلاقيـا

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة مع الشرح :

نَدِمتُ ندامـــةَ الكُسَعِيّ لمّا   غَدَت مني مُطَلَّقَةً نَوارُ

عمر أبو سفيان
الزرقاء – الأردن

★

الفرزدق

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر الفرزدق ، قاله من جملةِ أبيــات حينما طَـلّـَق امرأتـَه النـّوارَ ، وفيها يقول :

ندمتُ ندامةَ الكسعي لمّا   غَدَت مني مطلقةً نَوارُ

وكانت جنتي وخَرَجتُ منها   كآدمَ حين أخرجه الضِرارُ

فأَصبحتُ الغداةَ ألومُ نفسي   بأمرٍ ليس لي فيه خيارُ

وكنتُ كفاقىءٍ عينيه عَمْداً   فأَصبح ما يُضيءُ له نهارُ

والنـّوارُ زوجةُ الفرزدق ، وهي ابنة عمّه ، وكان خطبها رجلٌ من قريش

فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكونَ وَليّها لأنه كان ابنَ عمّها ، فطلب إليها أن تُشهِد شهوداً على أنها قد جعلت أمرَها إليه ، فأشهَدَت ، فقال الفرزدق للشهود: قد أشهَدَتكم أنها جعلت أمرَها إليّ، وأنا أُشهِدُكم أنني قد تزوجتُها. فغَضِبت من ذلك ، وخرجت من البصرة إلى عبدِ اللهِ بنِ الزبير في مكة وكان في ذلك الوقت حائزاً على الحجاز والعراق ، وخَرَجَ الفرزدقُ أيضاً إليه . أمّا النّوار فنزلت على خولةَ بنتِ منظور بن ريّان الفزاري ، وكانت امرأةَ عبدالله بن الزبير وسألتها الشفاعة ، وأما الفرزدق فنزل على حمزةَ بنِ عبد الله ابن الزبير وهو ابنُ خولةَ المذكورة ومَدحه وسأله الشفاعة فوعده بها . فتكلمت خَوْلةُ في النوار تدافع عنها أمام ابن الزبير وتكلّم حمزةُ في الفرزدق. ومدح الفرزدقُ حمزةَ بقوله :

أصبحتُ قد نَزَلتُ بحمزةَ حاجتي
إنّ المُنَوَّهَ باسمِه المَوْثوقُ

بأبي عِمارةَ خيرِ مَن وَطِىء الحَصا
وجَرَت له في الصالحين عُروقُ

بين الحَواريِّ الأغرِّ وهاشِمٍ
ثم الخليفةُ بعدُ والصِّدّيقُ

وانتهى الأمرُ بأن غَلَبت النّوارُ على الفرزدق وقضى ابنُ الزبير عليه ، فقال الفرزدق يشكو من ذلك ويُشير إلى قَبولِ ابنِ الزبير شفاعةَ زوجته دون ابنه :

أمّا البنونَ فلم تُقبَل شفاعَتهم
وشُفِّعت بنتُ مَنظورِ بنِ رَيّانا

ليس الشفيعُ الذي يأتيكَ مُؤتزِراً

مِثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُريانا

فلمّا سَمِع ابنُ الزبير شعرَه وقف على أمره، فلقِيَه يوماً بباب المسجد فلزّه إلى الحائط لزةً شديدةً حتى كادت تزهَق روحُ الفرزدق، وكان ابنُ الزبير قويًّا أيِّداً، ثم هزه وتركه خائفاً. ودخل على النوار وقال لها: إمّا أن تُتمِّي زواجَ ابنِ عمك وإلاّ قتلتُه وأرحتُ المسلمين من شرّ لسانه. فقالت له: لا والله، لا أدعُه للقتل قد رَضيتُه. فتزوّجتْه وَولدت له عدةَ أولاد وهم: لَبَطة وسَبَطة وحَبَطة ورَكَضَة وزَمَعة. وقال ابن خالَوَيْه: ومن أولادِ الفرزدق كَلَطة وجَلَطة. ولكنها كانت دائماً معه على خِلاف، لأنها كانت صالحةَ الدين، وكان هو رديءَ الدين قاذفاً للمُحْصَنات، فما زالت تُؤذيه بلسانها حتى أبغضها، وعزم على طلاقها. وذهَب بصحبةِ صديقٍ له إلى الحسَنِ البصري وقال: إنّ النَّوارَ طالِقٌ مني ثلاثاً. فقال الحسن: قد سمعنا. فلما ذهب الفرزدقُ التَفتَ إلى صديقه وقال له: يا هذا إن في قلبي من النوارِ شيئاً، وقد نَدِم على طلاقها. وقال الأبيات.

وتكلم العربُ كثيراً عن ندامةِ الكُسَعي، وضربوا بها الأمثال، وقالوا فيها الأشعار. ولا حاجةَ إلى ذكر حكايةِ الكُسَعي. فقد أوردتُها كاملةً في الجزءِ الأول من كتاب «قول على قول». ولكن أكتفي بذكر أبياتٍ في ندامة الكسعي. فيقال إن طَلْحَةَ بنَ عبيدِ الله قال لمّا توَلّى عن علي رضي الله عنه:

نَدِمتُ ندامةَ الكُسَعي لمّا طلبت رضا بني جَرْمٍ بِرَغْمي

ويقول الحسين بن الضَّحّاك الشاعر:

مُحِبٌّ نال مُكْتَتِماً صَفاهُ وأَسْعَده الحبيبُ على هَواهُ

فأصبح لا يُلام بما جَناهُ من التقصير إنسانٌ سواه
أسَرَّ ندامــةَ الكُسَعي لمَّا رأتْ عيناه ما فَعَلَت يداهُ

ويقول عَدِيُّ بنُ مَرينا لعديِّ بن زيد من حكاية :

ألاَ أبلـغ عَديـًّا عن عَديٍّ فلا تَجْزَع وإن رَثَّت قُواكا
فإن تَظْفَرْ فلم تَظْفَرْ حميداً وإن تَعْطَب فلا يَبْعَدْ سِواكا
نَدِمتَ ندامـةَ الكُسَعِيِّ لمَّا رأت عيناكَ ما صَنَعتْ يداكا

ويقول محمد بن عيسى التميمي :

نَدِم البغاةُ ولات ساعةَ مَنْدَمِ والبغي مرتــع مبتغيـه وخيم

وأشار الحريري في إحدى مقاماته إلى ندامة الفرزدق والكسعي فقــال : غَشِيتني ندامةُ الفرزدق حين أبان النـوار والكُسَعي لمـّا استبان النهار .

ورأيت في الطبري أنه لمـّا مضى الزبير بن العوام إلى وادي السباع لا يريد الدخول في الحرب قبل وقعة الجمل أصيب طلحة بسهم غَرَب فدخل ركبته وسال منه الدم فدخل البصرة وقال :

فإن تكن الحــوادث أقصدتني وأخطاهُـن سهمي حين أرمي
فقد ضُيِّعتُ حين تبعتُ سهماً سفاهاً مـا سَفِهت وضلَّ حِلمي
ندِمتُ ندامــةَ الكسعي لمَّا شَرَيت رضـا بني سهم برغمي
أَطعتُهُم بفُرقــة آلِ لأيٍ فالْقَوا للسبـــاع دمي ولحمي

● **السؤال :** من قائل هذا البيت وفي أي مناسبة :

أمّا بيوتُكَ في الدنيا فواسِعةٌ   يا ليتَ قَبْرَكَ في أخراكَ يَتَّسِعُ

محمد شكري ابراهيم

الراهدة – الجمهورية العربية اليمنية

★

سَلَمة الأحمر

● **الجواب :** هذا البيت لِسَلَمَةَ الأحْمَر مِن حكايةٍ يقولها سَلَمةُ نفسُه ، قال : دَخَلْتُ على هارونَ الرشيد ، فلمّا رأيتُ القصورَ (الواسعةَ العالية) أنشأتُ أقول :

أمّا بيوتُك في الدنيا فواسِعَةٌ   يا ليتَ قَبْرَكَ في أُخراكَ يَتَّسِعُ

فجَعل هارونُ يبكي . ثم قال : يا سَلَمة عِظْني وأوْجِزْ . فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، لو كنتَ في فَلاةٍ من الأرض فعَطِشْت ، فبِكَم كنتَ تشتري شُرْبَةَ ماءٍ تَرْوى بها ؟ قال : بنصفِ ما أملك . قُلت : فإن أعطيتَها فلمّا صارت في جَوْفِك أبت أن تَخْرُجَ ، فبِكَم كنتَ تشتري

خروجَها ؟ قال بالنّصْفِ الآخر. قلتُ : فلَعن اللهُ دُنيا تُباعُ بشَرْبَةِ ماءٍ وبَوْلة . فبكى هارون واشتد بكاؤه .

ومِثلُ هذه الحكاية ما رواه الأصمعي قال: صَنَع الرشيدُ طَعاماً وزخرفَ مجالِسَه وأحْضَر أبا العَتاهِيَةِ وقال له : صِفْ لنا ما نحنُ فيه مِن نعيمِ هذه الدنيا ؛ فقال أبو العتاهية :

عِشْ ما بدا لكَ سالماً	في ظِلِّ شاهِقَةِ القُصورِ
يُسْعَى إليكَ بما اشتهيتَ	لَدَى الرَّواح أو البُكورِ
فإذا النفوسُ تَقَعْقَعَت	في ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدورِ
فَهُنــاكَ تَعْلَمُ مُوقِناً	ما كُنْتَ إلاَّ في غُرورِ

فبكى الرشيد : فقال الفضلُ بنُ يحيى : بَعَثَ إليكَ أمــيرُ المؤمنين لِتَسُرَّه فحَزَنْتَه . فقال الرشيد : دَعْهُ فإنه رآنا في عَمىً فكَرِه أن يَزيدَنا منه .

وأنشد أبو النجم الراجز هشامَ بن عبد الملك مشهورة يقال إنهــا أجود أرجوزة للعرب ، ومطلعها : الحمدُ لله الوهوبِ المُجزِلِ . وكان هشام يصفق بيديه طرباً بالشعر واستحساناً له ، إلى أن وصل أبو النجم إلى قوله :

حتى إذا الشمس جلاها المُجْتَلي بين سِماطَيْ شَفَقٍ مُرَعْبَلِ
صَفْواءُ قد كادت ولمَّا تَفعَلِ فهي على الأُفق كعين الأحول

فلما سمع هشام ذلك، وكان أحول، استشاط غضباً وأمر بإخراج أبي النجم.

وكنت قد ذكرت في غير هذا الموضع من سلسلة كتب « قول على قول » أشياء أُخرى من هذا الباب .

● **السؤال :** من القائل :

جوادٌ إذا استغنيتَ عنأخذِ مالِه ‏ ‏ وعند احتمال الفقر عنك بخيلُ

فما أكثرَ الإخوانَ حين تَعُدُّهم ‏ ‏ ولكنهم في النائبات قليلُ

خليفة بن محمد بن علي
صفاقس – تونس

★

علي بن أبي طالب

● **الجواب :** هذان البيتان منسوبان إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، من أبياتٍ تُنسَب أيضاً إلى الإمام الشافعي ، كما كنتُ أشرتُ إلى ذلك في مناسبةٍ سابقة . والأبيات مشهورة ، وأكثرُ ما يُنْسَب إلى الإمام علي من هذه الأبيات ثلاثةُ أبياتٍ :

ولا خيرَ في ودِّ امرىءٍ مُتَلَوِّنٍ ‏ ‏ إذا الريحُ مالت مال حيث تَميلُ

جوادٌ إذا استغنيتَ عن أخذِ ماله ‏ ‏ وعند احتمالِ الفقرِ عنك بخيلُ

فما أكثرَ الأخوانَ حين تَعُدُّهم ولكنّهم في النائباتِ قليلُ

ويُذكّرني هذا بقول حسّان بن ثابت :

أخِلاّءُ الرجالِ هُمُ كثيرٌ ولكنْ في البلاءِ هُمُ قليلُ
فلا يَغرُرْكَ خُلَّةُ مَن تُصافي فما لَكَ عند نائبةٍ خليلُ
وكم خِلٍّ يقول أنا وَفيٌّ ولكنْ ليس يَفعَلُ ما يَقولُ
سوى خِلٍّ له حَسَبٌ ودينٌ فذاك لِما يقول هو الفَعولُ

ولابن الرومي ما هو في هذا المعنى حيث يقول :

مَن تَصدّى لِأخيه بالغِنَى فهو أخوه
فإن احتاج إليه رام منه ما يسوه
يُكرَم المُثري فإن أملَق أقصاه بنوه
أنتَ ما استغنيت عن صاحِبِكَ الدهرَ أخوه
فإن احتجتَ إليه ساعةً مَجَّكَ فوه

وقال العَنَزي ، أو حمّاد عجرد :

كم من أخٍ لكَ لستَ تُنكِرُه ما دُمتَ مِن دنياكَ في يُسرِ
مُتَصَنِّعٍ لكَ في مودته يَلْقاكَ بالترحيبِ والبِشرِ
فإذا عدا ، والدهرُ ذو غِيَرٍ دَهرٌ عليكَ عدا مع الدهرِ

ويقول أبو العتاهية :

أرى قوماً وُجوهُهم حِسانٌ ... إذا كانت حوائجُهم إلينا
وإن كانت حوائجُنا إليهم ... يُقَبِّح حُسْنُ أَوْجُهِهِم علينا

وأنشد الرياشي :

إذا ذَهَب التكرمُ والوَفاء ... وباد رجالُه وَبَقَى الغُثاء
وأَسْلَمني الزمانُ إلى رجالٍ ... كأَمثالِ الذئابِ لها عُواء
أَخِلاَّء إذا استغنيتَ عنهم ... وأعداءٌ إذا نزَلَ البلاء

ويقول ابنُ مُحَلَّم :

فإنَّ الغِنَى مُدْني الفتى مِن صديقه ... وعُدْمُ الغِنى بالمُقْتِرينَ نَزوحُ

ويقول أبو فراسِ الحَمْداني :

أُقَلِّب طَرْفي لا أرى غيرَ صاحب ... يَميلُ مع النَّعماء حيث تَميل

ويقول القاسم بن سعيدٍ القُرَشي :

وصاحبٍ قد كنتُ أدعو له ... أن تُجْعَلَ الدُّنيا جميعاً إليهُ
حتى إذا صارت إلى حَظِّه ... منها وصارت حاجتي في يديه
زال عن الوعد وعن ودِّنا ... وأظهر الشُّحَّ بما في يديه
فما مَضى بعد دعائي إليه ... يومان حتى صِرْتُ أدعو عليه

ويقول ابراهيم بن العباس الصولي لابن الزيّات :

وكنتَ أخي بإخاء الزمـــان فلمّا نبــا صِرتَ حرباً عَوانا
وكنتُ أذمُّ إليــكَ الزمانَ فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمــانا
وكنتُ أعِدُّك للنائبـــات فأصبحتُ أطلب منك الأمانا

ويقول في أحمد بن المُدَبّر :

وكنتَ أخي بالدهرِ حتى إذا نبا نَبَوْتَ فلمّا عاد عُدْتَ مع الدهر

ويقول أيضاً لابن الزيات :

أخٌ بيني وبـــين الدهر صاحِبُ أيّنا غَلَبـــا
صديقي مـا استقام وإن نبـــا دهرٌ عليَّ نبا
وَثَبْتُ على الزمانِ بـه فعاد به وقـــد وَثبا
ولو عـــاد الزمان لنـا لعـاد بـــه أخاً حَدِبا

ويقول في أحمد بن المُدَبّر :

هب الزمانَ رماني الشانُ في الخُلاّنِ
يا مَن رمـــانِيَ لمّا رأى الزّمانَ رماني
ومَن ذَخَرتُ لنفسي فصار ذُخر الزّمانِ
لو قيل لي خُذْ أمانا مِن أعظم الحَدَثانِ
لمّا أخذتُ أمـــانا إلاّ من الإخوانِ

ولمّا غَضِب السلطانُ علي بنِ مُقلة وأمر بقطع يده لمّا بلغه أنه زوّر عنه كتاباً إلى أعدائه وعزله لم يأتِ إليه أحد مِمّن كان معه ولا توجّع له ، ثم إن السلطان راجع فكرَه وظهَر له أن ابنَ مُقلة بريء مما نسب إليه فعفا عنه وردّ إليه وظائفَه ، فقال ابنُ مقلة في ذلك :

تحالف النـاسُ والزمـانُ ... فحيث كان الزمانُ كانوا

عـاداني الدهرُ نصفَ يوم ... فانكشف النـاسُ لي وبانوا

يا أيهـا المُعرِضون عنـا ... عودوا فقد عاد لي الزمان

ويقول جرير :

فأنتَ أخي ما لم تكن لِيَ حاجةٌ ... فإن عَرَضت أيقنتُ أن لا أخا لِيا

ويقول أبو العتاهية :

لو رأى الناسُ نبياً ... سائلاً مـا وصلوه

أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهرَ أخوه

فإذا احتجتَ إليه ... ساعـةً مَجَّك فوه

وينسب البيتان الأخيران إلى ابن الرومي كما مرّ معنا سابقاً .

ويقول أبو العتاهية :

ما الناسُ إلاَّ مع الدنيا وصاحبها ... فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا وإن وثبت ... عليه يوماً بما لا يشتهي وثبوا

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وما كنتُ مِمّن يَدْخُلُ العِشقُ قلبَه
ولكنَّ مَن يُبصرْ جُفونَكِ يَعْشَقِ

عبد الحي العمراني
شارع شحادة – درب بنجلتون – فاس – المغرب

★

المتنبي

● **الجواب :** هذا البيت للمتنبي من قصيدةٍ مطلعها :

لِعَيْنِكِ ما يَلْقى الفؤادُ وما لَقِي   ولِلْحُبِّ ما لم يَبْقَ مني وما بَقِي

ويأتي البيتُ المسئولُ عنه تِلْوَ المطلع . ويقال إن معنى البيت مأخوذ من قول صريع الغواني عن نفسه :

وقد كان لا يَصبو ولكنَّ عينَه   رأت منظراً يُضني القلوبَ فرانها

وفي هذا المعنى قال العرب أشعاراً كثيرة ، منها مثلاً قولُ ابنِ المعلم :

سَلْ مَن بعينيه يَصولْ أهيَ اللّحاظُ أمِ النُصولْ
ما جُرِّدَت يومَ النَّوَى إلاّ لتختلسَ العقولْ
شَهَرَت عُيونُهم سُيوفاً ما بِمَضرِبها فُلولْ
تُصمي بغير جِراحةٍ تَفري بغيرِ دمٍ يَسيلْ
ولها بأفئدةِ الهوَى فَتْكٌ وليس لها صَليلْ

ولابن الرومي :

يا عليلاً جعَلَ العِلَّةَ مِفتاحاً لِظُلْمي
ليس في الأرضِ عليلٌ غيرُ جَفنَيْكِ وسُقْمي
بكِ سُقْمٌ في جُفونٍ سُقْمُها أكَّدَ سُقْمي

ولابن الرومي أيضاً :

نَظَرَتْ فأَقْصَدَت الفؤادَ بِطَرْفِها
ثم انْثَنَتْ عني فَكِدْتُ أهِيمُ
وَيْلايَ إن نَظَرَتْ وإن هي أعرَضَت
وَقْعُ السهامِ ونزعهُنَّ أليمُ

ولسهلِ بنِ هارون :

أعانَ طَرْفي على قلبي وأعضائي بِنَظرةٍ وَقَفَت جِسْمي على دائي
وكنتُ غِرًّا بما يُجنَى على بَدَني لا عِلْمَ لي أنَّ بَعضي بعضُ أعدائي

وللنـّظـّام :

إنّ العُيونَ على القلوبِ إذا جَنَت   كانت بَلِيّتُهـــا على الأَجْساد

ومن شِعر المِيكالي :

عَذيري مِن جُفونٍ راميات ٍ   بِسَهْمِ السِّحْرِ من عَيْنَيْ غَزَال
غَزاني طَرْفُـه حتى سبـــاني   لأَنْتَصِرَنَّ منه بمن غَزَا لي

ولابنِ النقيب ما هو قريبٌ من معنى بيت المتنبي المسؤول عنه :

وما بي سِوَى عينِ نَظَرتُ لحسنها   وذاك لجهلي بالعيون وغِرّتي
وقالوا به في الحبّ عينٌ ونظرةٌ   لقد صَدَقوا عينُ الحبيب ونظرتي

ويقول ابنُ الفارض :

ما بين مُعتَرَكِ الأَحداقِ والمُهَجِ
أنا القتيلُ بلا إثمٍ ولا حرَجِ
ودّعتُ قبل الهوى روحي لِما نَظَرَت
عيناي من حسنِ ذاك المنظَر البَهجِ
لِلهِ أجفانُ عينٍ فيــكَ ساهرةٌ
شوقاً إليـكَ وقلبٌ بالغرامِ شَجِ

● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

في حالةِ البُعد روحي كنتُ أرسِلُها   تُقَبِّل الأرضَ عني وهي نائبتي

محمد شيخ محمد
بانياس – سورية

✱

الرفاعي

● **الجواب :** هذا البيت لأبي العباس أحمد الرفاعي صاحبِ الطريقةِ الرّفاعية الصوفية ، وكان قد تُوفّيَ في قرية أم عَبيدة بالقرب من البصرةِ سنة ٥٧٨ ، وقد عُرِف عنه مِثلُ هذه الأقوال الصوفية ، يتشوّق فيها إلى مَعْشوقِه وهو في عرف الصوفية شخصٌ ينوب في خيال القائل عن الحضرة الإلهية أو ما شابه ذلك . وقد اشتهر عن الرفاعي قولُه في هذا المعنى على ما يظن :

إذا جَنَّ ليلي هام قلبي بحبكم   أنُوحُ كما ناح الحمامُ المُطَوَّقُ

وفوقي سَحابٌ يُمطِر الهَمَّ والأسى   وتحتي بِحارٌ بالأَسى تَتَدَفَّقُ

سَلوا أمَّ عمروٍ كيف بات أسيرها ... تُفكّ الأَسارى دونه وهو مُوثَقُ

فلا هو مقتولٌ ففي القتلِ راحةٌ ... ولا هو مَمْنونٌ عليه فَيُطلَقُ

ولمّا قام أبو العباس أحمدُ الرفاعي بدعوته انضم إليه خلقٌ كبير من الفقراء ، وتألّف من هؤلاء الفقراء طائفــةٌ عُرِفت بالطائفةِ الرفاعية أو البطائحية ، نِسبةً إلى بطائح البصرة حيث كان الرفاعي يقيم ، ويُنْسَب إلى أتباعِه أحوالٌ عجيبة من أكل الحيات وهي حَيّة ، والنزولِ في التنانير المضطرمة بالنار . ويقال عنهم إنهم كانوا في جِهادهم يَرْكبون الأسود . والرفاعي نسبةٌ إلى رجلٍ من العرب اسمُه رِفاعة والبطائحُ عدةُ قُرىً مُجتمعةٍ في وَسْطِ الماء بين واسط والبصرة ولها شهرةٌ في العراق .

والبيتُ الثاني للبيتِ المسئولِ عنه :

وهذه دَولةُ الأشباحِ قد حَضَرت ... فَامْدُد يَمِينَكَ كي تَحْظَى بها شَفَتي

ورأيت في الأغاني بيتين من أبيات الرفاعي منسوبين إلى شبيب بن البرصاء وهما :

سلوا أم عمروٍ فيم بات أسيرهـــا ... تُفادَى الأسارى دونه وهو موثَق

فلا هو مقتول ففي القتل راحةٌ ... ولا مُنْعَمٌ يومــاً عليه فيُطْلَق

ورأيت في المستطرف أن الأبيات التي ذكرنا أنها للرفاعي هي للبهاء زهير .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

لا تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ في كُلِّ شهرٍ   غيرَ يومٍ ولا تَزِدْهُ عليــه

فاجتلاءُ الهِلالِ في كُلِّ يومٍ   ثم لا تَنْظُرُ العيونُ إليــه

جديدي علي بلحاج
الرديّف – تونس

★

الحريري

● **الجواب :** هذان البيتان للحريري صاحبِ المقامات ، ورد ذكرُهما في آخر المقامةِ الخامسةَ عَشْرَةَ . والرواية الصحيحة للبيت الثاني هي :

فاجتلاءُ الهِلالِ في الشهر يومٌ   ثم لا تنظر العيونُ إليــه

وليس كما جاء في السؤال :

فاجتلاءُ الهلالِ في كُـلِّ يومٍ .. لأن المَعنى لا يستقيم على هذه الرواية .

والغريب أنني وَجَدْت البيتين في مكانٍ غيرِ المقامات ووجدتُ الروايةَ

الخطأ مُكَرَّرة .

ويحكى بهذه المناسبة أن ثَقيلاً من الثقلاء كان يتردد على بيتِ أحدِ الظرفاء ، وطال تردادُه حتى ملّه الظريفُ وبَرِم به . فبينما كان الثقيلُ جالساً مع صاحبِ البيت ، سأل قائلاً : مَن تراه أفحلُ الشعَراء ؟ فقال الظريفُ : ابنُ الورديِ بقوله :

غِبْ وزُر غِبًّا تَزِدْ حُبًّا فَمَن   أكثر التردادَ أضناه المَلَلْ

فقال الثقيل : بل أفحَلُ الشعراء السِنجاريّ الذي يقول :

إذا حَقّقْتَ مِن خِلٍّ ودادا   فَزُرْه ولا تَخَفْ منه مَلالا
وكُنْ كالشمسِ تَطْلُع كُلَّ يومٍ   ولا تَكُ في زيارته هِلالا

فقال الظريف : أفحَلُ الاثنين الحريريُّ بقوله :

لا تَزُرْ مَن تُحِبُّ في كُلِّ شهرٍ   غيرَ يوم ولا تَزِدْه عليهِ
فاجتلاءُ الهلال في الشهرِ يومٌ   ثُمّ لا تَنْظُرُ العيونُ إليهِ

وقال الظريف : وإن لم تُصَدّقني فقد وهبتُكَ الدارَ بما فيها ، وخرج وهو يقول :

إذا حَلّ الثقيلُ بأرضِ قومٍ   فما للساكنين سوى الرحيلِ

فَخَجِل الثقيل ولم يعد .

ومن هذا المعنى في إقلالِ الزيارة قول لبيد بن ربيعة :

تَوَقّفْ عن زيارةِ كُلِّ يومٍ   إذا أكثرتَ مَلّك مَن تزورُ

● السؤال : من القائل وما المناسبة ومتى عاش :

إن الرِّياحَ إذا اشتدت عواصِفُها

فليس تَرْمي سوى العالي من الشجر

محمد احمد يحيى اليماني

المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية

★

ابن حُنْزابة

● الجواب : هذا البيت لأبي الفضل جعفر بنِ الفضل بنِ الفرات المعروفِ بابنِ حُنْزابَة ، كان وزيراً لبني الإخشيد في الديار المصرية مدةَ إمارةِ كافور . وذكره ابنُ خَلكان في وفيات الأعيان ، وقال : وذكره الحافظ بن عساكر في تاريخ دمشق ، وأوردَ من شعره قولَه :

مَن أخمَلَ النفسَ أحياها وروَّحها

ولم يَبت طاويا منها على ضَجَرِ

إنّ الرياحَ إذا اشتدت عواصِفُها
فليس ترمي سوى العالي من الشجرِ

وهو ابنُ الفرات الذي كان المتنبي يُريد مَدْحَه بقوله :

صُغْتُ السوارَ لِأيٍّ كفٍّ بشَّرَتْ
بابْنِ الفرات وأيٍّ عَبْدٍ كَبَّرا

فلما لم يُرْضِه ابنُ الفرات صرَف البيتَ إلى ابن العميد فقال :

صُغْتُ السِوارَ لِأيٍّ كفٍّ بشَّرَتْ
بابْنِ العميدِ وأيٍّ عَبْدٍ كَبَّرا

وذكر الخطيبُ أبو زكريا التّبريزي أنّ القصيدةَ التي منها هذا البيت ومطلعها :

بادٍ هواكَ صَبَرْتَ أم لم تَصْبِرا
وبُكاكَ إنلم يَجْرِ دَمْعُكَ أوْ جرَى

أنشدَها المتنبي أمامَ كافور وأمام الوزير ابنِ الفرات ، فلمّا لم يُرضه ابنُ الفرات صرف المديحَ إلى ابنِ العميد كما ذكرنا ، ثم أنشد المتنبي القصيدةَ يمدح بها ابنَ العميد .

ويقول التبريزي إنّ المتنبي في قصيدتِه المقصورة يقول :

وماذا بِمِصْرَ من المضحكاتِ ولكنه ضَحِكٌ كالبُكا
بها نَبَطيٌّ مِن أهل السَّواد يُدَرِّس أنسابَ اهل الفَلا

وأسْوَدُ مِشْفَرُه نِصْفُـــه ‌‌ ‌ يُقـالُ له أنتَ بَدْرُ الدُّجا

وهي القصيدةُ التي قالهـــا يَذْكُر مسيرَه إلى الكوفة ويهجو كافوراً . والمرادُ بالنبطيّ هنا أبو الفضل بن الفرات . وكانت ولادةُ ابنِ الفرات سنة ٣٠٨ وتوفي سنة ٣٩١ هجرية .

وبيتُ أبي الفضل بنِ الفرات شبيه بقولِ أبي تمام :

إن الرياحَ إذا ما أعْصَفَت قَصَفَت
عِيدانَ نَخْلٍ ولا يَعْبأْنَ بالرَّتَمِ
بناتُ نعشٍ ونَعْشٌ لا كُسوفَ لها
والشمسُ والبدرُ منها الدَّهْرَ في الرَّقَمِ

وفي قصيدة لابن زيدون يقول فيها :

هل الرياحُ بنجم الأرض عاصفةٌ ‌ ‌ أم الكسوف لغير الشمس والقمر؟

والنجم من النبات خلاف الشجر لأنه ليس له ساق . وقول ابن زيدون هذا شبيه بقول شمس المعالي قابوس :

وفي السماء نجومٌ ما لهـــا عدد ‌ ‌ وليس يُكْسَف إلاَّ الشمس والقَمَرُ

وهذا البيت من أبيات يقول فيها :

قل للذي بصروف الدهر عَيَّرنا ‌ ‌ هل حارب الدهرُ إلاَّ مَن له خَطَر
أما ترى البحرَ تعلو فوقه جِيَف ‌ ‌ ويستقر بأقصى قعـــره الدُّرر
فإن تكن نَشِبت أيدي الزمان بنا ‌ ‌ ونالنـــا من تمادي بؤسِه الضرر
ففي السماء نجوم ما لهـــا عدد ‌ ‌ وليس يُكْسَف إلاَّ الشمس والقمر

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة ومتى :

وَقَفَ الحقُّ وَقْفَةً عند بَدْرٍ   شَحَذَت في العيونِ سيفَ القضاء

محمد بن عمر العزوزي
فاس – المغرب

★

عمر أبو ريشة

● **الجواب :** هذا البيتُ للشاعرِ السوري عمر أبو ريشة ، وهو في الأصل من جوار حلب في سوريا ومن مواليد سنة ١٩١٠ ، وهو يقيم في بيروت. والبيتُ من قصيدةٍ له عُنوانُها « محمد » تحدث فيها عن موقعة بَدْرٍ الكبرى وعن مكانةِ هذه الموقعة في تاريخ الإسلام ، فهو يقول :

وَقَف الحقُّ وقفةً عند بَدْرٍ   شَحَذَت في الغُيوبِ سيفَ القضاء
ووراء التِلالِ رَكْبُ أبي سُفْيانَ   يَحمي سَريَّةَ الفيحــاء
وقُرَيْشٌ في جَيْشِها اللَّجْبِ تَسعَى   بين وَهج القنا وزَهْوِ الحُداء

بَلَغَت مُنْحَنَى القَلِيب ولَفَّت مَن عليه بِبَسْمَةِ استهزاء

ويقول في آخرِ القصيدة :

يا عَروسَ الصَّحْراءِ ما نَبتَ المجْدُ على غيرِ راحةِ الصَّحْراء

كُلَّما أغرَقَت ليالِيَها في الصمتِ قامت على نَباةٍ زَهْراء

ورَوَتْها على الوجودِ كِتاباً ذا مَضاءٍ أو صارِماً ذا مَضاء

فَأَعِيدي مَجْدَ العُروبةِ وأسْقِي مِن سَناه مَحاجِرَ الغَبْراء

قد تَرِفُّ الحياةُ بعد ذُبول ويَلِين الزمانُ بعد جَفاء

ورأيت في كتاب « شعراء سورية » لأحمد الجندي أن قول عمر أبو ريشة :

أُمَّتي كم صنمٍ مجَّدْتِه لم يكن يحمل طُهْرَ الصَّنَم

قريب من قول المتنبي عن ناقته :

أُسِيرها بين أصنام أُشاهدها ولا أُشاهِد فيها عِفَّة الصَّنَم

أي : أُسِيرها بين أناسٍ كالأصنام يُطاعُون ويعظمون وهم لا فهم لهم ولكنهم ليسوا كالأصنام في العِفة واجتناب المحرَّمات والمنكرات . إلاّ أن المتنبي كان يقصِد بقوله هذا على الأغلب الناس عامة ، في حين أن عمر أبو ريشة كان يقصِد حكامَ الناس وليس المحكومين ، وفي ذلك يقول المتنبي :

أرَى أناساً ومحصولي على غنمٍ وذِكْرَ جودٍ ومحصولي على الكَلِمِ

وهو أشبه ما يكون بقول السيد الحميري :

قد ضَيَّع اللهُ ما جمعتُ من أدبٍ بين الحمير وبين الشاء والبقر

● **السؤال :** من القائل لمعن بن زائدة : لا أسلّم عليك بتسليم الأمير ، ومن الذي أرسل له رسالة في مجرى الماء ، ومناسبات أخرى ؟

يونس صفي الدين
صور – لبنان

★

معن بن زائدة

● **الجواب :** معن بن زائدة أحدُ المشهورين من رجالات العرب بالجودِ والبأس ، وكان في أيامِ الدولةِ الأموية ثم في الدولة العباسية ، وانقطع زمناً إلى يَزيدَ بنِ عُمَر بنِ هُبَيْرةَ أميرِ العراقَيْن في أيام بني أمية ،وعاصر المنصورَ ، وحارب ضده أولاً ثم حارب معه في موقعةٍ من المواقعِ ، فرَضِي عنه المنصور وعفا عنه ، ولمّا توفي رثاه عددٌ من الشعراءِ المشهورين منهم مروانُ بنُ أبي حَفْصة والحسينُ بنُ مُطَير . وتُروى عنه رواياتٌ عن كَرَمِه وجودِه ، منها ما يُقال عن أعرابيٍ أنه دخل عليه ، فلم يُعطِه شيئاً ، فقال أبياتاً منها :

أتذكُر إذ لحافُك جلدُ شاةٍ وإذ نعلاكَ مِن جلدِ البعير
فَسبحانَ الذي أعطاك ملكاً وعلَّمك الجلوسَ على السرير

فَجُدْ لي يا ابن ناقصةٍ بشيءٍ فإني قد عَزَمْتُ على المسير

ويُرْوَى أنه قال أيضاً :

فلستُ مسلّماً ما دمتُ حياً على مَعْنٍ بتسليمِ الأمـــير

وهذه الحكايةُ ذاتُها تُرْوَى في بعضِ الكتب عن أعْرابِيَّيْن كانا مُتآخِيَيْن في البادية ، أحَدُهما اسمُه زيد استوطن الريفَ واتصل بالحجّاج فولاّه أصبهان ، فعَلِم صديقُه الأعرابيُّ الآخَرُ فجاء يزوره ووقف ببابه حيناً لا يَصِلِ إليه ، ثم دَخل عليه آخِراً فقال مُخاطِباً صديقَه زيداً :

فلستُ مُسَلِّماً ما دُمْتُ حيًّا على زيــدٍ بتسليمِ الأمير

إلى آخر الحكاية .

وقد ذكَرتُ الحكايةَ والأبياتَ كاملةً في الجزء الثاني من كتاب « قول على قول » .

ويُحكى في كتابِ ثمَراتِ الأوراق أنّ شاعراً قصَد معنَ بنَ زائدةَ يُريد الدخولَ إليه فلم يتهيأ له ذلك ، فقال لبعضِ الخدم هناك : إذا دخل الأميرُ البستانَ فعرّفني . فلمّا دَخل معنٌ البستانَ عرّفه الخادم ، فكتب الشاعرُ بيتاً من الشِعر على خَشَبةٍ وألقى الخشبةَ في الماء الداخل إلى البستان . فاتفق أنْ كان معنٌ جالساً في ذلك الوقت على رأسِ الماء فمرّت به الخشبةُ ، فأخذها فإذا فيها مكتوب :

أيا جُودَ معنٍ ناجِ مَعناً بحاجتي فما لي إلى معنٍ سواكَ شفيـعُ

فسأل معنٌ عن صاحبِ تلك الخشبة . ودُعي بالشاعرِ فقال له معن : كيف قلتَ ؟ فأنشد البيتَ ، فأمر له معنٌ بمئةِ ألفِ درهم ،فأخذها وذهَب.

ووَضَع مَعْنٌ الخشبةَ تحت بساطه . فلمّا كان في اليوم الثـــاني رأى معنٌ الخشبة ، فدَعا بالرجل ودَفَـع إليه مئةَ ألف درهم أخرى ، ثم دعـاه مرة ثالثة ، فلما قرأ البيتَ دَفَـع إليه مئةَ ألف درهم ثالثة . وحكاياتُ جودِ معن كثيرة .

وذكر الوَطْـواط أنّ بعضَهم دخل على رئيسِ الوزراء أبي الغنائم فأنشَدَه قصيدةً جاء منها :

فسبحانَ الذي أعطـــاك مُلْكاً وعَلّمك الجلوسَ على السرير

وقال :

أتذكر إذ لحافُكَ جِلدُ شاةٍ وإذ نعلاكَ مِن جِلْدِ البعـــير

فقال له رجلٌ من الجلساء : أتقولُ مثلَ هذا للرئيس ، لا أمّ لك ؟ فقال : واللهِ ما ظَنَنْتُ أني قلتُ عيباً، غيرَ أني مَدَحتُ الرئيسَ بما مُدِحتُ به. فضَحِك منه ووصله .

وهذان البيتان ذكرهما الجاحظُ في كتاب البيانِ والتبيين ونسبها إلى أعشى هَمْدان وأنشد قبلها :

فلستُ مُسلّماً ما دُمْتُ حيًّا على زيـــدٍ بتسليم الأمير

أميرٌ ياكل الفالوذَ سِرًّا ويُطعِم ضيفَه خبزَ الشعير

وفي وَفيات الأعيان لابنِ خلكان أخبارٌ أخرى عن معنِ بنِ زائدة .

● **السؤال:** من القائل وما المناسبة:

إذا المرء لا يِرعاكَ إلاّ تكلُّفاً فَدَعَهُ ولا تُكثِر عليه التأسُّفا

وفي الناس أبدالٌ وفي التركِ راحةٌ وللقلب صَبْرٌ للحبيبِ ولو جَفا

أدم كسيبي
حمص – سورية

أحمد عبد الله جرهوم
كريتر – عدن – اليمن الديمقراطية الشعبية

★

الشافعي

● **الجواب:** هذان البيتان وَجَدتُهما منسوبين إلى الإمام الشافعي ولا أجزِم في ذلك، وهما من أبياتٍ هي:

إذا المرء لا يَرعاك إلاَّ تَكَلُّفا فَدَعْه ولا تُكثِر عليه التأسُّفا

ففي الناس أبدالٌ وفي التركِ راحةٌ وفي القلبِ صبرٌ للحبيب ولو جَفا

فما كلُّ مَن تهواه يَهواكَ قلبُه ... ولا خيرَ في ودٍّ يجيء تكلُّفا

إذا لم يكن صَفوُ الوِدادِ طبيعةً ... فما كلُّ مَن صافيتَه لك قد صفا

ولا خيرَ في خِلٍّ يَخون خليلَه ... ويَلقاه مِن بعدِ المودةِ بالجَفا

ويُنكِر عَيشاً قد تقادَمَ عهدُه ... ويُظهِر سِرّاً كان بالأمسِ قد خفا

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديقٌ صدوقٌ صادِقُ العهد مُنْصِفا

وفي هذا المعنى أشعارٌ كثيرة ، منها قول أبَيّ بن الحُمام ، كما في حماسة أبي تمام :

وسِيّانِ عندي أنْ أموتَ وأن أرَى
كبعضِ الرجالِ يُوطِنون المَخازيا

ولستُ بهيّابٍ لمَن لا يَهابُني
ولستُ أرى للمرء ما لا يَرَى لِيا

إذا المرء لم يُحْبِبْكَ إلاّ تَكرُّهاً
عِراضَ العَلوقِ لم يكن ذاك باقيا

وقول عمرو بن الأهتم ، كما في معجم الشعراء للمرزباني :

أَلَم تَرَ ما بَيْني وبَين ابن عامرٍ
من الودّ قد بالت عليه الثعالبُ

فأصبح باقي الودّ بيني وبينه
كأنْ لم يَكُنْ ، والدهرُ فيه العجائبُ

إذا المرءُ لم يُخبِبْكَ إلاّ تكرُّماً
بدا لكَ مِن أخلاقه ما يُغالِبُ
فَلَلمَنْأَيُ خيرٌ مِن مُقامٍ على أذىً
ولا خيرَ، فيما يَستَقِلُّ، المُعاتِبُ

وهذه الأبياتُ منسوبةٌ لأبي الأسود الدؤلي في الأغاني.

وقولُ الكميت:

واستُ إذا ولّى الصديقُ بوده بِمُكْتَئبٍ أبكي عليه وأندُبُ
ولكنه إن دام دُمتُ وإن يكن له مَذهَب عني فلي عنه مَذهَبُ
ألاَ إنَّ خيرَ الود ودٌّ تطوّعت له النفسُ لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبُ

وقول أبي العتاهية:

مـــا أنا إلاَّ كَمَن عَناني أرَى خليـــلي كما يَراني
لست أرى ما مَلَكتُ طرًّا مكانَ مَن لا يَرَى مـــكاني

ولمحمد بن حازم أبيات جميلة في هذا المعنى:

تمادى به الهجرانُ واستحسنَ الغَدرا وآلى يَميناً لا يُكلّمُني دهرا
فوالله ما اسْتَسْنَنْتُ بعدُ مودةً صَديقاً ولا أرهقت ذا زَلّةٍ عُسْراً
فإن عاد في ودي رجعتُ لوده وإلاّ فإني لا أحمّلُه إصْرا
وإنْ مال عَني جانِباً نحو عُذرِهِ تَسَلّيتُ عنه واستعرتُ له صبرا

أُعِدُّ لِمَن أبدَى العَداوةَ مِثلَها وأجزي على إحسانٍ واحدةٍ عَشرا

وقول أنس بن أبي أنس في حماسة البحتري :

وأوصاني أبو عمروٍ إذا ما بدا لي من أخٍ خُبثُ النّحاسِ
بِتَركِ إخائِه والصَدِّ عنه كما صَدَّ الجَبانُ عن المِراسِ

وقولُ عبدِ الرّحمن بن حسان :

وكنتُ إذا ما رَأيتُ الصديقَ يأبى عن الوَصْلِ إلا انفتالا
وشابَ الإخاءَ بِشَوْبِ البلاء كشوبِكَ بالمِلح عَذباً زُلالا
وأيقَنْتُ أنْ لا نَدَى عنده ولا وَصْلَ حين أُريدُ الوصالا
تنكّبتُ عنه وأَلْفَيْتُه مَنادِحَ أُعمِلُ فيها الجمالا

وقول معن بن أوس :

وكنتُ إذا ما صاحِبٌ رام هِجْرةً وبدّل سُوءاً بالذي كنتُ أفعَلُ
قَلَبْتُ له ظهرَ المِجَنّ فلم أدُم على ذاك إلاّ ريثما أتحوّلُ

وذكرنا في موضع غيرها أن البيتين المسئول عنهما هما لشاعر آخر .



● **السؤال :** من القائل :

والناسُ مَن يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ، ولِأُمِّ المُخطىء الهَبَلُ

علي عمارة

(نانتير – Nanterre) فرنسا

★

القُطامي

● **الجواب :** هذا البيت مشهور وهو للشاعر القُطامي الملقب بصَريعِ الغَواني ، من قصيدة مدح بها عبد الواحد بنَ الحارث ، وكان قد قَدِم إلى دمشق في خلافة عمرَ بنِ عبد العزيز وأراد أن يمدحه فقيل له إن عمرَ بن عبد العزيز لا يُعطي شيئاً على الشعر ونُصِح إليه بأن يمدح عبدَ الواحد ، فمدحه بقصيدةٍ مشهورة مطلعها :

إنّا مُحيّوكَ فاسْلَمْ أيها الطَّلَلُ وإن بَليتَ وإن طالت بكَ الطِّيَلُ

وفيها أبياتٌ سائرةٌ على ألسنة الناس قديماً وحديثاً ، منها مثلاً :

والناسُ مَن يلقَ خيراً قائلون له ما يَشتَهي ولأُمِّ المُخطىء الهَبَلُ

وكذلك :

قَد يُدْرِكُ المتأني بعضَ حاجته وقد يكون مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

ومن أحسنِ الوصفِ فيها قولُه :

يَمْشين رَهْواً فلا الأَعْجازُ خاذِلَةٌ ولا الصدورُ على الأعجاز تَتَّكِلُ

وقال أبو عمرو الشَّيْباني عن هذا البيت إنَّ القطامي لو قاله في صفة الناس لكان أشعرَ الناس .

وأخبر المدائني أنَّ عبدَ الملك بن مروان قال للأخطل وعنده عامرٌ الشعبي: أتُحِبُّ أنَّ لكَ قياضاً بِشِعْرِكَ شِعرَ أحدٍ من العرب ؟ قال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين إلاَّ أني وَدِدْتُ أني كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رَجُلٌ مِنا . قال : وما قال ؟ فأنشد الأخطلُ شعرَ القطامي في عبد الواحد ، ومنه :

ليس الجديدُ به تبقى بشاشَتُه إلاَّ قليلاً ولا ذو خُلَّةٍ يَصِلُ

والعيشُ لا عيشَ إلاَّ ما تقرُّ به عيناً ولا حالَ إلاَّ سوف يَنْتقِلُ

والناسُ مَن يلقَ خيراً قائلونَ له ما يَشتهي ولِأُمِّ المُخطىءِ الهَبَلُ

فقال عبدُ الملك : ثَكِلَتِ القُطاميَّ أُمُّه . هذا واللهِ الشعر .

والبيتُ المسئولُ عنه له شبيه ببيتٍ للمُرَقّش الأصغر ، وهو :

فمَن يَلقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمرَه ومَن يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

أَلم ياتيك والأنباءُ تَنْمي بما لاقت لَبونُ بني زيادِ

فخر صالح قَدّارة
الطائف ــ المملكة العربية السعودية

قيس بن زهير

● **الجواب :** هذا البيت لشاعر جاهلي أو مُخَضرم اسمُه قيس بنِ زهير ابن جَذيمة العبسي منقصيدةٍ قالها في حرب داحس والغبراء المشهورة في الجاهلية، وكانت داحس فرس قيس بن زهير والغبراءُ فرسَ حُذَيفة بن بدر الفزاري ، وبسببها جرت حروبٌ طويلة بين بني عبسٍ وذُبيان وهي التي يُشير إليها زهير بن أبي سلمى بقوله :

تداركتما عبساً وذُبيانَ بعدما تفانَوا ودَقّوا فيهم عِطْرَ مَنْشِمِ

وكان قيس فارساً بَطلاً يُضرَب المَثَلُ بدهائه فيقال : أدهى من قيس . وبعد حرب داحس والغبراء انتقل إلى بني نُمَير وتزوج ثم أسلم ، وقيل ارتدّ

بعد ذلك وذهب إلى عُمان ، ومات هناك قرب سنة ١٠ هـ .

وسببُ قوله القصيدة التي منها هذا البيت الذي هو أولـُها أنه نشأت بينه وبين الربيع بن زياد العبسي شحناءُ في شأنِ درعٍ لِقيسٍ اسمُها ذو النون وقال الربيع وقد لبسها : ما أجْوَدَها ، أنا أحَقُّ بها منك ، وغلَبه عليها، فأطـْرد قيسٌ لـَبوناً لبني زياد ، بل يُقال إنّ قيساً اعترض أمّ الربيعِ بنِ زياد فاطمةَ بنتَ الخـَرْشب الأنمارية في ظعائنِ بني عبس فاقتاد جملها أو ناقتها يريد أن يرتهنها بدرعه ، فقالت له : ما رأيتُ كاليومِ فِعْلَ رجل ، أين ضلّ حِلـْمُكَ يا قيس، أترجو أن تصطلحَ أنت وبنو زياد أبداً وقد أخذتَ أمّهم، وحَسْبُكَ مِن شـَرٍّ سماعُه . فذهب قولها مثلاً . فعرف قيس ما قالته فخَلـّى سبيلـَها . وكان قد قال :

ألم ياتيكَ والأنبـاءُ تَنْمي   بمـا لاقت لَبونُ بني زيادِ
ومَحْبِسُها لدى القُرَشي تُشْرَى   بأدراعٍ وأسيافٍ حِـدادَ

والأنباءُ هي الأخبار ، وتنمي تكثـُر وتـَشيع ، واللـّبونُ الناقة ذاتُ اللبن ، وأراد ببني زياد الربيعَ بنَ زياد ، فإن القصةَ كانت معه دون إخوته . وفي البيت نكتة نحوية ، وهي إنه لم يقل : ألم يَأتِك بالجـَزْم كما هى القاعدة ، بل أشبع الحركة في التاء المجرورة فصارت ياء فقال: ألم يأتيك.ويقول الزجّاجي وغيرُه إن قيساً كان يَضُم ياتي فيقول (يأتِيُ) ويَنْصُبها ويقول (يأتِيَ) ؛ فلمّا جزَم سَكّن الياء ، كما يجري في الأفعال الصحيحة ، فصارت (يأتِي) ، ولذا قال : ألم يأتيك .



● **السؤال** : من القائل وما المناسبة :

أمست خَلاءً وأمسى أهلُها ارتحلوا أخْنَى عليها الذي أخْنَى على لُبَدِ

علي الشوملي
عمان – الأردن

★

النابغة الذبياني

● **الجواب** : هذا البيت للنابغة الذبياني من قصيدةٍ يعتذر بها للنُعمان بن المنذر ويتنصل مما اتُّهِم به من ريبةٍ مع المتجردة زوجةِ النُعمان ، ومطلع القصيدة :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَليـــاءِ فالسَّنَدِ أقْوَت وطال عليها سالِف الأَمَدِ

ثم يقول عن الدار بعد أبيات :

أمْسَت خَلاءً وأمسى أهلُها احتملوا أخْنَى عليها الذي أخْنَى على لُبَدِ

أي إن تقادمَ العهد غيَّرها وأفسد حالَها، كما قضى طولُ العمر على لُبَدٍ ،

أحدِ نسور لقمان بن عاد ، وكان هذا النسر قد عمّر طويلاً . وكنا ذكرنا في مناسبة سابقة حكايةَ النابغة مع المتجردة ، وذكرنا في مناسبةٍ غيرها حكاية لُبَدٍ أحدِ نسور لقمان . وموجز الحكاية أن لقمان خُيّر بعد هلاكِ عاد بين أن يعيشَ عمرَ سبعِ بقراتٍ سُمْرٍ من أظْبٍ عُفرٍ في جَبَلٍ وَعْرٍ لا يَمسُّها القطر ، أو عُمْرَ سبعةِ أنسرُ ، كُلّما هَلَكَ نَسْرٌ خَلَفَ مِن بعده نَسر ، وكان قد سأل اللهَ طولَ العمر ، فاختار لقمانُ النسور . فكان يأخذ الفَرْخَ حين خروجه من البيضة فيُرَبّيه فيعيشُ ثمانين سنة . وهكذا حتى هَلَكَ من النسور ستة فسَمّى السابِعُ لُبَداً . فلمّا كَبِر لُبَدٌ وهَرِم وَعجَز عن الطيران كان يقول له لقمانُ : إنهَض لبد ! فلمّا هَلكَ لُبَدٌ مات لقمان . فيكون قد عاش بعد هلاك عاد ٥٦٠ سنة. والله أعلم. ومما يُذكر عن رجل اسمُه مُعاذُ بنُ مُسْلِم أنه عَمّر طويلاً فقال فيه أبو السري سهل ابن غالب الخزرجي كما في ابن خِلّكان :

إنّ مُعاذَ بنَ مُسْلِمٍ رَجُلٍ … ليس لميقاتِ عمرِه أَمَدُ

قل لمعاذٍ إذا مررتَ به … قد ضَجَّ مِن طولِ عُمرِك الأَبَدُ

يا بِكْرَ حَوّاء كم تعيشُ وكم … تسحب ذيلَ الحياة يا لُبَدُ

إلى آخره .

ويقولون في المثل : أهْرَم من لُبَد . وقصيدة النابغة تقع في خمسين بيتاً . وفي القصيدة نوعٌ من التشبيه المركب الذي لَهِج به الكثيرون من شعراء العرب ، كما لَهِج به شعراءُ الأغريق قديماً ، والمثال على ذلك قوله :

فما الفُراتُ إذا هَبَّ الرياحُ له … تَرمي غَواربُه العَبْرَيْنِ بالزَّبَدِ

يَمُــدُّه كلٌّ وادٍ مُترَعٍ لَجِبٍ   فيه رُكامٌ من اليَنبوتِ والخَضَدِ

يَظَلُّ مِن خوفِه المَلاّحُ مُعتَصِماً   بالخَيزُرانَةِ بعد الأيْنِ والنَّجَدِ

يوماً بأجودَ منـــه سَيْبَ نافلةٍ   ولا يَحول عَطاءُ اليومِ دونَ غدِ

فهو يُشَبّه عَطاءَه السخيَّ بالفرات إذا زَخَر وطما وزاد ، ولكنه وسّع التشبيه وركّبه من صور مختلفة . وكنت ذكرت أمثلةً على ذلك في مناسبةٍ سابقة .

وفي تاريخ الأدب باب عن المُعَمّرين من الشعراء ، وفي ابن خِلّكان ترجمة لمعاذ بن مُسلم الهَرّاء النحوي . فقد عَمَّر هذا طويلاً وكان له أولاد وأولاد أولاد ، ماتوا جميعاً وبقي هو حيّاً ، وقال :

ما يرتجي في العيش مَن قد طوى   من عمـــره الذاهب تسعينا

أفنى بنيـــه وبنيهم فقـــد   جَرّعه الدهرُ الأمرّينـــا

لا بُدَّ أن يشرب من حوضهم   وإن تراخى عمره حينـــا

وسأل رجلٌ معاذاً عن مولده فقال : وُلِدت في أيام يزيد بن عبد الملك أو في أيام عبدالملك . وحكى بعضُهم قـــال : صَحِبْتُ مُعاذَ بن مسلم زماناً فسأله رجل ذاتَ يوم : كم سِنّك ؟ فقال : ثلاث وستون ، ثم مكث بعد ذلك سنين وسأله : كم سنّك ؟ فقال : ثلاث وستون، فقلتُ : أنا معك منذ إحدى وعشرين سنة ، وكلّما سألك أحدٌ كم سنك تقول ثلاث وستون ، فقال : لو كنتَ معي إحدى وعشرين سنة أخرى ما قلت إلاّ هذا .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

أليس قليلاً نظرةٌ إن نَظَرْتُها ... إليكِ وكَلاّ ليس منكِ قليلُ

البوخريصي أحمد
ثانوية مولاي سليمان – فاس – المغرب

★

يزيد بن الطثرية

● **الجواب :** هذا البيت يتنازعه أكثر من شاعر واحد ، فقد ذكر ابنُ خلكان إنه ليزيد بن الطثرية، وذكر صاحب الأغاني أنه لأعرابي من بني عُقَيل، ورأيتُ في زهر الآداب للحُصْري القيرواني قولَه : وأنشد محمد بن سلاّم أبياتاً زعم أنها لأبي كبير الهُذَلي ومنها هذا البيت ، ورُويت الأبياتُ ليزيد ابن الطثرية ، والرواةُ يُدخلون بعضَ الشعر في بعض . أمّا الأبيات فهي ، كما في زهر الآداب :

عُقَيْلِيَّةٌ أمّا مَلاَثُ إزارِها ... فَدِعْصٌ وأمّا خَصْرُها فبتيلُ

تَقَيَّظُ أكنافَ الحِمَى، ويُظِلُّها ... بنَعمانَ من وادي الأَراكِ مَقيلُ

فيا خُلَّةَ النفسِ التي ليس دونَها لنا مِن أخِلاّء الصفاء خليلُ
ويا مَن كتمنا حُبَّه، لم يُطَع له عدوٌّ، ولم يُؤْمَن عليه دَخيلُ
أما مِن مَقامٍ أشتكي غُربةَ النوى وخوف العِدا فيه إليكِ سَبيلُ
أليس قليلاً نظرةٌ إن نَظَرتُها إليكِ؟ وكَلاّ ليس منك قليلُ

وفي إعراب: وكَلاّ ليس منكِ قليل، نظر، لأن الذي يتبادر إلى الذهن أنه قال: وكلمة كَلاّ في الرفض ليست قليلةً منك، ووجب أن يكون قد قال: وكَلاّ ليس منكِ قليلاً، أي كَلاّ ليس قليلاً منكِ. إلاّ أن المعنى هو أنه استدرك فقال: لا، لا شيءَ منك قليل. فالنظرة إليك قليلة، مع أنها تكون كبيرة.

ويقول في بقيةِ الأبيات:

فيا جَنَّةَ الدنيا ويا مُنتَهى المُنى ويا نورَ عيني، هل إليكِ سبيلُ؟
فَدَيتُكِ أعدائي كثيرٌ وشُقّتي بعيدٌ وأشياعي لديكِ قليلُ
وكنتُ إذا ما جئتُ جئتُ بعِلّةٍ فأفنيتُ عِلاّتي فكيف أقولُ
فما كُلَّ يومٍ لي بأرضِكِ حاجةٌ ولا كُلَّ يومٍ لي إليكِ رسولُ

وقول يزيد بن الطثرية إن القليلَ عندك ليس بالقليل يشبه قولَ اسحاق ابن ابراهيم المَوْصلي:

هل إلى نظرةٍ إليكِ سبيلُ يُرْوَ منها الصدى ويُشْفَى الغليلُ

أنّ ما قلّ منكِ يكثُر عندي   وكثيرٌ مِمَّن تُحِبُّ القليـلُ

وقولَ اسحاق بن ابراهيم المَوْصِلي أيضاً :

إنَّ ما نَوّلْتِنِي منكِ وإن قَلَّ كثيرُ

وكثيّر عزة يقول :

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ   قليلٍ، ولا أرْضَى له بقليـــل

وعمر بن أبي ربيعة يقول :

ليت حَظّي كَطَرْفَةِ العينِ منها   وكثيرٌ منهـــا القليلُ المُهَنّا

وقال الشعراء في هذا المعنى أقوالاً كثيرة منها مثلاً قول أبي نصر أحمد الميكالي:

قليلٌ منـــك يكفيني ولكن   قليلك لا يقـــال له قليـل

وقول المتنبي :

وُجودُك بالمُقام ولو قليـــلا   فما فيما تجود بـــه قليـــل

وقول أبي الحسن البصروي :

إذا اتفق القليـــلُ وفيه سلم   فلا تُرِدِ الكثيرَ وفيه حرب

وقول عبدالله بن طاهر :

أعجلْتنا فأتاك عاجل بِرِّنا   ولو انتظرت كثيرَه لم يَقْلُلِ

فَخُذ القليلَ وكن كأنك لم تسَل   ونكون نحن كأننا لم نفعـل

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

أبكت تلكم الحمامةُ أم غَنّت على فَرع غصنها المَيّادِ

الأكحل محمد
طانطان – المغرب

★

أبو العلاء المعري

● **الجواب :** هذا البيت لأبي العلاء المعري من قصيدة يرثي بها فقيهاً حنفياً ومطلعها :

غيرُ مجدٍ في ملتي واعتقادي   نوحُ باكٍ ولا تَرَنُّم شــادِ
وشبيهٌ صوتُ النعي إذا قِيس بصوتِ البشــيرِ في كُلّ نادِ

والقصيدة مشهورة، تكاد أن تكونَ أشهرَ قصائدِ المعري وذلك لما احتوته مِن أفكار أشبهِ ما تكون بأفكار الكلبيين من فلاسفة الإغريقِ القدماء أو بأفكار المتشائمينَ من فلاسفة العالم الغربي أو أفكارِ الوجوديين المتشائمين. ومنها قوله :

رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأَضـــدادِ

ودفينٍ على بقـــايا دفـــينٍ في طويلِ الأَزمـانِ والآبادِ

تَعَبٌ كُلُّهـــا الحيـاة فما أعجب إلاّ مِن راغِبٍ في ازديـــادِ

إنَّ حُزناً في ساعةِ الموتِ أضعـــافُ سرورٍ في ساعـــةِ الميلادِ

وكُلّ بيتٍ من هذه الأبيات التي ذكرناها له معنى بعيد يحتاج في فهمه إلى عمق نظر . أمّا قوله متسائلاً :

أَبكَت تِلْكُمُ الحمامـةُ أم غَنّت على فَرعِ غصنهـا الميّادِ

فهل هذه الحمامة تَنوح أم تغني ؟. ولعلّ الذي نَظنُّه غناءً هو نواح أو الذي نظنه نواحاً هو غناء ، وقد يكون أنّ هذه الحمامةَ في غنائها إنما تبكي لِقُربِ انقضاءِ أجلها لأنّ الموتَ أقربُ إليهـا مِن حبل الوريد ، أو هو كالسيفِ المُصْلت ، لا مَفرّ منه . وهذه مثلُ أفكار الوجوديين . وقال الشعراءُ العرب في هذا المعنى ، كقول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

نَسَبَ الناسُ للحمامـــةِ حُزناً وأراها في الحزنِ ليست كذلكْ

خَضَبَتْ كَفَّها وطَوّقت الجيدَ وغَنَّتْ ومـــا الحزنُ كذلكْ

وكنتُ ذكرتُ طرفاً من ذلك في مناسبةٍ سابقة .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه على شعثٍ أيُّ الرجال المُهَذَّبُ

عبد الجليل قاسم نصير
الحصن – الأردن

*

النابغة الذبياني

● **الجواب :** هذا البيت مشهورٌ وهو للنابغة الذُبياني الشاعرِ الجاهلي الكبير من قصيدةٍ يعتذر بها إلى النُعمان بن المنذر ومطلعها :

أتاني أبيتَ اللعنَ أنَّكَ لُمتَني وتِلْكَ التي أهْتَمّ منها وأنْصَبُ

وهذا البيت شبيهٌ ببيتٍ آخر في قصيدةٍ اعتذارية أُخرى وهو :

أتاني أبيتَ اللعن أنكَ لمتني وتلك التي تَستَكّ منها المَسامِعْ

والبيتُ المسئولُ عنه يأتي في آخر القصيدة البائية حيث يقول :

فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكب   إذا طلعت لم يَبْدُ منهن كوكبُ

فلا تَترُكَنّي بالوعيد كأنني   إلى الناسِ مَطْليٌّ به القارُ أجربُ

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه   على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ

و «أيُّ الرجال المُهَذّبُ» قولٌ مُتداوَل عند العرب ويقال إن أولَ من قاله أكثم بن صيفي، وفي الميداني أنّ أولَ من قاله النابغة الذبياني. والمعنى مطروق في الشعر العربي كقول يزيدَ بنِ محمد بن المهلّبي:

ومَن ذا الذي تُرْضَى سجاياه كُلُّها   كفى المرءَ نبلاً أن تُعَدَّ معائبُه

وأفرد البحتري في حماسته لهـذا المعنى باباً خاصاً، وذكر فيه قولَ النابغةِ أيضاً:

إسْتَبْقِ وُدَّكَ للصديقِ ولا تكن   قَتَباً يَعَضّ بغاربٍ مِلْحاحا

وقولَ كعبِ بنِ سعدٍ الغَنَوي:

وإذا عَتَبتَ على أخٍ فَاْسْتَبْقِهِ   لِغَدٍ ولا تَهْلَكْ بلا إخوان

وقولَ أبي الخَنازِم الباهلي:

لَعَمْرُ أبيكَ لا أجزي ابنَ عَمِّي   بِعَثْرَتِهِ وأَمْنَعُ فَضْلَ مالي

ولكني أَرُدّ عليـه حِلْمي   ليومِ السُّوْءِ أو غَدْرِ الليالي

وقول كُثَيّر بنِ عبد الرحمن الخُزاعي:

ومَن لم يُغَمِّض عينَه عن صديقِه

وعن بعضِ ما فيه يَمُت وهو عاتِبُ

وَمَن يَتَتَبَّعْ جاهـــداً كُلَّ عَثْرةٍ
يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدهرَ صاحِبُ

وقولَ بَشّارِ بنِ بُرد العُقَيْلي :

إذا كنتَ في كُلِّ الأمورِ مُعاتِباً
صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

وعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنه
يُقارِفُ ذَنْباً مرةً ويُقارِبُـــهْ

إذا أنتَ لم تَشْرَب مراراً على القَذَى
ظَمِئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشارِبُهْ

وفي ذلك أيضاً ما يقولـه المُغيرَةُ بنُ حَبْناء :

فَخُذْ مِن أخيكَ العَفْوَ وٱغْفِر ذنوبَه
ولا تَكُ في كُلِّ الأمورِ تُعاتِبُـــه

فإنكَ لن تَلْقَى خليلاً مُهَذَّباً
وأيُّ امرىءٍ ينجو من العَيْبِ صاحِبُه

وما يقولـه الشريف الرَّضي :

إعْذِر أخـاكَ على ذُنوبِـه ... وٱسْتُر وغَطِّ على عُيوبِـهْ
وٱصْبِر على بهتِ السفيهِ ... وللزَّمـــانِ على خُطوبِـهْ
ودَعِ الجـــوابَ تَفَضّلاً ... وكِلِ الظلومَ إلى حَسيبِـهْ

وٱعْـــلَم بأن الحِلْمَ عنـــد الغيظِ أحسنُ مِن رُكوبِـهْ

ويقولـُه عبدُ الله بن معاويةَ الجعفري :

إذا كنتُ لا أعفو عن الذنب مِن أخٍ
وقلتُ أُكافيـــه ، فاين التفاضلُ

ولكنني أُغْـضي جُفوني على القَذَى
وأصْـفَح عَمَّن رابني وأجامِــلُ

متى أقْـطَعْ الإخوانَ في كُلِّ عَثْرَةٍ
بَقيتُ وحيداً ليس لي مَن أُواصِلُ

ولكن أُدارِيـهِ فإن صحَّ سَرَّني
وإن هو أعيـــا كان عنه التجاهُـل

ويقولُ الشافعي :

أُحِبُّ من الإخوان كُلَّ مُواتي   وكُلَّ غَضيض الطَرْفِ عن عَثراتي

يُوافِقني في كُلِّ أمرٍ أُريــدُه   ويَحْفَظُني حيًّا وبعد وفـاتي

فَمَن لي بهذا ليتَ أني أصَبْتُه   فقاسمتُه مـا لي من الحَسناتِ

تَصَفَّحْتُ إخواني فكان أَقَلُّهم   على كثرةِ الإخوان أهلُ ثقاتي

ويقول أبو العتاهية :

إنَّ في صِحَّةِ الإخاء من الناسِ وفي خلة الوفـــاء لَقِلَّـهْ

فَالْبسِ الناسَ ما استطعتَ على النقصِ وإلاّ لَم تستقم لك خُلّه
عشْ وحيداً إن كنتَ لا تقبلُ العذرَ وإن كنتَ لا تجــاوز زَلّه
مِن أبٍ واحــدٍ وأمٍّ خُلِقنا ، غيرَ أنّا في المالِ أولادُ عَلّه

ويقول الطغرائي :

أخاكَ أخاكَ فهو أَجلُّ ذُخْرٍ إذا نابتكَ نائبــةُ الزّمانِ
وإن بانت إساءتُـه فَهَبهــا لمــا فيه من الشِّيَمِ الحِسانِ
تُريدُ مُهَذّباً لا عَيْبَ فيـه وهل عودٌ يفوح بلا دُخانِ ؟!

ومن ذلك أيضاً قول عقيل بن هاشم القيني :

أخاك إن الذي يعدو بغير أخٍ كالقوسِ ليس لها سهمٌ ولا وتر
إحفظ أخاك وسارع في مسرّته حتى يُرى منك في أعدائـه خبر
أخوك سيفُك إن نابتك نائبــة وَشمَّرتْ نكبةٌ في عِطفها زَوَر

ومن أجمل ما قيل في تغير الصديق عن صديقه قصيدة قالهـا ابن الرومي يعاتب صديقه أبا القاسم الشّطْرنجي ، ومنها :

يا أخي أين ربع ذاك اللقـــاء أين ما كان بيننا من صفاء
كَشَفتْ منك حاجتي هَنَوات غُطّيت برهةً بحسن اللقـــاء

ثم يقول :

يا أبا القـاسم الذي كنت أرجوه لدهري قطعتَ حبــلَ الرجاء
لك مكر يَدِب في القوم أخفى من دبيب الغذاء في الأعضـــاء

والقصيدة طويلة .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

إثنانِ أهل الأرض : ذو عقلٍ به دينٌ ، وآخرُ دَيِّنٌ لا عَقْلَ له

ايدم عبد السلام
وجدة — المغرب

★

أبو العلاء المعري

● **الجواب:** هذا البيت لأبي العلاء المعري من أبيات رأيتها في اللزوميات، فهو يقول :

إن هَلَّلَت أفواهُكم فقلوبُكم ونفوسُكُم دونَ الحقوقِ مُهلِّلَه

أي إنكم أيها الناس تقولون ما ليس في قلوبكم وأنكم تُضمِرون خلافَ ما تُبدون وتُظهِرون النفاقَ ، وعن الحقّ ناكصون جُبناء ، ثم يقول :

آليتُ ما توراتُكم بِمُنيرةٍ إن أُلْفِيَت فيها الكُمَيْتُ مُحَلَّلَهْ

هفَتِ الحنيفةُ والنصارى ما اهتدت ويهودُ حارت والمجوسُ مُضَلَّلَهْ

إثنانِ أهلُ الأرض : ذو عَقلٍ بلا دينٍ وآخرُ دَيِّنٌ لا عَقْلَ لَهْ

والمعري في قوله : هَفَت الحنيفةُ ... لا يعترف كما يظهر إلاّ بأديانٍ أربعة وهي الإسلام والمسيحية واليهودية والمجوسية ، ولم يذكر الصابئة ، وهم صابئةُ بابل لا صابئةُ حَرّان .

وقوله : اثنان أهلِ الأرض .. يعني أنّ الناس طبقتان : طبقةُ رجال الدين ، وطبقةُ رجال العقل ، ولعلّ المعري يقصد برجال العقل الفلاسفةَ أو علماءَ الكلام أو المعتزلة . وابنُ رشد يَقسِم الناس ثلاثَ طبقات وهي : طبقةُ العوام ، وطبقةُ علماء الدين وطبقة الفلاسفة . ويقول إنّ المجتمعَ قد يُجَنَّب الخلافاتِ والمنازعاتِ الكثيرةَ لو أن كلّ طبقةٍ من هذه الطبقات انحصرت في دائرتها ، ولم تحاول التجاوزَ إلى الدائرتين الأخرَيين . ويعني ، كما تبيّن في فلسفته فيما بعد ، أنّ العوامّ لا يهتمون بالحقيقة ، وأن الحقيقةَ قسمان : دينية وعلمية فلسفية . فالدينية مبنيةٌ على الإيمانِ والعلميةُ مبنية على البرهان الحسي . والحقيقتان يجب أن يَظلاّ منفصلتين ، وهذا أساسُ القول بالحقيقةِ الثنائية في جامعة باريس ، التي مَهّدت السبيلَ إلى النهضة العلمية ، مستقلةً عن الدين . ولكن لم يكن في الإسلام خلافٌ بين العلم والدين ، وإنما كان الخلافُ بين الدين والفلسفة .

ورأيت في معجم الأدباء أنّ أحمد بنَ محمد المعروف بذي الفضائل قرأ لأبي العلاء قوله :

إثنان أهلُ الأرض : ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخَرُ دَيِّنٌ لا عَقْلَ له

فقال مُجيباً ومخاطباً :

الديـن آخِـذُه وتاركُه لم يَخْفَ رُشْدُهما وغَيُّهما
رَجُلانِ أهلُ الأرض قُلْتَ فقُل يا شيخَ سوْءٍ أنت أيُّهما ؟

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وليلٍ كموجِ البحرِ أرْخى سُدولَه علَيَّ بأنواع الهمـومِ ليبتلي

عبد الرحمن حمزة

دمشق – الجمهورية العربية السورية

★

امرؤ القيس

● **الجواب :** هذا البيت مشهور وهو لامرىء القيس من معلقته المشهورة . ويُذكَر هذا البيت في مناسبات عديدة في كتب الأدب ، ويأتون به في البديع شاهِداً على شدة الحال في قوله : كموج البحر . والعَرَبُ يَلهَجون دائماً في أشعارهم بذكر الليل ، وهم يؤرخون بالليالي . فيقولون مثلاً : كان ذلك لسبعٍ بَقِين من شوال أو لثلاثٍ خلون من المحرم ، وهكذا . وأكثروا من ذكر القمر في الليل . ولم يكثروا من ذكر الشمس في النهار ، ورَعوا النجومَ ليلاً وعرَفوها وسَمَّوْها بأسمائها . وذكروا ليلَ العاشق ولم يذكروا نهارَه ، ووصفوا الحُزنَ في الليل وقلَّ أن وصفوه في النهار . فكأنَّ العربَ إذا قرأنا أقوالَهم ، كانوا يَعيشون في الليل أكثرَ مما كانوا يعيشون في النهار . وامرؤُ

القيس في هذا البيت يمثل عاشقاً أو حزيناً أو امرءاً غَلَبَ عليه الهمُّ حتى لم يجد لنفسه مناماً . وفي كتب مجاميع الأدب أبوابٌ خاصة تُفرد للكلام على الليل .

وكنتُ ذكرتُ أشعاراً كثيرة عن طول الليل وقِصَرِه في مناسبات سابقة . وأذكر الآن شيئاً مما لم أذكُره من قبل . فالمعرّي مثلاً يقول :

وَلَيْلَيْنِ حالٍ بالكواكب جَوْزُه وآخرُ مِن حَلْيِ الكواكب عاطِلُ

كأنَّ دُجاه الهجرُ والفجرَ موعِدٌ بوَصلٍ وضُوءُ الصبح حِبٌّ مُماطِلُ

قَطَعْتُ به بحراً يَعُب عُبابُه وليس له إلا التبلُّجَ ساحِلُ

وللوأواء الدمشقي قوله :

أطال ليـلُ الصدود حتى أيِسْتُ مِن غُرَّةِ الصباح

كأنه ، إذ دجـا ، غرابٌ قد حَضَنَ الأرضَ بالجناح

والدليل على أن الليلَ هو ليلُ المحزون والمهموم قولُ البهاء زهير :

إذا جَنّ ليلي هام قلبي بذكركم أنوح كما ناح الحمام المُطوّق

وقولُ أبي تمام :

أعاذِلتي ما أحسنَ الليلَ مركباً وأحسنُ منه في الملمات راكِبُه

وقولُ أبي يَعْلَى بن الهَبّارية :

كم ليلةٍ بِتّ مَطويّاً على حُرَقٍ أشكو إلى النجم حتى كاد يَشكوني

وقولُ الفرزدق :

يقولون طال الليلُ والليلُ لم يَطُل ... ولكنَّ مَن يَبْكي من الشوقِ يَسْهَرِ

وقولُ أبي دَهْبَل الجمحي :

تطاول هذا الليلُ ما يَتَبَلَّجُ ... وأعيَت غواشي الهمِّ ما تتزحزح

والمشهور في ذلك قولهم عن المهموم : بات بليلةٍ نابغية ، إشارةً إلى قول النابغة الذبياني :

فَبِتُّ كأنّي ساوَرَتني ضَئيلةٌ ... من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُّ ناقع

ويحكى عن الأصمعي قولُه إنه دخل يوماً على الرشيد فقال له الرشيد : كيف بِتَّ ؟ فقال : بليل النابغة . وتقول العرب : بات بليلِ القُنْفُذ ، لأن القنفذَ لا ينام . وابنُ أنقَدَ هو القُنفذ فيقولون : بات فلان بليلةِ أنقد ، أي بات ساهراً . ويقول أبو الفضل الميكالي :

يا مَن يَبيت مُحِبُّه ... منه بليلةِ أنْقَدِ

إن غِبتَ عني سُمتَني ... وَشْكَ الردى وكأن قَدِ



● **السؤال :** من القائل :

قليلُ المال تُصلِحُه فيَبْـقَى ... ولا يَبْـقَى الكثيرُ على الفَسادِ

فخر صالح سليمان
كفر رمان – طولكرم – الأردن

★

المتلمس

● **الجواب :** هذا البيتُ للشاعر المتلمّس واسمُه جرير بن عبد المسيح ، وله حكايةٌ مشهورةٌ مع ابن اخته طرفة بن العبد مع عمرو بن هند حينما أرسل هذا إلى عامله صحيفةً يأمره بقتل المتلمس وطرفة ولم يكونا يعلمان ما فيها ، فـَضُرِب فيها المثـل بالشؤم فقيل : كمـَثل صحيفة المتلمس ، وهو من شعراء الجاهلية المُقِلـّين ، وجعله ابنُ سلاّم في الطبقة السابعة ، وقرَن به سَلاَمةَ بنَ جَنْدَل وحُصَيْنَ بنَ الحُمامَ والمُسَيَّبَ بنَ عَلـَس . والبيتُ المسئولُ عنه يأتي من جملة أبيات مشهورة رواها صاحب الأغاني على هذه الصورة :

وأَعْلَمُ عِلمَ حقٍّ غيرَ ظنٍّ ... وتَقْوى اللهِ مِن خَيْرِ العَتادِ

لَحِفْظُ المالِ أيسَرُ مِن بُغاه وضَرْبٍ في البلاد بغيرِ زادِ

وإصلاحُ القليلِ يَزيدُ فيه ولا يَبْقَى الكثيرُ على الفسادِ

وجاء في شواهد المغني للسيوطي روايةٌ أخرى عن أبي عبيدة وهي :

قليلُ المـــال يُصلِحه فيبقى ولا يَبْقَى الكثيرُ مع الفساد

وحِفظُ المالِ خيرٌ مِن فَناءٍ وعَسْفٍ في البلاد بغير زاد

ويروى البيت التالي للبيت المسئول عنه بروايتين أخرَيَين وهما :

لَحِفْظُ المال خيرٌ من بُغاه أو مِن فَناهُ ، وحَبسُ المال، وسيرٍ في البلاد

وهذه الأبيات من جملةِ أبياتٍ من الغَزل وذِكر الصبا يقول فيها :

صَبا مِن بعد سلوتـه فؤادي وسَمَّح للقرينـةِ بانقيـــادِ

كأني شاربٌ يوم اسْتَبدُّوا وحَثَّ بهم لدى المَوْماةِ حادي

عُقاراً عُتِّقت في الدَّنِّ حتى كأنَّ حبابَها حَدَقُ الجرادِ

فإمّا حُبُّها عَرَضاً وإمّــــا بَشاشَةُ كُلِّ عِرقٍ مُستفاد

ثم يقول الأبيات : وأعلمُ عِلمَ حقٍّ غيرَ ظَـنٍّ إلى آخره .

والمتلمّس ، على قلة شعره بالنسبة إلى غيرِه من أصحاب المعلقات مثلاً ، أبياتٌ مشهورة منها قولـه :

فلا تَقبَلَنْ ضَيماً مخافـــةَ مِيتةٍ

ومُوتَنْ بهـا حُرًّا وجِلْدُكَ أملَسُ

فَمِن طَلَبِ الأوتارِ ما حَزَّ أنفَه

قصيرٌ وخاض الموتَ بالسيفِ بَيْهَسُ

وما الناسُ إلاَّ ما رَأَوْا وتَحَدَّثوا

وما العَجْزُ إلاّ أن يُضاموا فَيَجْلِسوا

ومنها قولُه :

فإن يُقبِلوا بالودِّ نُقْبِلْ بِمِثْلِه وإلاَّ فإنّا نحن آبَى وأشْمَسُ

ومن أبياته المشهورة أيضاً قولُه :

لذي الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقْرَعُ العَصا

وما عُلِّم الإنسانُ إلاَّ لِيَعْلَما

وكذلك :

فأطرق إطراقَ الشجاع ولو يَرَى

مَساغاً لنابيه الشجاعُ لَصَمَّما

وكذلك :

وقد كان أخوالي كريماً جِوارُهُم

ولكنَّ أصلَ العودِ من حيث يُنْزَعُ

وأشهرُ أبياتِه قولُه :

إنّ الهَوانَ حِمارُ القومِ يَعرِفُه والحُرُّ يُنكِرُه والرَّسْلَةُ الأُجُدُ

ولا يُقيم على خسفٍ يُراد به ... إلاّ الأذلان عَيْرُ الحيّ والوَتِدُ

هذا عَلى الخسفِ مربوطٌ برُمَّتِه ... وذا يُشَجُّ فما يَرْثي له أَحَـــدُ

وله أربعةُ أبياتٍ هي أحسنُ ما جاء في الاستنجاد والكرم :

ومُستَنبِـحٍ تَستَكْشِط الريحُ ثوبَه ... لِيَسْقُطَ عنه وهو بالثوب مُعْصِمُ

عَوَى في سوادِ الليل بعد اعتسافِه ... لِيَنْبَحَ كلبٌ أو لِيَفزَعَ نُوَّمُ

فجاوبه مُستَسْمِعُ الصوت للقِرى ... له عند إتيان المُهِبّين مَطْعَمُ

يَكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مُقبلاً ... يُكَلِّمُه مِن حُبِّه وهو أعْجَمُ

ونُسِب هذا الشعرُ إلى ابن هَرْمَة في سمط اللآلي على أمالي القالي .

واشتهر المتلمس بصحيفته فقيل فيها : أشأم من صحيفة المتلمس . وقـال الشعراءُ فيها أشعاراً كثيرة ذكرنا عدداً منها فيما سبق من « قول على قول »، ولا حاجةَ إلى الإعادة . ورأيت في كتاب « معاهد التنصيص » قوله عن الأبيات المسئولِ عنها : هذه الأبياتُ من قصيدةٍ له مطلعها :

صَبا من بعدِ سَلْوَتِه فؤادي ... وأسْمَح للقرينةِ بالقيــادِ

وقد ضَمَّنه بعضُهم في الهجاء فقال :

يُحَصِّن زادَه عن كلّ ضِرْسٍ ... ويُعْمِـلُ ضِرْسَه في كُلِّ زادِ

ولا يَرْوي من الأشعــار شيئاً ... سوى بيتٍ لِأَبْرَهَـــةَ الإيادي

قليلُ المـــال تُصلِحه فَيَبْقَى ... ولا يَبقَى الكثيرُ مـع الفسادِ

وأخذه ابنُ وَكيع فقال :

مالٌ يُخلّفُه الفتى للشامتين من العِدا
خيرٌ له مِن قصدِه إخوانَه مُسترْفِدا

وذكر صاحبُ معاهد التنصيص حكايةَ حاتِمِ الطائي فقال : ويقال إن حاتماً الطائي لمّا سمع قولَ المتلمّس هذا قال : ما لَهُ قطع اللهُ لسانَه يحمِل الناسَ على البخل والتباخل ألاَ كان يقول :

وما البذْلَ يُفني المالَ قبل فَنائِه ولا البُخلُ في مالِ الشحيح يَزيدُ
فلا تلتمسْ فقراً بعَيْشٍ فإنه لكلٌ غدٍ رِزقٌ يعود جديدُ
ألم تَدْرِ أنّ المالَ غادٍ ورائحٌ وأنّ الذي يُعطيكَ ليس يَبيدُ

وفي المَثَل : إحفَظ ما في الوعاء بِشَدّ الوِكاء ، يُضرَب في الحثّ على أخذ الأمرِ بالحَزْم وقيل : مَن أصلح مالَه فقد صان الأكرمَيْن : الدين والعِرض . وقيل : التدبير يُثمر التيسير ، ولا جودَ مع تبذير ولا بُخْلَ مع اقتصاد ، والاعتدالُ في الجود أحسنُ من الاعتداء على الموجود .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

سُلَّت وسُلَّت ثم سُلَّ سَليلُهـا   فاتى سليلُ سَليلِها مَسلولاً

السيد شبروق الحسين
فاس – المغرب

★

مُسلم بن الوليد

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر مُسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني من أبيات يصف فيها الخمر حيث يقول :

سُلَّت فَسُلَّت ثم سُلَّ سليلُهـا   فاتى سَليلُ سَليلِها مَسلولا

لَطَف المِزاجُ لها فَزَيَّـن كأسَها   بقِلادةٍ جُعِلت لهـا إكليلا

قُتِلَت وعاجَلَها المديرُ ولم تَفِظ   فإذا به قـد صَيَّرَتـه قليلا

ومما يُذكر في هذه المناسبة أنّ سهلَ بنَ مروان قال يوماً للثعالبي : مِن الشعراء مَن سلسل ومنهم مَن شلشل ومنهم مَن قلقل ومنهم مَن بلبل . فقال

الثعالبي : أخشى أن أكونَ رابــع الشعراء ، وأراد قول الشاعر :

الشعراء فاْعلَمَنّ أربعـه فشاعرٌ يجري ولا يُجرى معَه
وشاعِرٌ مِن حقّه أن ترْفَعَه وشاعِرٌ مِن حقّه أن تَسْمَعَه
وشاعِرٌ من حقه أن تَصْفَعَه !

وأراد سَهْلُ بنُ مروان بقوله : منهم من سلسل قولَ مُسلِم بن الوليد :

سُلَّت وسُلَّت ثم سُلَّ سليلُها فاتى سليلُ سليلِهـــا مَسْلولا

وأراد بقوله : مِنهم مَن شلشل قولَ الأعشى :

وقد أروح إلى الحانات يَتبَعُني شاوٍ مِشَلٌّ شلولٌ شَلْشَلٌ شَوِلُ

وأراد بقوله : مِنهم مَن قلقل قولَ المتنبي :

فَقَلْقَلْتُ بالهَمّ الذي قَلْقل الحَشا قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنّ قَلاقِلُ

قال الثعالبي : ثم إني قلتُ بعد ذلك :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فـانْفِ البلابِـلَ باْحتساء بَلابلِ

فهو الشاعر الذي بلبل .

والذين من هذا القبيل من الشعراء عديدون ، فالذي كفكف مثلا الحريري في كافاته المشهورةِ السبع وهي :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبعٌ إذا القَطْر عن حاجاتنا حَبَسا
كِنٌ وكيسٌ وكانون وكاسُ طِلا بعد الكَباب وكَفٌّ ناعم وكِسا

ومنهم من شَنْشَن كقول ابنِ التّعاويذي :

إذا ٱجتَمَعت في مجلس الشَّرب سبعةٌ
فبادر فما التاخيرُ عنه صوابُ

بِشواءٍ وشَمامٌ وشَهْدٌ وشادن
وشمعٌ وشادٍ مُطرِبٌ وشرابُ

ومنهم من طأطأ كقول ابن قزَل :

عَجِّلْ إليَّ فعندي سبعةٌ كَمَلت
وليس فيها من اللذات إعوازُ

طارٌ وَطبْلٌ وطُنبورٌ وطاسُ طِلا
وطفلةٌ وطباهيجٌ وَطَنّازُ

ومنهم من مأمأ كقول ابن قزَل أيضاً :

جاء الخريفُ وعندي من حوائجه
سَبْعٌ بهن قِوامُ السمعِ والبصرِ

مَوزٌ ومُزٌّ ومحبوبٌ ومائدةٌ
ومُسمِعٌ ومُدامٌ طَيِّبٌ ومُري

ورأيت في الوافي بالوفيات أمثالَ ذلك ، ومنها في القَينات :

رَمَتْني يدُ الأيام عن قوسِ خَطْبها
بسبعٍ وهل ناجٍ من السَّبْعِ سالِمُ

غلاء وغازانٌ وغزوٌ وغربة
وغمٌّ وغدرٌ ثم غبن ملازمُ

ومنها في الخاءات :

إذا تيسّر لي في مصرَ واجتمعتْ سبعٌ فإنيَ في اللذات سلطان
خودٌ وخمرٌ وخاتون وخادِمها وخلسهٌ وخلاعات وخلاّن

ومنها في القافات والميمات والجيمات والدالات إلى آخره .

وقرأت في « حلبة الكميت » في هذا الباب أشعاراً منها قول صلاح الدين الصفدي ، في ثمانية أشياء :

ثمانية إن يسمح الدهر لي بها فما لي عليها بعد ذلك مطلوب
منام ومشروب ومرج ومأكل وملهى ومشموم ومال ومحبوب

وقرأت في أحد المراجع أن أبا نواس ومسلم بن الوليد اجتمعا في مجلس لهما وتلاحيا ، وقال مسلم لأبي نواس : واللهِ إنك ما تحسن الأوصاف ! فقال أبو نواس : واللهِ ما أحسن أن أقول :

سُلّت فَسُلّت ثم سُلّ سليلُها فأتى سليل سليلها مسلولا

والله لو رجمتَ الناس في الطريق لكان أحسن من هذا .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

إن التي زعمت فؤادك مَلّهـا ... خُلِقت هواك كما خُلِقتَ هوىً لها

علي الشوملي
عمان – الأردن

★

عروة بن أُذَينة

● **الجواب :** هذا البيت لعروة بن أُذَيْنة . وروى عُروةُ بنُ عبد الله أنّ عروةَ بنَ أذيْنة كان نازلاً في دار عروةَ بنِ عبد الله بالعقيق فسَمِع يوماً وهو ينشد لنفسه هذه الأبيات :

إن التي زعمت فؤادَك مَلَّها ... خُلِقت هواكَ كما خُلِقْتَ هوىً لها

فيكَ التي زعمتْ بها وكلاكما ... أبدى لصاحبه الصبابةَ كُلَّها

بيضاءُ باكرها النعيمُ فصاغها ... بلباقـةٍ فأدَقَّها فأَجَلَّها

وإذا وَجَدتُ لها وساوِسَ سَلوةٍ ... شَفَعَ الضميرُ إلى الفؤاد فَسَلَّها

لمّا عَرَضْتُ مُسَلِّماً لي حاجةٌ أخشى صعوبتَها وأرجو حلَّها
مَنَعَت تحيتَها فقلتُ لصاحبي ما كان أكثرَها لنــا وأقلَّها
فَدَنا وقال لعلّهـــا معذورةٌ مِن بعضِ رِقْبَتِها فقلتُ : لعلّها

وروى عروة بنُ عبدالله أيضاً قال : فأتاني أبو السائب المخزومي فقلتُ له بعد الترحيب : لك حاجة ؟ قال : نعم ، أبياتٌ لعُروة بلغني أنك تحفظها . فأنشدته الأبيات، فلمّا بلغتُ قولَه : فدنا وقال لعلها معذورة إلى آخر البيت، قام وطرب وقال : هذا والله صادق العهد ، وإني لأرجو أن يغفرَ الله له لحسن الظن بها وطَلَبَ العُذر لها.قال عروة : ثم عرضتُ عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت لأخلطَ بهذه الأبيات شيئاً ، وخرج .

وفي حكايةٍ أخرى مماثلة عن أبي السائب المخزومي هذا ، وكان محباً للشعر وروايته ويتذوقه ، وفي حكايةٍ مَرويةٍ عن مُصْعَب بن عبد الله قال : أتاني أبو السائب المخزومي ليلةً بعدما رقد السامر ، فأشرفتُ عليه فقال : سَهِرْتُ وذكرتُ أخاً لي أستمتع به فلم أجد سواك ، فلو مَضينا إلى العقيق فتناشدنا الأشعار وتحدثنا . فمضينا ، وأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي من جملة أبياتٍ له وهما :

باتا بأنْعَمِ ليلةٍ حتى بـــدا صُبحٌ تلوَّحَ كالأغرِّ الأشقر
فتلازما عند الفراقِ صَبابـةً أخذَ الغريم بفضلِ ثوب المُعسِر

فقال : أعد عليَّ . فأعدت. فقال : أحسن والله ! امرأتُه طالق إن نَطق بحرفٍ غيره حتى يَرْجعَ إلى بيته ، حتى لا يَخلط بهذا الشعر كلامــاً آخر يُفسِده في ذهنه. وقال مصعب بن عبد الله في حكايته : ثم لَقِيَنا عبدُ الله بن حسن بن حسن ، فلمّا صِرنا إليه ووقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة،

فسلّم ثم قال : كيف أنتَ يا أبا السائب ؟ فقال له :

فتلازما عنـــد الفراق صبابةً   أخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوب المعسر

فالتفت عبد الله بن حسن إلي وقال : متى أنكرتَ صاحبَك ؟ (أي متى رأيتَ منه هذا الجنون) فقلت : منذ الليلة . فقال : إنا لله ، وأيُّ كهلٍ أصيبت به قريش ! ثم مضينا ، فلقينا محمدُ بنُ عِمران التيْمي قاضي المدينة ، يريد مالاً له ، وكان على بغلةٍ ومعه غلام ، ومع الغلام مِخلاة فيها قيدُ البغلةُ ، فسلّم علينا ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فردّ عليه وقال :

فتلازما عنـــد الفراق صبابةً   أخذَ الغريم بفضلِ ثوب المعسر

فاستغرب القاضي من هذا السلوك وسألني: متى أنكرتَ صاحبَك ؟ فقلتُ: آنفاً . ثم أراد القاضي المضيَّ فقلتُ له : أفتَدَعُه هكذا ؟ والله ما آمَن أن يتهوّر في بعض آبار العقيق. فقال القاضي : صدقت يا غلام، قيدَ البغلة ! فأخذ القيدَ ووضعه في رجل أبي السائب المخزومي ، وأبو السائب يُنشِد البيت ولا يقول شيئاً سواه ، وإنما كان يشير بيده إلى القاضي علّه يفهم عنه قصته . ثم نزل الشيخ عن البغلة ، وقال لغلامه : يا غلام أوْصِله على بغلتي وألحقه بأهله . فلما مضى أبو السائب على البغلة وهو صامت لا يقول شيئاً ، ذكر مصعبٌ له السرَّ في صمته وأنه لمّا استحسن البيت وطرب له لم يرد أن يخلِط به شيئاً .

ويحكى عن عمر بن أبي ربيعة أن نسوةً كنّ عند سكينة بنت الحسين رضي الله عنها في المدينة فذكرنَ عُمَر وشعره وظرفه وتشوقن إليه . فقالت سكينة : أنا آتي لكنّ به. فبعثت إليه رسولاً فجاء من مكة في الموعد المضروب واجتمعت النسوة فحدثهن حتى قرب الفجر ثم قال : إني والله مشتاق إلى زيارة قبر النبي ﷺ والصلاة في مسجده ولكني لا أخلط بزيارتكن شيئاً . ثم انصرف عائداً إلى مكة .

● **السؤال** : من القائل وفي أي مناسبة :

إذا مُتُّ لم أحفِل أبالشام حُفْرةٌ   حَوَتْنيَ أم ريمٌ بِرَيمانَ مُنهالُ
على أنَّ قلبي آنِسٌ أن يُقالَ لي   إلى آلِ هذا القبر يَدْفِنُكَ الآلُ

حسين بن عبد الرحمن بدوي
القنفذة – المملكة العربية السعودية

*

أبو العلاء المعري

● **الجواب** : هذان البيتان لأبي العلاء المعري في رثاء أمه من أبيات يقول في أولها :

خُلُوُّ فؤادي بالمودةِ إخْلال   وإبلاءُ جِسمي في طِلابك إبلالُ
ولي حاجةٌ عند المنيةِ فتكُها   بِروحيَ والأهواءُ مُذْ كُنَّ أهْوالُ
إذا مُت لم أحْفِل أبالشام حُفرَةٌ   حوَتْنِيَ أم ريم بِرَيْمانَ مُنهالُ
على أنَّ قلبي آنِسٌ أن يقالَ لي   إلى آلِ هذا القبر يَدْفِنُكَ الآلُ

ومعنى البيت الأول المسئول عنه أنه إذا مات فإنه لا يُبالي أكان قَبرُه في حفرةٍ في الشام أو كان في جبل رَيْمان . ومعنى البيت الثاني أنه يطيب له أن يُقالَ له إن قبرَه سيكون بقُرب قبرِ أمه ؛ وآلُ القبر أصحابُه ، وصاحبةُ القبر هنا هي أمُّه .

ويقول في آخر الأبيات :

وبين الرَّدَى والنوم قُرْبى ونِسبةٌ ... وشتّانَ بُرْءٌ للنفوسِ وإعلالُ

إذا نِمْتُ لاقيتُ الأَحِبَّةَ بَعْدَما ... طَوتْهُم شهورٌ في التراب وأحوالُ

والمعنى فيهما أن الموتَ والنومَ سيّان ، من حيث أن كُلاً منهما يكشِف الأمور المُغَيَّبَة ، كالنوم فإنه يكشفها بالأحلام ، وكالموت فإنه يكشفها حينما تنطلق الروح من إسارها في الجسد وتتصل بعالم الأرواح ، وتنقطع عن عالم المحسوسات ، فيتهيأ لها مطالعةُ عالم الملكوت . ويقول إنه مع وجود هذه المناسبة بين النوم والموت ، فإنه شَتّانَ ما بين البُرء والعِلة . ويقول في النوم:

إذا نِمْتُ لاقيتُ الأَحِبَّةَ بعدما ... طَوتْهُم شهورٌ في التراب وأحوالُ

ويعني بذلك أنه يرى في نومه أصحابَه الذين ماتوا قبله . ولعلّه يعني بالنوم النومَ العادي وهو الموتُ الأصغر أو يعني الموتَ لأنه نوم. وفي اللزوميات أقوالٌ عديدة من هذا النوع قد نذكرها في مناسبتها .



● **السؤال :** يقول الشاعر :

فالعُمْيُ لو كان في أَجفانِهم نَظَروا
والخُرْسُ لو كان في أفواههم نَطَقوا

فما معنى هذا البيت ؟ وعلى من يعود الضمير في كان ؟ ومن القائل ؟

عمر مرعي شابيش
زليطن – الجماهيرية العربية الليبية

★

عنترة العبسي

● **الجواب :** رواية هذا البيت هي كما يلي :

فالعُمي لو كان في أجفانهم نظروا
والخُرسُ لو كان في أفواههم خَطَبوا

والبيتُ للشاعر الجاهلي عنترةَ العبسي قاله من قصيدة يتوعّد بها النعمان ملكَ العرب ويفتخر بقومه ، ومَطلعُ القصيدة مشهور وهو :

لا يَحْمِلُ الحِقدَ مَن تعلو به الرتبُ
ولا يَنـالُ العُلاَ مَن طبعه الغَضَبُ

وفي القصيدة أبياتٌ مشهورة ذهب بعضُها مذهبَ الأمثال ، منها :

لَئِن يَعيبوا سَوادي فهو لي نَسَبٌ يومَ النزالِ إذا ما فاتني النَّسَبُ

إنْ كنتَ تَعْلَمُ يا نُعمانُ أنّ يَدي قصيرةٌ عنكَ فالأيامُ تَنْقَلِبُ

إنّ الأفاعي وإن لانت مَلامِسُها عند التقلُّبِ في أنيابها العَطبُ

لِيَ النفوسُ وللطيرِ اللحومُ وللوَحشِ العِظامُ وللخَيّالَةِ السَّلَبُ

ويقول في آخر القصيدة :

والنَّقْعُ يومَ طِرادِ الخيلِ يَشْهَدُ لي
والضَربُ والطعنُ والأَقلامُ والكُتُبُ

فكأنّ المتنبي كان يُكَـرّرُ هذا المعنى بقوله :

والخيلُ والليلُ والبيداءُ تَشْهَدُ لي
والسيفُ والرُّمْـحُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

ووجدت في كتاب ثمرات الأوراق لابن حِجّةَ الحموي حكايةً عن بيتين من أبياتِ هذه القصيدة..قال إنّ أحدَ أمراء الألايات كتب إلى عوض بك الأسعد يُهَدّده ضمناً وأرسل إليه يقول له : أنظـُر خطي ما أحسَنه ، وكتب إليه بيتَ عنترة :

لِيَ النفوسُ وللطيرِ اللحومُ وللوحشِ العظامُ وللخيّالةِ السَّلَبُ

فأجابه ببيتٍ آخرَ من القصيدةِ نفسها وقال له: أنظُر خَطُّ مَن أحسن! وكتب:

إن كنتَ تعلم يا نُعمانُ أنّ يدي قصيرةٌ عنكَ فالأيامُ تَنْقَلِبُ!

أما معنى البيت المسئولِ عنه فهو أن العُمْيَ لو كان في أجفانهم عيونٌ لـنَـظروا وأبصَروا بها وأنّ الخُرْسَ لو كان في أفواههم ألسنة لـنَطَقوا بها وخَطَبوا.

ومن ذلك أيضاً قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صَمَم

ولعنترة أشعارٌ أخرى عن الأشياء التي تشهد له، منها مثلاً:

والخيل تعلم والفوارس أنني فرقت جمعهم بطعنة فيصل

وقوله:

وقد عَلِمت بنو عَبْسٍ بأني أَهَشُّ إذا دُعِيت إلى الطِّعان

وقوله:

وتشهد لي الخيلُ يوم الطعان بأنّي أُفرِّقها ألفَ سُربه

وقوله:

والخيل تشهد لي أني أُكَفْكِفها والطعنُ مثل شِرار النار يلتهب

وقوله:

ستذكرني المعامع كلَّ وقتٍ على طول الحياة إلى الممات

وقوله:

وكم داعٍ دعا في الحرب باسمي وناداني فخضت حَشَى المنادي

وقوله:

سَلِ المَشْرَفيَّ الهُنْدوانيَّ في يدي يُخَبِّرْك عني أنني أنا عنتر

● **السؤال :** من القائل :

حَيّاك مَن لم تكن ترجو تحيتَه لولا الدراهمُ ما حَيّاك إنْسانُ

علي أحمد قاسم
سوت شيلدز – بريطانيا

★

عُمارة اليمني

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر عُمارة التميمي أو عُمارة اليمني ، ذكره الراغبُ الأصبهاني في كتابه « محاضرات الأدباء » في معرض الكلام عن مدح الغنى وذم الفقر . وذكر معه أبياتاً لغيره من الشعراء . من ذلك مثلاً قولُ أحمد بن طاهر :

ولا يُساوي دِرهماً واحـــداً مَن ليس في مَنْزِله دِرْهَمُ

ومن ذلك أيضاً :

الفقرُ يُزْري بأقوامٍ ذوي حَسَبٍ وقد يُسَوِّد غيرَ السيد المـــالُ

ومنه :

فَقْرُ الفتى يُـــذْهِب أنوارَه   مِثلَ اصفِرارِ الشمسِ عندَ المَغيب

ومنه قول أبي العيناء :

إن الدراهمَ في المواطنِ كلِّها   تَكْسو الرجالَ مَهابةً وجَلالا

فهي اللسانُ لمن أراد فصاحـةً   وهي السلاحُ لمن أراد قِتَـــالا

ويقول أحمد بن فارس اللغوي :

قد قـــال فيما مضى حكيمٌ   مـــا المرءُ إلاّ بأصْغَرَيهِ

فقلتُ قـــولَ امرىءٍ لبيبٍ   مـــا المرءُ إلاّ بدرْهمَيهِ

مَن لم يكن معه درهمـــاه   لم تلتفت عِرسُه إليـــهِ

وكان مِن ذُلِّـه حقـــيراً   يَبــول سِنّوْرُه عليـــهِ

وسُئِل ابنُ زياد : لِمَ تُحِبُّ الدراهمَ وهي تُدنيكَ من الدنيا ؟ فقال : هي وإن أدنتني منها فقد أغنتني عنها . وفي الحديث الشريف : نِعْمَ العونُ على تقوى الله المال. وقال عمرو بن العاص مرةً لمعاوية : ما أشدَّ حُبَّكَ للمال ! فقال : ولِمَ لا أُحِبُّه وأنا أتَـعبّد به مِثلَـك وأبتاع به مُروءتَـك ودينَك !

وأكثر شعراءُ العرب وحكماؤهم من الكلام في هذا الموضوع ، وكنت ذكرتُ في حلقةٍ سابقةٍ شيئاً أكثر ، فلا حاجةَ إلى الإعادة .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ ... وإليه قَبلي تُنْزَلُ القِدْرُ

سلمان جاسم محمد

بغداد — العراق

★

مسكين الدارمي

● **الجواب :** هذا البيت لمسكين الدارمي ، واسمُه ربيعةُ بنُ عامر ، من أبياتٍ رأيتُها في معجم الأدباء لياقوت ، وهي :

ناري ونارُ الجار واحِدةٌ ... وإليه قبلي تَنْزِلُ القِدْرُ

ما ضرَّ جاراً لي أجاوِرُه ... أن لا يكونَ لبيتـه سِترُ

أُغضي إذا ما جارتي بَرَزَت ... حتى يُواريَ جـارتي الخِدْرُ

ويَصَمُّ عمّـا كان بينهما ... سَمعي ومـا بي غيرَه وَقْرُ

وكان العرب يَحمَدون من الرجل أن يكون غاضًّا لِبَصَرِه عن جارته ،

وأن يكونَ حسنَ المعاشرة لجاره . من ذلك مثلاً قولُ المقنّع الكِندي :

أرى دارَ جاري إن تغيَّب حِقبةً   عليَّ حراماً بعده إنْ دَخلتُها

قليلٌ سؤالي جارتي عن شؤونها   إذا غاب ربُّ البيت عنها هجرتُها

أليس قبيحاً أن يُخبَّر أنني   إذا كان عنها شاحطَ الدار زُرتُها

ولبشار بن برد قولٌ في ذلك ، فهو يقول :

« إذا كان بعضُ الناس ينتهزون فرصةَ غياب الجار فيكثرون من زيارة زوجته فأنا لستُ من هؤلاء ، فلا أزورُها في غيبته ، ولا أنالها بكلمة سوء ، ولا أُكثر الحديث عنها لاستطلاع أسرارها ، ولا أُطيل التأمُّلَ إلى ثيابها لِأعلمَ من أي نوعٍ تكون » . يقول بشار هذا وهو أعمى . وله في هذا المعنى قولُه :

وإني لَعَفٌّ عن زيارةِ جارتي   وإني لَمَشْنُوءٌ إليَّ اغتيابُها

إذا غاب عنها بَعْلُها لم أكُن لها   زأوراً ولم تَأْنَس إليَّ كِلابُها

ولم أكُ طلاَّباً أحاديثَ سِرِّها   ولا عالماً مِن أي حَوْكٍ ثيابُها

ومن الجاهليين حَجْرُ بن حَيَّة العبسي ، يقول من أبيات :

لا أُحْرِمُ الجارةَ الدنيا إذا اقتربت   ولا أقوم بها في الحَيِّ أُخزيها

ولا أُكَلِّمها إلاَّ عَلانِيةً   ولا أُخَبِّرُها إلاّ أُناديها

ويقول أبو دوُاد الإيادي :

تَرَى جارَنا آمِناً وسْطَنا   يروح بعهدٍ وثيقِ السَّبَبْ

إذا مـــا عَقدنا له ذِمّـةً شَدَدْنا العِناحَ لِعَقْدِ الكَرَبْ

وضَرَبوا المثل ، كما في مجمع الأمثـال للميداني ، في حسنِ الجوار بجوار أبي دُواد ، كقول قيس بن زهير :

أُطـوِّف مـــا أُطـوِّف ثم آوي إلى جـــارٍ كجارِ أبي دواد

وكان العرب يُجيرون الطيرَ . فقد ذكروا أنّ حبيبَ بنَ المهلب قتل حمامةً كانت في جوارِ زيادٍ الأعجم ، فشكاه إلى المهلب بن أبي صفرة وطلب دِيةَ جارته ، فأعطاه حبيبٌ ألفَ دينار ، فقال زياد شعراً في ذلك منه قولـُه :

فقال : زيادٌ لا يُرَوَّعُ جارُه وجارةُ جاري مثلُ جاري وأقربُ

وذكروا عن رجلٍ اسمُه ثور بن شَحْمة العنبري أنه كان يُسَمّى « مجيرَ الطير » لأنه كان يحمي الطيرَ ما دامت في أرضه فلا يُصاد منها شيء .

وعن النبي ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِيَنّ جاره » . وكان أبو حنبل يقال له « مُجير الجراد » وذلك أنه نزل عليه جراد بفِنائه ، فعدا الحيّ إليه فقال لهم : إلى أين ؟ فقالوا : أردنا جيرانكَ الجراد وقد نزل بفنائك . فقال : أما إذ سميتموه جاري فلا تصلون إليه أبداً .

ويقول شبيب بن البرصاء :

وجاراتنا مـا دُمْنَ فينا عزيزةٌ كأَرْوَى ثبير لا يَحِلّ اصطيادُها
يكون علينا نقصها وضمانهـــا وللجار إن كانت تريد ازديادُها

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه حتى أنالَ بـه كريمَ المأكَلِ

مزاتي عيسى

حسي بحبح – جلفا – الجزائر

★

عنترة العبسي

● **الجواب :** هذا البيت لعنترةَ العبسي من شعراءِ الجاهلية ومن أصحاب المعلقات . والبيتُ من قصيدةٍ مطلعها :

طال الثَّواءُ على رسومِ المنزلِ بين اللَّكيكِ وبين ذاتِ الحَرْمَلِ

والسببُ في قولِ هذه القصيدة على رواية أبي عمروٍ الشيباني أنّ بني عبس قومَ عنترة غـزَوْا بني تميم وعليهم قيس بن زهير ، فانهزمت بنو عبس ، ولحقت بهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترة ، وحامى عن الناس ، فساء ذلك قيسَ بنَ زهير وقال : ما حَمَى الناسَ إلاّ ابنُ السوداء . فعلم عنترة بقوله هذا فقال قصيدته وعرّض بقيس بن زهير فيها وقال :

بَكَرَت تُخَوِّفني الحتـوفَ كأنني
أصبحتُ عن غَرَضِ الحُتوفِ بِمَعْزِلِ

فأَجَبتُها إن المنيـةَ مَنْهَلٌ
لا بُدَّ أن أُسقَى بكاسِ المَنْهَلِ

فاقْنَيْ حياءكِ لا أبا لَكِ واعلمي
أني امْرُؤٌ سأموتُ إن لم أُقْتَلِ

وتقع القصيدةُ في أكثرَ من خمسين بيتاً ، وهي من جيِّد الشعر ، وفيها أبياتٌ جرت مَجْرى المثل ، منها قوله :

ولقد أبِيتُ على الطَّوى وأظَلُّه حتى أنالَ بـه كريمَ المأْكَلِ

وقيل إنّ النبي ﷺ سَمِع هذا البيت فأعجِب به وقال : « ما وُصِفَ لي أعرابيٌّ قَطّ فأحببتُ أن أراه إلاّ عنترة » .

ولم يَشتهر أحدٌ من أهل الجاهلية أو من كثيرٍ من عصر الإسلام بين العامة والخاصة اشتهارَ عنترة ، وذلك بسبب قصتِه المشهورة . وقد وُضِعت هذه القصةُ بعد صدر الإسلام ، ولم يُعْرَف واضِعُها ، غير أنهم ينسبونها إلى الأصمعي في أوائل القرن الثالث للهجرة لأنه وَرَد اسمُه فيها روايةً عنه . وأكثرُ ما ورد فيها إنما هو من قبيلِ الروايات الخيالية ، والْتَبَس الصحيحُ منها بالموضوع . والقصةُ لم تؤلَّف دُفعةً واحدةً على ما يَظهر ، وإنما وُضِعت شيئاً فشيئاً حتى بلغت ما هي عليه الآن ، ومَثَلُها في ذلك مَثَلُ قصصِ ألف ليلة وليلة وقِصص ما جرى للبرامكة وغيرها . وجُمِعت قصةُ عنترة في مصر في القرن الرابع الهجري في زمن العزيز بالله الخليفةِ الفاطمي . وقدِ رَوَوا في سبب جمعها

أن رجلاً يقال له الشيخ يوسف بن اسماعيل كان له اتصال بباب العزيز بالله ، فاتفق أن حَدثت ريبةٌ في دار العزيز ولَهِج الناسُ بها ، فساءَ العزيزَ ذلك ، فأشار على الشيخ يوسف هذا أن يضعَ للناس ما يُلهيهم عن الريبة . وكان هذا الشيخ كثيرَ الرواية لأخبار العرب ، كثيرَ النوادر ،وكان يَروي عن أبي عبيدة ونَجدِ بنِ هشام وجُهينةِ الأخبار والأصمعي وغيرهم فجمع شَتاتَ هذه القصة وزاد فيها من أخبار العرب ووقائعهم وأسند روايتَها إلى الأصمعي ، ثم كتبها في نسخٍ عديدة ، ووَزّعها على الناس ، فأعجبوا بها وشُغلوا بها عن غيرها . وقسّمها إلى اثنين وسبعين كتاباً ، وكان يقطع الكلام فيها عند موقفٍ حسّاسٍ يتشوق القارىءُ أو السامع إلى معرفةِ ما جرى بعد ذلك الموقف ، مما كان يحدو بالناس إلى البحث عن الكتاب وما بعده حتى إلى آخر كتاب . وإن كانت الرواياتُ مَرجِعُها الأصمعي فما أكثرَ رواياتَ الأصمعي ! ومَن قرأ كتاب « إعلام الناس بما جرى للبرامكة من بني العباس » أدرك قدرةَ الأصمعي على خلق الروايات.وتوفي عنترة سنة ٦٠٠ ميلادية وبعضهم يقول سنة ٦١٥ وقالوا إنه توفي سنة ٢٢ قبل الهجرة . وكان عنترة في الجاهلية يعدّ بألفِ فارس ، مِثلَ قيس بن زهير والربيع بن زياد وعُروة بن الورد .

ومن أمثال قصة عنتر قِصص أُخرى مثل تغريبة بني هلال ، والظاهر بيبرس ، والأميرة ذات الهمة ، وقد اختلطت فيها الحقيقة بالخيال ولا يُدرَى فيها الصحيح من غير الصحيح . وهي من النوع المعروف في اللغة الانكليزية باسم Legend ، وذلك لأنّ له أصلاً تاريخياً أما النوع الآخر من القصص فهو المعروف بالانكليزية باسم Myth فإنه ليس له أصل تاريخي. والنوع الثالث المعروف باسم Fiction فهو الروايات أو القصص عن المعيشة العادية وأحوالها بين الناس ، والقصة في هذا النوع تكون مختلفة ولكن الظروف والأشخاص والصور حقيقية من النوع الموجود فعلاً في الواقع . أما الحكاية فهي Tale والخرافة Fable إلى غير ذلك .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

إذا كنتَ في كُلِّ الأمور مُعاتباً صديقَك لم تَلق الذي لا تُعاتبه

عبد الهادي مصطفى داود
عمان – الأردن

★

بشار بن برد

● **الجواب :** هذا البيت مشهور وهو لبشار بن برد من قصيدة مطلعها :

جَفا وِدَّه فازْوَرَّ أو مَلَّ صاحِبُه وأزْرَى به ألاَّ يَزالَ يُعاتِبُه

وهي في مدح يزيد بن عمر بن هُبيرة عاملِ الخليفة الأموي مَروانَ بنِ محمد على العراق. وكنت تكلمت في مناسبة سابقة عن سبب قول بشار هذه القصيدة. وفيها أربعةُ أبيات مشهورة هي :

إذا كنتَ في كلّ الأمور معاتباً

صديقَك ، لم تَلق الذي لا تُعاتِبُه

فَعِش واحداً أو صِل أخـاكَ فإنه
مُقـــارِفُ ذنبٍ مرةً ومُجانِبه

إذا أنتَ لم تَشرَبْ مراراً على القَذَى
ظمئتَ ، وأيُّ الناس تصفو مشاربه

ومَن ذا الذي تُرْضى سجاياه كلُّها
كفى المرء نُبلاً أن تُعَدَّ معايِبُـه

والبيت المسئول عنه يتضمن معنىً طالما عبّر عنه الشعراء . فالطغرائي مثلاً يقول :

أخاك أخـاك فهو أجلُّ ذُخرٍ إذا نابَتْكَ نائبـةُ الزمـــانِ
وإن بانت إساءتـه فَهَبْهـــا لِما فيهِ من الشِّيَمِ الحسانِ
تُريد مُهَذَّباً لا عَيبَ فيـه وهل عود يفوح بلا دخانِ

وفي النوادر للقـالي عن هشام بن عبد الملك ، ويُنسَب إلى كُثَيِّر بن عبد الرحمن الخُـزاعي :

ومن لا يُغَمِّض عينَه عن صديقِـه
وعن بعضِ ما فيه يَمُت وهو عاتِبُ

ومن يَتَتَبَّـع جاهــداً كُلَّ عَثرةٍ
يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدهرَ صاحبُ

وفي ذيل سمط اللآلي عن أبي رُشَيد الطائي ، والبقية من المستطرف :

وكنتُ إذا الصديقُ أراد غَيظي　　وشرَّقني على ظمأٍ بريقي

وأغمِض للصديقِ عن المساوي　　مخافةَ أن أعِيشَ بلا صديقِ

والمشهور قولُ النابغة الذبياني :

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه　　على شَعَثٍ أيُّ الرجال المُهَذَّب

وفي الحماسة البصرية في هذا المعنى قول المغيرة بن حبناء :

وخُذ من أخيك العفوَ واْغفر ذنوبَه　　ولا تكُ في كُلِّ الأمورِ تُعاتِبُه

فإنّكَ لن تلقى أخاك مُهَذَّباً　　وأيُّ امرئٍ ينجو من العيبِ صاحِبه

وكنّا ذكرنا عن ذلك أشعاراً أخرى في مناسبةٍ سابقة .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

فإن تَكُ ليلى بالفراش مريضةً فإنيَ في بحر الحُتوف غريـقُ
أَهِيم بطولٍ للفلاة وعرضِها وما لي إلى ليلى الغداةَ طريقُ

البلاّ توفيق
طانطيان – طرفاية – المغرب

★

مجنون ليلى

● **الجواب :** هذان البيتان لمجنون ليلى رأيتهما في ديوانٍ له جَمَعه الأديب أبو بكر الوالبي وهو مطبوع في مصر سنة ١٣٠٦ هجرية أو ١٨٨٨ ميلادية . والحكايةُ في هذا الديوان أن أهلَ المجنون يَئِسوا من عودته إليهم وتركوه ، فمرّ به رجلٌ فقال له :

ألاَ إنَّ ليلى بالعراق مريضةٌ وأنت خليُّ البال تلهو وترقُدُ
فلو كنتَ يا مجنونُ مُضنًى من الهوى لَبِتَّ كما بات السليمُ المُسَهَّدُ

فخرّ المجنونُ مَغْشياً عليه لمّا سَمِع ذلك . فلما أفاق أنشأ يقول :

يقولون ليلى بالعراقِ مريضةٌ　　فما لَكَ لا تَضْنَى وأنتَ صديقُ

سَقَى اللهُ مرضَى بالعراق فإنني　　على كُلِّ مَرْضَى بالعراق شَفيقُ

فإن تَكُ ليلى بالعراقِ مريضةً　　فإنيَ في بحرِ الحُتوفِ غريقُ

أهيم بأقطار البلادِ وعَرضها　　وما لي إلى ليلى الغداةَ طريقُ

كأنّ فؤادي فيه مَرْوٌ لِقادِحٍ　　وفيه لهيبٌ ساطعٌ وبُروقُ

إذا ذَكَرَتْها النفسُ ماتت صَبابةً　　لهـا زَفرةٌ قتّالةٌ وشَهيقُ

سَقَتْنيَ شمسٌ يُخجل البدرَ نورُها　　ويكسِف ضُوءِ البرق وهو يَروقُ

غُرابيّةُ الفَرعَين ، بدريةُ السنا　　ومنظرُها بادي الجمالِ أنيقُ

وقد صِرتُ مجنوناً من الحبّ هائماً　　كأنيَ عانٍ في القيود وثيـقُ

أظلُّ رَزيحَ العقل ما أطْعَمُ الكرى　　وللقلب مني أنـةٌ وخُفوقُ

يَرَى حُبَّها جسمي وقلبي ومهجتي　　فلم يَبْقَ إلاَّ أعظُمٌ وعروقُ

فلا تَعذِلوني إن هَلَكتُ ، تَرَحّموا　　عليَّ فَفَقْدُ الروح ليس يُعيقُ

وخُطوا على قبري إذا مُتّ واكتبوا　　قتيلُ لِحاظٍ مات وهو عَشيقُ

إلى اللهِ أشكو ما ألاقي من الهوى　　بليلى ففي قلبي جَوىً وحَريقُ

وقال المجنون أيضاً :

أقولُ لظبي مرَّ بي وهو راتِـعٌ   أأنتَ أخو ليلى فقـــال يُقالُ

أيا شِبهَ ليلى إنَّ ليلى مريضةٌ   وأنت صحيحٌ إن ذا لَمُحالُ

وقال :

يقولون : ليلى بالعراق مريضة   فأقبلتُ من مصرٍ إليها أعودُها

فواللهِ ما أدري إذا أنا جئتُها   أأُبرِئُها من دائها أم أزيدُهـا

والمشهور من مجنون ليلى أنه كان يشبهها بالظبي أو بالظبية ، وله أشعار في ذلك . ولكن لعمر بن أبي ربيعة تشبيه من هذا النوع ، فهو يقول :

يُذَكِّرني ابنةَ التيميِّ ظبيٌ   يرود بروضةٍ سَهْلٍ رباهـــا

فقلتُ له ، وكاد يُراع قلبي   فلم أرَ قطُّ كاليوم اشتِباهـا

سوى حَمَشٍ بساقِكَ مُستبين ٍ   وأنَّ شَواكَ لم يُشبِهِ شواها

وأنك عاطِلٌ عارٍ وليست   بعاريةٍ ولا عُطْلٍ يداهـــا

وأنك غيرُ أفرعَ وهي تدلي   على المتنين أسحمَ قد كساها

ولو قَعَدت ولم تَكْلَف بودٍّ   سوى ما قد كَلِفت به كفاها

أَظلّ إذا أُكَلِّمهـــا كاني   أُكَلِّم حيّةً غَلَبت رقاهـــا

تبيتُ إليَّ بعد اليوم تسري   وقد أمسيتُ لا أخشى سِواها

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وَمَضَى الشبابُ فماله مِن رَجعةٍ وأتى المشيبُ فأينَ منه المهرب

محمد راشد سعيد

كتيبة الحدود الشمالية – سلطنة عمان

★

صالح بن عبدالقدوس

● **الجواب :** هذا البيت لصالح بن عبد القدوس من قصيدته الزينبية التي يقول في مطلعها :

صرمت حِبالَكَ بعد وَصْلِكَ زَيْنَبُ
والدهـرُ فيـــه تصرُّم وتقلبُ

وفيها يقول في أولها :

فَدَعِ الصِّبا فلقد عـــداكَ زمانُـه
وآزْهَـد فَـعُمْرُك مرَّ منه الأَطيبُ

ذَهب الشبابُ فما له من رجعةٍ
وأتى المشيبُ فأين منه المَهْرَبُ

دع عنكَ ما قد كان في زمن الصبا
واذكر ذنوبَك وابكِها يا مُذنِبُ

وذَهابُ الشباب من أشقّ الأمور على النفس عند شعراء العرب لأنه لا رجعةَ له ، كما قال الفرزدق :

إذا نازل الشيبُ الشبابَ فأصلتا بسيفيهما فالشيبُ لا بُدَّ غالِبُه

فيا خيرَ مهزومٍ ويا شرَّ هازمٍ إذا الشيبُ وافت للشبابِ كتائبُه

وليس شبابٌ بعد شيبٍ براجعٍ مدى الدهر حتى يُرجعَ الدَّرَّ حالِبُه

ويقول الحسين بن مطير :

نزل المشيبُ فما يُريد بَراحا وقضى لُبانتَه الشبابُ فراحا

ما كنتُ بائعَه بشيءٍ يُشتَرَى أبداً ولو أني أصبتُ رَباحا

فعلى الشبابِ تحيةٌ من زائرٍ يغدو ويَطرق ليلةً وصباحا

فدع الشبابَ فقد مضى لسبيله وانظُر بعينِكَ بارقاً لمّاحا

وفي حضّ الشائب على ترك التصابي فقد ولّى شبابه قولُ محمد بن حازم :

كفاكَ بالشيبِ عيباً عند عائبه وبالشباب شفيعاً أيُّها الرجلُ

بانَ الشبابُ وولّى عنكَ باطِلُه فليس يَحسُنُ منك اللهوُ والغَزَلُ

ويقول أبو الغصن الأسدي :

أتامُلُ رجعةَ الدنيا سَفاهاً   وقد صار الشبابُ إلى ذَهابِ
فليتَ الباكياتِ بكلِّ أرضٍ   جُمِعنَ لنا فَنَحْنُ على الشبابِ

وفي التفجّع على ذهاب الشباب قول دِعْبِل الخزاعي :

أين الشبابُ وأيةً سلكا ؟   أم أين يُطْلَب ؟ ضلَّ أم هَلَكا
لا تعجبي يا سَلْمَ من رجلٍ   ضَحِكَ المشيبُ برأسِه فبكى
قد كان يَضحك في شبيبته   فأتى المشيبُ فقلّما ضحكا

ومنه قول منصور بن سَلَمة النَّمِري :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جَزَع   إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ
ما كنتُ أوفي شبابي كنهَ غِرَّته   حتى انقضى فإذا الدنيا له تبعُ

والقول في هذا كثير ، ولكن أختم القول بأبيات في هذا المعنى للفقيه الزاهد أبي عمران حيث يقول :

ذهب الشبابُ بِجَهلِه وبعارِهِ   وأتى المشيبُ بحلمِه ووَقارِهِ
شَتّانَ بين مُبَعّدٍ من رَبّه   بغروره ومُبَشَّرٍ بجوارِهِ
ما زلتُ أمرح بالشباب جَهالةً   كالطِّرْفِ يمرح مُعْجَباً بعِذارِهِ
وسَحَبْتُ أثوابَ البطالة لاهياً   وجَرَرْتُ مِن بَطَرٍ فُضولَ إزارِهِ
حتى تقلّص ظِلُّه فتكشّفَت   عَوْراتُه وبدا قبيحُ عَوارِهِ

لم أَحظَ منه بطائلٍ غير الأسى　　وتَنَــدُّمٍ مني على أوزارِهِ
والآن قد خطَّ المشيبُ بِمَفرقي　　بمواعظٍ والحقُّ في تَذكارِهِ
والنفسُ تركب غيَّها لا تَرْعوي　　عنه ولا تُصغي إلى إنــذاره
لَهفي على عمــرٍ يَمُرّ مضيَّعاً　　مُخصًى عليـه بليله ونهـارِهِ

وقد مرّ ذكر هذه الأبيات في مناسبة سابقة . ومما يدخل في هذا الباب قول أبي الأسود الدؤلي :

أفنى الشبابَ الذي أبليت جِدَّتَه　　مَرُّ الجديدين من آتٍ ومُنْطَلِق
لم يَتركا ليَ في طول اختلافهما　　شيئاً أخاف عليه لَذعةَ الحَدَق

وكان أبو الأسود جميلاً في شبابه . ويقال إنه دخل على معاوية في يوم من الأيام فقال له معاوية : أصبحت جميلاً يا أبا الأسود . ويقال إنه أنشد البيتين في تلك المناسبة .

ومن الذين صبروا على المشيب مسلم بن الوليد بقوله :

الشيب كُرْهٌ وكُرْهٌ أن يفارقني　　أَعجب بشيء على البغضاء مودود
يمضي الشباب فلا يأتي له خلف　　والشيب يـذهب مفقوداً بمفقود

وأوضح ذلك أبو الفتح البستي بقوله :

يا شيبتي دومــي ولا تترحَّلي　　وتيقني أني بوصلك مُولَــع
قد كنتُ أجزع من حلولك مدة　　والآن من خوف ارتحالك أجزع

وقال ابن رشيق :

أراكَ للشيب ذا اكتئـاب　　فأين تمضي عـن الصــواب
إن كنتَ ترْعَى الوفاءَ حقاً　　فالشيبُ أوفى من الشبــاب

وذلك لأن الشباب يتخلى عن المرء في حين أن الشيب لا يفارقه حتى الممات.

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويُكْدِي الفتى في دهرِه وهو عالِمُ

الشامي محمد
كـُولمين – المغرب

★

أبو تمام

● **الجواب:** هذا البيت لأبي تمّـام من قصيدةٍ يمدح بها أحمد بن أبي دُؤاد، ومطلع القصيدة :

أَلَم يَأْنِ أن تَرْوَى الظِّماءُ الحوائمُ وأن يَنْظِمَ الشملَ المبدَّدَ ناظِمُ

وبدأها أبو تمام ، كعادةِ الشعراء ، بشيءٍ من الغزل ، ثم عَرّج على قول الحكمة ، وذكر منزلةَ الشعر ، ثم انتقل إلى مدح الممدوح ، وتقع القصيدةُ في خمسةٍ وثلاثين بيتاً . فهو يقول :

أمـــا وأبيهـا لو رأتني لَأَيقنت
بطولِ جوىً تَنْقَدُّ منه الحيـازمُ

رأت قَسماتٍ قـد تَقَسَّم نُضْرَها
سُرَى الليـل والإسآدُ فهي سوائمُ

ينال الفتى مِن عيشه وهو جاهـل
ويُكدي الفتى في دهره وهو عـالمُ

ولو كانت الأَرزاقُ تجري على الحِجى
هَلَكنَ إذاً من جَهْلِهِنَّ البهـائمُ

فلم يَجتمع شرقٌ وغربٌ لقـاصدٍ
ولا المجـدُ في كفِّ امرىءٍ والدراهمُ

والشعراءُ العرب يكثرون من المقابلات في أشعارهم ، كالمقابلةِ بين الدين والدنيا ، والعلم والجهل ، والعلم والمال ، والحلم والجهل ، والبخل والكرم ، والشجاعة والجبن ، والفقر والغنى ، وغير ذلك . فأبو تمام هنا يقابل بين الجهل والعلم من جهة ، وبين الجهل والغنى من جهةٍ أُخرى ، وبين العلم والفقر من جهة ثالثة . ومحصَّل كلامه أن العالِمَ محروم في حين أن الجاهلَ مرزوق . كما قال الشافعي :

لو أنّ بالحِيَلِ الغنى لوَجدْتُني بنجومِ أفـلاكِ السماء تعلقي
لكنّ مَن رُزِق الحجا حُرِم الغنى ضدان مفترقـانِ أيَّ تَفَرُّقِ
فإذا سَمِعْتَ بأنّ محرومـاً أتى ماءً لِيَشْرَبَـه فغاض فَصَدِّقِ
أو أنّ محظوظاً غـدا في كفه عودٌ فأورق في يديه فحقّقِ

ومن الدليلِ على القضاء وكونِه بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمقِ

وكان العلماءُ في الغرب بعد الثورة الصناعية يقولون إنّ الفقيرَ هو فقيرٌ لأنه ناقص العقل ولا فائدةَ من الأخذِ بيده . وادّعى العربُ مثلُ الشافعي أنّ الغِنى حَظٌّ والفقرَ حظ وأن الأقسامَ حظوظ ، والجِدّ لا يُغني كما أنّ الكسلَ لا يُفقِر . ومن ذلك قولُ المعري :

لا تَطْلُبنّ بآلةٍ لكَ رُتبةً قلمُ البليغ بغيرِ حَظٍّ مِغْزَلُ
سَكَن السماكانِ السماء كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

يُشير المعري إلى نجمين مشهورين : أحدُهما يُسَمّى السّماكُ الرامح والثاني يُسَمّى السّماك الأعزل .

ويقول القاضي الفاضل في المعنى نفسِه :

ما ضَرّ جهلُ الجاهلينَ ولا انتفعتُ أنا بِحِذقي
وزيادتي في الحِذق فهي زيادةٌ في نقص رزقي

وهذا التشكي عند شعراء العرب كان في زمن الانحلال ، حينما كان الأمراءُ يُكرِمون العلماءَ والشعراءَ على الولاء لا على العلم ، لأنّ الأمراء كانوا أحوجَ إلى الولاء منهم إلى العلم .

ومِمّا يُشبه قولَ أبي تمام قولُ ابنِ الراوندي ، وينسب إلى غيره :

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذاهِبُه وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهامَ حائرةً وصَيَّر العالِمَ النِحريرَ زِنديقا

ومنه قول الغَزّي :

كم عالمٍ لم يَلِجْ بالقَرع بابَ مُنىً
وجاهلٍ قبل قَرع البابِ قد وَلَجا

ومنه قولُ عبد الجليل بن وَهبون :

يَعِزّ على العلياء أنيَ خامــلُ وإن أبْصَرَتْ مني خُمودَ شِهابي
وحيث تَرَى زَندَ النجابة وارياً فَثَمَّ تَرَى زنــدَ السعادةِ كابي

وأوضحُ من ذلك قولُ أبي اسحاق الصابي :

إذا جَمَعتْ بين آمْرِئَيْنِ صناعةٌ
فأحببتَ أن تَدري الذي هو أحْذَقُ
فلا تَتَفَقّد منهما غيرَ مــا جَرَت
به لهما الارزاقُ حــين تُفَرَّقُ
فحيث يكون الجهلُ فالرزقُ واسعٌ
وحيث يكون العلمُ فالرزقُ ضيّقُ

ومثلُه قولُ أبي الخير المَرْوَزي الضرير :

تنافى العقلُ والمال فما بينهما شَكــلُ
هما كالوردِ والنَّرْجسِ لا يَحويهما فَصــلُ
فعقلٌ حيث لا مالٌ ومالٌ حيث لا عَقْلُ

ومن اظرف ما قيل في الجهل مع الغنى وفي العلم مع الفقر قولُ محمد بنِ أبي الفضل السُّلَمي :

عابوا الجهالةَ وأزْدَرَوا بحقوقها ... وتهاونوا بحديثهـــا في المجلسِ

وهي التي يَنقاد في يدها الغِنى ... وتَجيئُها الدنيا برغم المَعْطِسِ

إن الجهالةَ للغِنى جَذّابــــة ... جَذْبَ الحديد حجارةَ المَغْنَيْطِسِ

ويقول عبد القاهر الجرجاني :

كَبِّر على العقلِ يا خليلي ... ومِل إلى الجهل ميلَ هائم

وكُن حِماراً تَعِش بخيرٍ ... فالسعد في طالع البهائم

ويقول أبو يَعْلى بن الهَبَّارية :

الجهـلُ أروح للفتى من عقله ... يمسي ويُصبح آمناً مسرورا

لمّا علا الجهالُ في أيامنـــا ... ورَقَوا ونَالوا منزلاً وسريرا

أخفيتُ علمي واطّرحتُ فضائلي ... علّي أكون إذا جهلت أميرا

وفي قولهم: إن الرزق مقسوم، أبيات رأيتها في الأمالي عن الأصمعي حيث يقول:

الحمدُ لله حمداً دائماً أبـــداً ... في كلّ حالٍ هو المُسْتَرْزَق الوَزَرُ

فليس ما يجمع المثري بحيلته ... وليس بالعجز مَن لم يُثْرِ يَفتَقِرُ

إن المقـــاسِم أرزاق مقدّرة ... بين العِباد فمحرومٌ ومُدَّخِرُ

فما رُزِقْتَ فإن اللهَ جالِبُـه ... وما حُرِمتَ فما يجري به القدرُ

● **السؤال :** من قائل هذه الأبيات في مدح آل النبي :

ولما رأيتُ الناسَ قد ذَهَبَت بهم مذاهبُهم في أبحر الغَيّ والجهلِ

ركبتُ على اسمِ الله في سفن النجا وهم أهلُ بيتِ المصطفى خاتمِ الرُّسلِ

مَسَكنا بحبـل الله وهو وَلاؤُهم كما قد أُمِرنا بالتمسك بالحبلِ

عبد النبي عمران علي أحمد النعيمي

صحار

★

الإمام الشافعي

● **الجواب :** رأيتُ هذه الأبيات منسوبةً إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ ويقول الشافعي في بقية الأبيات :

إذا ٱفْـتَرَقَت في الدين سبعون فِرْقَةً

ونَيْفاً كما قد صَحَّ في مُحكَم النَّقْلِ

ولم يَكُ ناجٍ منهم غيرُ فِرقــةٍ

فَقُل لي بها يا ذا الرَّجاحةِ والعَقْلِ

أفي فِرَقِ الهُـــلاّكِ آلُ مُحَمَّدٍ
أم الفِرقةِ اللاتي نجتْ منهمُ قُل لي

فإن قُلتَ في الناجين فالقولُ واحِدٌ
وإن قلتَ في الهُلاّكِ حِفتَ عن القوْلِ

إذا كان مولى القومِ منهم فإنني
رَضِيتُ بهم ما زال في ظِلّهِم ظِلّي

فخَلِّ عَلِيًّا لي إمامـــاً ونَسْلَه
وأنت من الباقين في سائرِ الحَلِّ

وفي أول هذه الأشعار إشارة إلى الحديث النبوي الشريف : « ستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، الناجيةُ منها واحدة والباقون هَلْكَى » . قيل : ومَن الناجية ؟ قال : أهلُ السنة والجماعة . قيل : وما السنة والجماعة ؟ قال : ما أنا عليه اليومَ وأصحابي . وقال ﷺ : لا تزال طائفةٌ مِن أمتي ظاهرين على الحقّ إلى يومِ القيامة .



● **السؤال :** من القائل وما القصيدة وأين توجَد :

أمـــا الصُّبوح فإنه فرضُ   فعلامَ يَكْحَل جفنَك الغَمْضُ

خليل ابراهيم الفضلي
بغداد ــ العراق

★

الحُوَيزي

● **الجواب :** هذا البيت مطلع قصيدةٍ رأيتها في إحدى المجموعات الشعرية قال جامِعُها إنها لِلـحُـوَيـزي . ويقول فيها بعد المطلع :

هذا الصَّباحُ بَدَتِ بشائرُه   ولخيله بفضائـــه رَكْضُ
والليلُ قد شابت ذوائبُه   وعِـــذارُه بالفَجْرِ مُبيَضُّ
فـأنهض إلى حَمراءَ صافيـــةٍ   قد كاد يَشرب بعضَها بعضُ
يَسْقِيكَها مِن كَفّـــه رَشأٌ   لَدْنُ القَوامِ مُهَفْهَفٌ غَضُّ
سِيّانِ ريقَتُه وخَمرتُـــه   كِلْتاهُما عِنَبيَّـــةٌ مَحْضُ

مَن ضَمّه فَتَح السرورُ له بابا وكان لِعَيْشِه الخَفْضُ

باهَتْ ، وقد أبدى مَحاسِنَه قَمَرَ السماءِ ، بِحُسنه الأرضُ

يَسْعَى بها كالشمس مُشْرِقةً للعينِ عن إشراقِها غَضُّ

والكاسُ إذ تَهوي به يَدُه نَجْمٌ بِجِنْحِ الليلِ مُنْقَضُّ

بات النَّدامَى لا حَراكَ بهم إلاّ كما يتحــرك النبضُ

في رَوْضَةٍ يُهــدِي لِناشِقِها أرَجَ الحبائبِ زَهْرُها الغَضُّ

خَتَم الحَيـــا أزْهارَها فغدا بيَدِ النسيمِ لِخَتْمِها فَضُّ

فـاشْرَب على حافاتِها طَرَباً وأنْهَضْ لها ما أمكن النَّهْضُ

لا تُنْكِرَنْ لَهْوي على كِبَري فَعَلَيَّ مِن عَصْرِ الصِّبا قَرْضُ

أغْـرَى العَذولُ بلومه شَغَفي فكأنمـــا إبرامُـه نَقْضُ

خالفتُـــه والرأيُ مُخْتَلِفٌ شاني الوِدادُ وشانُـه البُغْضُ

مَهْلاً فليس على الفتى دَنَسٌ في الحُبِّ مالم يَدْنَـسِ العِرْضُ

وبما أنّ السائلَ الكريم من بغداد ، فإن السيد محمد ناجي القشطيني ذكر القصيدةَ في كتابه « من عيون الشعر » الصادر في بغداد سنة ١٩٦٨ .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وإن أحقَّ الناس باللوم شاعر يلوم على البخل الرجالَ ويبخلُ

علي شرف الدين نور الدين
كاس – جنوب دارفور – السودان

★

أحمد بن أبي فَنَن

● **الجواب :** هذا البيت لأحمد بن أبي فَنَن وكان معاصِراً لأبي العتاهية وصديقاً له يُلازِمُه ويُغَنّيه وكان أبو العتاهية يأنَس به ويَطرب لغنائه ، ثم حَصَلت بينهما جفوة ، وكان أبو العتاهية على بخله يُزَهّد الناسَ بالدنيا ويلومُهم على جمعِ المال واختزانه ، دون إنفاقه بخلاً منهم ، فقال فيه هذا البيت . ولم أجد ترجمةً لأحمد بن أبي فنن هذا ، ووجدتُ له بيتين من الشعر لا غير في فوات الوفيات دون ترجمة .

ومن أقوال أبي العتاهية في التزهيد بجمع المال ثم في الحض على إنفاقه قولُه :

إذا المرءُ لم يُعتِق من المالِ نفسَه تملَّكه المـــالُ الذي هو مالكُهْ

ألاَ إنما مالي الذي أنا مُنفِقٌ   وليس ليَ المالُ الذي أنا تارِكُهْ

إذا كنتَ ذا مالٍ فبادر به الذي   يَحِقّ وإلاّ استهلكَتْه مهالِكُهْ

وكان أبو العتاهية يُبَخّل الناسَ جميعاً ، من ذلك قوله من أبيات :

فاْضرِب بطَرْفِك حيث شئتَ فلا تَرَى إلاّ بخيلا

وكان أبو العتاهية أيضاً يقول الشعر الكثيرَ في الزهد ، فقال فيه الجمّاز :

ما أقْبَحَ التزهيدَ من واعظٍ   يُزَهِّدُ النـــاسَ ولا يَزْهَـدُ

لو كان في تزهيـــدِه صادقاً   أضْحى وأمسى بَيْتَه المسجدُ

وفي هذا ما يشبه قولَ خالد بن صفوان لرجلٍ قال عن عَبْدَةَ بن الطبيب إنه لا يُحسِن الهجاء : « لا تَقُل ذاك ، فواللهِ ما أبى عن عِيٍّ ولكنه كان يترفع عن الهجاء ، ثم قال :

وأجرأُ مَن رأيتُ بظهرِ غيبٍ   على عَيبِ الرجالِ أولو العيوبِ

وقولُ أحمد بن أبي فنن في البيت المسئول عنه يشبه قولَ ابن الرومي في سَوّار بن أبي شُراعة :

يا مَن صناعتُه الدعاءُ إلى العُلا   ناقَضْتَ في فِعْلَيْكَ أيَّ نِقاضِ

عَجَباً لِحَضّاضِ الكرامِ على الذي   هو فيـــه محتاجٌ إلى حَضّاضِ

وَصَفَ المكارمَ وهو فيها زاهِدٌ   ورأى الجميلَ وفيه عنه تَغاضِ

إلى آخر الأبيات .

وهذا يشبه ما قاله مسلِم بن الوليد في الحكَم بن قَنْبَر :

عابَني مِن معايبٍ هُنّ فيـــه   حكَمٌ فاشتفى بهـــا مَن هَجاني

وأشهرُ الأقوال في ذلك ما كنا ذكرناه مراراً :

وغيرُ تَقِيٍّ يامر الناسَ بالتقى   طبيبٌ يداوي الناسَ وهو عليل

ومن أقوال أبي العتاهية في هذا المعنى قولـه :

يا واعظَ الناس قد أصبحتَ مُتَّهماً   إذ عبتَ فيهم أموراً أنت تاتيها

كالمُلبِسِ الثوبَ عن عُرْيٍ وعورتُه   للناسِ باديةٌ ما إن يواريها

فأعظمُ الإثم بعد الشِّرك نعلَمه   في كلِّ نفسٍ عَماها عن مساويها

عِرفانُها بعيوبِ الناس تُبصِرها   فيهم ولا تبصِرُ العيبَ الذي فيها

وقد عُزيت هذه الأبيات لابنِ كُناسة في محاضرات الأدباء .

ومن ذلك أيضاً قول أحمد بن يوسف الـكاتب :

يا واعظَ الناس غيرَ مُتَّعِظٍ   ثَوْبَكَ طَهِّر أولاً ، فلا تَلُمِ

ويقول :

وعامِـــلٍ بالفُجور يامر بالبِرّ   كهـــادٍ يخوض في الظُّلَمِ

أو كطبيبٍ قـــد شفّه سقمٌ   وهو يداوي من ذلك السَّقمِ

● **السؤال :** ذكر الراغب الأصفهاني عن أبي الأسود الدؤلي ونزاعه مع امرأته حول ابنٍ لها ، وغلبت حُجةُ المرأة . وسمعتُ من إذاعة الكويت أن هذه المخاصمة كانت عنـــد معاوية بن أبي سُفيان وأن المرأة أنشدته شعراً وأبا الأسود أنشد شعراً ومعاوية أنشد شعراً على قافية اللام مع الألف ، فأين توجد هذه القصة ؟

محمد صالح السيد عدنان البحراني

البحرين

★

أبو الأسود الدؤلي وامرأته

● **الجواب:** نظرت في كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهاني فلم أجد هذه الحـكاية التي ذكرتها ، ولم أجد أيضاً أن هذه الحـكاية جرت مع معاوية بن أبي سفيان ، ولكنّ الذي ذكره القـالي في أماليه أن الحـكاية جرت مع زياد بن أبي سفيان المعروف بزياد بن أبيه أو زياد بن عبيدالله في خصومة بين أبي الأسود الدؤلي وامرأته على ابنٍ ادعاه كـُلٌّ منهما ، وليس في الحكاية شعر . وقال القالي في أماليه عن أبي عبيدة قـــال : جرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلامٌ في ابنٍ كان لهما منه ، وأراد أخذه منها فسار إلى زياد وهو والي البصرة فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني كان

بطني وعاءَه وحِجْري فِناءَه وثَديي سقاءَه ، أكْلَؤُه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعةَ أعوام ، حتى إذا استُوفي فِصالُه وكَمَلت خصالُه ، واستَو كَعَت أوصالُه ، وأمَّلْتُ نفعَه ورَجَوْت دفعَه أراد أن يأخُذَه مني كَرْهاً ، فآدِني أيها الأمير ، فقد رام قهري وأراد قسري . فقال أبو الأسود: أصلحكَ الله، هذا ابني ، حَمَلْتُه قبل أن تَحمِلَه، ووَضعتُه قبل أن تَضَعَه ، وأنا أقومُ عليه في أدبه ، وأنظر في أوَدِه ، وأمنحه عِلمي وألْهِمُه حِلمي ، حتى يكمُلَ عقلُه ويَستحكِمَ فَتلُه . فقالت المرأة : أصلحَكَ الله ، حَمَلَه خِفًّا وحملته ثِقلاً، ووضَعَه شهوةً ووَضعتُه كُرْهاً. فقال له زياد : أرْدُدْ على المرأةِ وَلدَها ، فهي أحقُّ به منك ، ودَعْني مِن سَجْعِك .

ويحكى عن أبي الأسود الدؤلي أن امرأته دخلت يوماً على معاوية بن أبي سفيان تشكو له بعلَها ، وكانت فصيحةً ، فجرت في المجلس مجاوبات بينها وبين أبي الأسود ، ثم قال له معاوية : إنها قد غلبتك في الكلام ، فتكلَّف لها أبياتاً لعلك تغلبها ، فقال أبو الأسود :

مرحباً بالتي تجور علينا ... ثم سَهْلاً بالحامل المحمول
أغلقت بابها عليَّ وقالت ... إن خيرَ النساء ذاتُ البُعول
شَغَلت نفسَها عليَّ فَراغاً ... هل سَمِعتم بالفارغ المشغول

فأجابته امرأته :

ليس مَن قال بالصواب وبالحقّ ... كمن جار عن منار السبيلِ
كان ثديي سقاءَه حين يُضحي ... ثم حِجْري فِناؤه في الأصيلِ
لستُ أبغي بواحدي يا ابنَ حربٍ ... بدلاً ما علمته والخليلِ

وقولها عن ثديها وحجرها تعني به ابنها وكان معها في المجلس. وكان أبو الأسود يريد إبعادها عنه فقضى لها معاوية . ولأبي الأسود أخبار أخرى مع زوجته .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

لنا قمرُ السماء وكُلُّ نجمٍ ... تُشير إليه أيـــدي المهتدينا

آصف عبد الغفار محمد
صافيتا – سورية

★

الكميت بن زيد

● **الجواب :** هذا البيت للكميت بن زيـد من قصيدة مشهورة تـُعرَف بالمُذَهَّبَة مطلعها :

ألاَ حُيِّيتِ عنا يا مَدِينـــا ... وهل باسٌ بقولِ مُسَلِّمينا

وأورد صاحبُ الأغاني بعضَ أبياتٍ منها ، ومن أبياتها :

لنـــا قَمَرُ السماء وكُلُّ نجمٍ ... تُشير إليه أيـــدي المهتدينا

وَجدْتُ الله إذ سمَّى نِزاراً ... وأسكنهم بمكةَ قاطنينـــا

لنا جَعَـــل المكارمَ خالصاتٍ ... وللناس القفـــا ولنا الجبينا

وهي طويلةٌ ومُفرّقة في كتب مختلفة .

وقد كان لهذه المُذَهَّبَة أثرٌ كبير في حياة الكميت ، وسَبّبت له العداواتِ في حياته وبعد مماته . وقال ابنه : حضرتُ أبي عند الموت وهو يجود بنفسِه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال : اللهمّ آلَ محمد ! اللهمّ آلَ محمد ! اللهمّ آلَ محمد ! ثم قال : وَدِدْتُ يا بُنَيّ أني لم أكن هجوتُ نساءَ بني كلب بهذا البيت :

مع العُضروط والعُسَفاء ألْقَوا بَراذِعَهُنَّ غَيْرَ مُحَصَّنينا

فعَمَّمْتُهُنّ قَذفاً بالفجور ، واللهِ ما خرجتُ بليل إلاّ خَشِيت أن أُرْمَى بنجوم السماء لذلك .

والقصيدة من الدوامغ. والدوامغُ من هذا النوع عديدة، وقد ناقض دِعْبل الخزاعي قصيدةَ الكميت هذه بقصيدةٍ مثلِها في الوزن والقافية ، وأظهر فيها تعصّبَه للقحطانيـة ، وافتخر باليمن وهجا النِزاريّة ، على عكس الكميت . وكانت قصيدةُ دعبل تقرب من ستمئة بيت ، ولكن لم يَبْقَ منها إلاّ ما لا يتجاوز العشرين بيتاً ، وجاء منها في ديوانه قولـه :

أقِلّي من مَلامَـــكِ يا ظَعينا كفـــاكِ اللومَ مَرُّ الأربعينا

ألم تحزُنكِ أحداثُ الليـــالي يُشَيِّبْنَ الذوائبَ والقرونـــا

وفيها يقول :

لقـــد علمتْ نزارٌ أن قومي إلى نَصر النبوةِ فاخرينـــا

هُمُ كتبوا الكتابَ ببابِ مروٍ وبابِ الصين كانوا الكاتبينـــا

ولمّا رَدَّ دِعْبل على الكميت بقصيدته التي ذكرناها قبل قليل، قال أبو سعدٍ المخزومي في دِعبل :

وأعجَبُ مـــا سَمِعنا أو رأينا هجـــاءٌ قـــاله حَيٌّ لِمَيْتِ
وهـــذا دِعْبِلٌ كَلِفٌ مُعَنّى بتسطير الأهاجي في الكُميتِ

وقال بعضهم : سمعتُ أبي يقول : لم يزل دعبل عندنا وعند الناسِ جليل القدر ، حتى ردّ على الكميتِ بنِ زيد القائل لقصيدتِه :

ألاَ حُيِّيتِ عنا يا مَدينا ...

وردّ على الكميتِ غيرُ شاعر .

وقد جمع عدداً من هذه القصائد والردود عليها السيد أحمد محمد الشامي سفير جمهورية اليمن العربية في لندن في كتاب سمّاه « دامغة الدوامغ » .

والسبب الذي قال الكميتُ من أجله قصيدتَه المذهَّبة أنّ حكيماً الأعور بن عيّاشٍ الكلبي ، من شعراء الشام ، قال قصيدةً هجا بها مُضَر ورَمَى فيها امرأةَ الكميت بن زيد بالسجّانين، وذلك لأن الكميت فرّ من السجن بثياب امرأته. وسبب حبس الكميت أن حكيماً الأعور هذا كان مُولَعاً بهجاء مُضر، فكانت شعراءُ مضر تهجوه وتجيبه، وكان الكميت يقول: هو واللهِ أشعرُ منكم ! قالوا له : فأجب الرجل ! قال : إن خالداً القسري مُحسِنٌ إليّ فلا أقدِر أن أرُدّ عليه . قالوا : فاسْمَع بأذُنك ما يقول في بناتِ عمّك وبنات خالِكَ من الهجاء . فأنشدوه من أقوال حكيم الأعور فحَمِي الكويتُ لعشيرته فقال مُذَهَّبتَه التي أولها :

ألاَ حُييتِ عنّا يا مَدِينا ...

وهي زهاءُ ثلاثمئة بيت لم يَترك فيها حيًّا من أحياء اليمن إلاّ هَجاهُم ، ومنهـا :

ولا أعني بذلـــك أسْفَلِيهِمْ   ولكني أريد بـــه الذّوينـــا

وأراد بالذّوين الأذواء وهم ملوك اليمن وهم التبابعة . وعَرّض الكميتُ في المذهّبة بأن الفرسَ والأحباش وغيرَهم أخذوا نساء اليمن بقوله :

لنـــا قَمَرُ السماء وكُلُّ نجمٍ   تُشير إليه أيـــدي المُهْتَدِينا

وما ضَرَبَت بناتِ بني نِزارٍ   هوائجُ مِن فحولِ الأعجمينـا

وما حَمَلوا الحميرَ على عِتـــاقٍ   مُطَهَّمَـــةٍ فيُلْفَوا مُنْغِلينا

أي إن بني نزار لم يَسمَحوا لبناتهم بأن يعتديَ على عَفافِهِـنّ رجالٌ أنذال حتى يَلِدْنَ أنغالاً من والدين أحدهما عربيّ والآخر وضيع النسب كأولاد الحمار والفرس. ونِزار هو والد مُضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان ونسبه يتصل بنسب النبي ﷺ . فالمُضَرِيّةُ جماعَةُ العدنانية ومنهم بنو هاشم . وبيت حكيم الأعور هو :

فما وَجَدَت بناتُ بني نِزارٍ   حلائلَ أسْوَدِينَ وأحْمَرينـا

وحلائل جمع حَليل وهو الزوج،وأسْوَدِين صفة الحلائل وكذلك أحمَرين.

وقيل إن سببَ هجاء الكميت أهلَ اليمن أن حكيماً الأعور هذا كان يهجو عليّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه وبني هاشم جميعاً ، وكان مُنقطِعاً إلى بني أمية . فانتدب له الكميت فهجاه وسبّه وأجابه حكيم ، ولجّ الهجاءُ بينهما ، وكان الكميتُ يخاف أن يَذكُر اسمَ عليّ صراحة في شعره ، لما وَقع بينه وبين هشام ، وكان يظهر أن هجاءَه لحكيم الأعور إنما هو للعصبية بين عدنانَ جَدّ

مضر وبين قحطان أبي اليمن . وسأل المُستَهِلُّ بنُ الكميت أباه يوماً ، لمّا افتَخر في قصيدة بائية ببني أمية وهجا بها قحطان: كيف فَخَرت ببني أميةَ وأنت تشهد عليهم بالكفر ، فهلاّ فَخَرْتَ بعليّ وبني هاشم الذين تتولاّهم أنت ؟ فقال الكميت: يا بُنيّ، أنت تعلم انقطاعَ الكلبي – أي حكيم الأعور – إلى بني أمية ، وهم أعداءُ عليّ رضي الله عنه ، فلو ذكرتُ علياً لَتَرك ذكري وأقبل على هجاء علي، فأكونُ قد عرّضتُ علياً للهجاء، ولا أجِدُ له ناصِراً من بني أمية ، ففَخَرتُ على الأعور الكلبي ببني أمية ، وقلتُ إن نَقَضها عَلَيّ قتلوه، وإن أمسكَ عن ذكرهم ثَنَيْتُه عن الذي هو فيه، فكان الأمرُ كما قال الكميت ، فقد أمسك الأعور عن جوابه فغَلَب عليه وأفحمه . وقال الأعور الكلبي يوماً يُعَرّض ببني أسد قوم الكميت :

ما سَرّني أن أمي من بني أسد وأنّ رَبّيَ نَجّاني من النـــار

وأنّهم زَوّجوني من بنـــاتِهِمُ وأنّ لي كلّ يومٍ ألفَ دينار

فأجابه الكميتُ بقوله :

يا كَلْبُ ما لَكَ أمٌّ من بني أسدٍ معروفةٌ فَاْحتَرِقْ يا كلبُ بالنار

فأجابه الكلبي :

لن يَبْرَحَ اللؤمُ هذا الحيَّ من أَسدٍ حتى يُفَرّقَ بين السبت والأَحدِ



● **السؤال :** كثيراً ما نسمع هذا المثل :

أنجُ سَعْدُ فقد هَلَك سُعَيد

فخر صالح قدّارة
طولكرم — الأردن



زياد بن عُبَيد الله

● **الجواب :** هذه العبارة تروى على هذه الصورة وتروى على صورة أخرى ، فقد رأيت في كتاب ذيل الأمالي والنوادر للقالي أن زيادَ بن عبيد الله قَدم والمُهَلّبَ بنَ أبي صُفرة البصرة فجاء إلى صلاة الجمعة وقد لبِس قميصاً مُرَحّضاً ومُلاءةً مُمَصّرة ، فصَعِد المِنبرَ فقال : رُبَّ فَرِحٍ بإمارتي لن تَنفعَه ورُبَّ مُبْتَئِسٍ بها لن تَضُرَّه . ثم حَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس إن معاويةَ قد قال ما بَلَغكم وشهدت الشهود بما قد سمعتم ، وإني امرؤٌ قد رفع الله مني ما وَضعوا وحَفِظ مني ما ضَيّعوا وإنّ عُبَيْداً لم يَألُ أن يكونَ كافِلاً مبروراً وأباً مشكوراً وإنّا قد سُسْنا وساسَنا السائسون ، فلم نَجِدْ لهذا الأمرِ خيراً مِن لِينٍ في غيرِ وَهْن ولا مِن شِدّةٍ في غير

جَبَرِيّة ، ألا وإنها ليست كذْبةٌ أشهرُ عليها شاهداً مِن الله ومن المسلمين من كذبةِ إمامٍ على مِنبر ، فإذا سمعتموها مني فاختبروها فيّ ، واعلموا أن لها عندي أخَوات ، وإذا رأيتموني أجري الأمورَ فيكم على أذْلالها وأمْضيها لِسُبُلِها ، فَلْتَستَقِمْ لي قناتُكم . واللهِ لآخُذَنّ المُقبِلَ بالمُدْبِر والمُحسِنَ بالمُسيِء والمُطيعَ بالعاصي، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول : يا سَعْدُ انجُ فإن سُعَيداً قد قُتِل » . ويقال إن زياداً قال بعد ذلك رداً على بعضِ القوم : يا هذا إنا لن نبلُغ الحَقّ حتى نخوضَ إليه الباطِلَ خوضاً .

ولعَلّ في العبارة المسئول عنها إشارة خفية إلى قول مشهور عن سعدٍ وسُعَيد ، وهو : أسَعدٌ أم سُعَيد ؟ وفي حكاية هذا المثل مثلٌ آخر وهو : الحديث ذو شجون ؛ ومثلٌ ثان ، وهو : سَبَق السيف العذل . وهذا كله مذكور في الجزء الأول من « قول على قول » . والمثل : أسَعدٌ أم سُعَيد قاله ضَبّةُ بن أدٍّ لما افتقد ابنيه ، فكان يبحث عنهما ، فإذا رأى خيالاً أو أحداً مُقبلاً ظنّه ابنَه ، فكان يقول : أسعدٌ أم سُعَيْد ؟



● **السؤال** : من القائل وما الغَرَض :

لَنِعْمَ اليومُ يومُ السبت حقاً   لِصَيدٍ إن أَرَدْتَ بـلا امْتِراء

وفي الأَحدِ البنـاءُ لِأَنَّ فيه   تَبَدَّى اللهُ في خَلْقِ السماء

عبد المحسن اليحيى

مكتبة المعرفة ـ عنيزة ـ المملكة العربية السعودية

★

أيام الأسبوع

● **الجواب** : رأيتُ هذين البيتين مع أبيـاتٍ أُخرى في كتاب « نِثار الأزهار في الليل والنهار » لابن منظور صاحب لسان العرب عن أيام الأسبوع ولياليه وما يستحب من الأعمال المختارة في كلّ يومٍ منها . وقُسّمت أيامُ الأسبوع السبعةِ على الكواكب السيارةِ السبعةِ لكلّ يومٍ كوكب . فالسبتُ لِزُحَل ، والأحد الشمس ، والاثنين للقمر ، والثلاثاء لِلمريـخ ، والأربعـاء لِعُطارد ، والخميس للمشتري ، والجمعة للزُّهَرَة . وجَعَلوا لكلّ يومٍ من أيام الأسبوع فضيلة ، وخَصُّوه بعملٍ مختار ، كما تنصّ على ذلك الأبيات :

لَنِعْمَ اليومُ يومُ السبتِ حقاً — لِصَيدٍ إن أردتَ بـــلا امتراء

وفي الأحـــدِ البناءُ فإنّ فيه — بـــدا الرحمنُ في خَلْقِ السماء

وفي الاثنين إن سافرتَ فيـــه — تَنَبّأْ بالنَّجـــاحِ وبالنَّجـــاء

وإن رُمتَ الحجامَـــةَ فالثلاثا — فـــذاك اليومُ مُهراقُ الدماء

وإن رام امرؤٌ يومـــاً دواءً — فَنِعْمَ اليومُ يومُ الأربعاء

وفي يوم الخميس قضاءُ خـــيرٍ — فَفيه اللهُ يأذَن بالقضـــاء

وفي الجُمُعاتِ تنعيمٌ بأهـــلٍ — ولَذّاتِ الرجـالِ مع النساء

ويقولون إن أولَ ساعةٍ من يوم الأحد وليلةِ الخميس للشمس ، وأولَ ساعةٍ من يومِ الاثنين وليلةِ الجمعة للقمر ، وأولَ ساعةٍ من يوم الثلاثاء وليلةِ السبت لِلمريخ ، وأولَ ساعةٍ من يوم الأربعاء ، وليلةِ الأحد لِعُطارد ، وأولَ ساعةٍ من يوم الخميس وليلة الاثنين للمشتري ، وأولَ ساعَة من يوم الجمعة وليلةِ الثلاثاء للزُهَرة ، وأولَ ساعةٍ من يوم السبت وليلةِ الأربعاء لِزُحل . ولهم في ذلك أقوالٌ لا مجالَ لتحقيقها .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

أنا جسمٌ للحميا والحُمَيّا ليَ روح

سوحلي علي
أكادير – المغرب

★

ابن خروف

● **الجواب :** هذا البيت لعلي بن محمد بن نظام الدين الأندلسي المعروف بابن خروف ، كان إماماً في العربية ، لم يَتَزوّج قط ، واختلّ عقلُه آخِرَ عمره حتى مشى في الأسواقِ عُرْيانَ بادِيَ العورة . مات سنة ٦٠٩ هجرية عن خمسٍ وثمانين سنة ، وله البيتان :

أنا جِسْمٌ للحُمَيّا والحُمَيّا ليَ روحُ
بين أهلِ الظرفِ أغدو كُلَّ يومٍ وأروحُ

وذَكَره السُيوطي في بُغيَة الوعاة ، وقال عنه : كان في خُلُقِه زَعارَة

(أو زَعارّة) أي شَراسة ، وكان يسكن الخانات ووقع ليلاً في جُبٍّ ومات في اشبيلية . وقال ياقوت إنه مات سنة ٦٠٦ هجرية. وذكر له السيوطي هذه الأبيات في نيل مصر :

ما أعجبَ النيلَ ما أحلى شمائلَه في ضِفّتَيْهِ من الأشجار أرْواحُ
مِن جَنةِ الخلدِ فَيّاضٌ على تُرَعٍ تَهُب فيها هُبوبَ الريح أرْواحُ
ليست زيادتُه ماءً كما زَعَموا وإنما هي أرزاقٌ وأرواحُ

وذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان وقال عنه إنه أندلسي اشبيلي، وهو في الأصل حَضْرَمي من حضرموت. وقيل عنه إنه كان يسكن الخانات، وأقام بمدينة حلب مدة واختل عقلُه في آخر أيامه ، ويقال إنه وقع في جُبٍّ في إحدى الليالي ومات . واختلفوا في مكان موته ، فياقوت يقول إنه مات في اشبيلية عن خمسٍ وثمانين سنة ، ويقول الشيخ أثير الدين بن حيان إنه مات في حلب . وفي معجم الأدباء لياقوت أنه من رُنْدة في الأندلس ودرس النحو على أستاذه أبي الحسن بن طاهر ، وكان ابن خروف خياطاً فإذا اكتسب من الخياطة شيئاً قَسَمه نصفين بينه وبين أستاذه ، وكان أستاذه يأمره بنقل الماء إلى المسجد ، فشكا ابن خروف من ذلك فقال له أستاذه : لا أُحِبّ أن أراك جالساً بغير شُغل .

و (علي بن محمد) اسمان غلبا على النحويين ، فقد ذكر صاحب بغية الوعاة من النحويين الذي اسمهم (علي بن محمد) أكثر من أربعين رجلاً .

● **السؤال :** من القائل :

يَسقط الطيرُ حيث يُلتَقَطُ الحَبُّ وتُغشى مَنازِلُ الكُرَماء

علي عمارة
(نانتير – Nanterre) فرنسا

★

بَشّار بن بُرد

● **الجواب :** المشهور أنّ هذا البيتَ لبشار بن بُردٍ من أبياتٍ قالها في عُقبةَ بنِ سَلْم كما هو مذكورٌ في طبقات ابنِ المعتز وغيرِه ، وفي هذه الأبياتِ يقول بشار :

حَيِّيا صاحِبَيَّ أمَّ العَلاء ... واحْذَرا طَرْفَ عَيْنِها الحوْراء

إنَّ في طَرْفِها دَواءً وداءً ... لِمُحِبٍّ، والداءُ قَبلَ الدَّواء

عَذَّبَتْني بالحُبِّ عَذَّبَها اللهُ ... بما تَشْتَهي مِن الأَهْواء

ثم يقول :

يَسقُط الطَّيرُ حيث يُلتَقَطُ الحَبُّ وتُغشَى مَنازِلُ الكُرَماء

إنّما هِمَّةُ الجَوادِ ابنِ سَلْمٍ في عَطاءٍ ومَوْكِبٍ أو لِقاء

ليس يُعطِيكَ لِلرَّجاءِ ولِلْخَوْفِ ولكنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطاء

ويقول في عُقبَةَ بنِ سَلْمٍ هذا :

حَرَّم اللهُ أنْ يُرَى كابنِ سلمٍ عُقبَةِ الخيرِ مُطعِمِ الفقراء

لا أبالي صَفحَ اللئيمِ ولا تَجْري دُموعي على خؤونِ الصَّفاء

فَعلَى عُقبَةَ السلامُ مُقيماً وإذا سار تحت ظِلِّ اللواءِ

ويقال إنّ عُقبةَ هذا وصله بعَشَرَةِ آلافِ درهم ، وقيل إنه أمر له بثلاثة آلافِ دينار . وقيل لِبَشّار لمّا صَنَع هذه الأبيات . إن مَدائِحَكَ عُقبةَ هي فوق مَدائِحك كُلَّ أحد . فقال بشار : إنّ عطايا عقبةَ فوق عطايا كُلّ أحد : مَدَحتُه بهذه الأبيات فأمر لي بثلاثةِ آلافِ دينار ؛ وها أنا ذا مَدَحتُ المَهْدِي وأبا عُبَيدِ اللهِ غيرَ مَرّة ، وأقمتُ ببابِهما حَوْلاً ، ولم يُعطياني شيئاً ، أفألامُ على تجويدِ مَدْحي هذا .

وفي ابنِ خِلّكان اقتباسٌ للبيتِ المسئولِ عنه من ثلاثةِ أبياتٍ قالها أبو عبدِ الله الحسين بن أحمد المعروفُ بابنِ الحَجّاج الكاتب ، وهي :

قال قومٌ لَزِمتَ حَضرةَ حَمْدٍ وتَجَنَّبتَ سائرَ الرُّؤَساء

قُلْتُ مــا قاله الذي أحرز المعــاني قديماً قبلي من الشُّعَراء
يسقُط الطيرُ حيث يُلتَقط الحَبُّ وتُغشَى مَنازِلُ الكُرَمــاء

وكان الخليفةُ المنصورُ يقول عن عمرِو بنِ عُبَيد الزاهد : لقد ألْقَيْنا الحَبَّ للناس فَلَقَطوا إلاّ عَمْرَو بنَ عبيد .

وفي مثلِ هذا يقول المنصور :

كُلُّكُم يمشي رُوَيدْ كُلُّكُم يَطْلُب صيدْ غيرَ عمرِو بنِ عُبَيدْ

والمشهور أن الطير تتبع الجيوش لتنال مما تطرحه الجنود من الطعام أو لأن الجيوش تقتل القتلى فتترك الجثث تأكلها الطيور ، ومن ذلك قول مسلم بن الوليد:

قد عَوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقن بها فهن يتبعنه في كل مُرتَحــل

ويقول المتنبي :

يُطَمِّع الطيرَ فيهم طولُ أكلهم حتى تكاد على أحيــائهم تقع

والأصل قول النابغة الذبياني :

إذا ما غزَوا بالجيشِ حلّق فوقهم عصائب طــير تهتدي بعصائب

ويقول أبو تمام :

وقد ظُلِّلت عِقبانُ أعلامه ضُحىً بعِقبان طير في الدمـاء نواهلِ
أقامت على الرايات حتى كأنها من الجيشِ إلاَّ أنها لم تُقاتِلِ

ويقول الأفوه الأودي :

وتَرَى الطيرَ على آثــارنا رأيَ عين ثِقَـةً أن سَتُمارُ

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

ولقد ذكرتكِ يا أُميمةُ بعدما نزلَ الدليلُ إلى التراب يَسوفُه
وَهواكِ عندي كالغِناء لأنـه حَسَنٌ لديّ ثقيلُه وخفيفُـه

الزين عبد الكبير
سطات – المغرب

★

أبو العلاء المعري

● **الجواب :** هذان البيتان لأبي العلاء المعري من أبيات قال في أولها :

سَنَح الغرابُ لنا فَبِتُّ أَعِيفُه خبراً أَمَضَّ مِن الحِمامِ لَطيفُه

والأبياتُ سبعةٌ موجودةٌ في ديوان أبيالعلاء المعروف باسم سِقط الزَّند. ويقول المعري في هذه الأبيات :

زَعَمت غوادي الطير أنّ لِقاءها بَسْلٌ تَنَكّر عندنا مَعْروفُـــه
ولقد ذَكَرْتُكِ يا أُمامةُ بعدما نزل الدليلُ إلى التراب يَسوفُه

والعِيس تُعلِن بالحَنــين إليكُمُ ولُغامُها كالبِرْسِ طار نَديفُه

فَنَسيتُ ما كَلَّفتِنيهِ وطالما كَلَّفتِني ما ضَرَّني تكليفُه

وهواكِ عندي كالغنــاء لِأنّـه حَسَنٌ لديَّ ثقيلُه وخفيفُـه

وقوله : ولقد ذكرتُـكِ يا أمامةُ .. إلى آخره إشارةٌ إلى أنّ ذكرها كان عند شدة الأمر ، وذلك أن المسافر في سفره في الصحراء قد يَضِل الطريق أو أنه قد يريد أن يعرف إذا كان هو في الاتجاه الصحيح فيَطلُبُ إلى الدليل أن يتَعرّف ذلك ، فيأتي الدليلُ إلى الطريق فيَشُمُّ رائحتَها فيعرف إذا كانت الطريقُ مطروقة . وهذا معنى قوله : يَسوفه أي يَشُمُّه ، كما يقول رؤبة بن العَجاج : إذا الدليلُ استاف أخلاقَ الطرق . ويريد المعري هنا أن يُشيرَ إلى أنه ذكر أمامة في أشدّ المواقف ، كما ذكر عنترة صاحبته عبلة في أشد الأحوال وأحرجِ مواقع الحرب .

أما قوله: وهواكِ عندي كالغناء.. إلى آخره فهو إشارةٌ إلى أن الأصوات والغناء والضرب على الأوتار تكون على مرتبتين : الخفيفة والثقيلة ، كما جاء ذكر ذلك في كتاب الأغاني . والمعنى في البيت أن هوى أمامة لذيذ على أي حال .

● **السؤال :** من القائل :

الدهرُ أدّبَـني والصبر ربّاني   والقوتُ أقنعني والياس أغناني

لمرابط محمد تاجي
كافرين – السنغال

★

علي بن أبي طالب

● **الجواب :** هذا البيت منسوبٌ إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ديوانٍ له ، وهو من بيتين في ذلك الديوان هما :

الدهرُ أدَّبَـني والصبرُ رَبّاني   والقوتُ أقنعني والياس أغناني

وأحْـكَـمَتني من الأيام تجربةٌ   حتى نَهَيْتُ الذي قد كان يَنْهاني

والجمع بين الدهر والصبر في البيت الأول يُشير إلى أن الدهرَ إذا ابتلى المرء بالمصائب وصَبَر المرءُ على ذلك فقد تغلـّب المرءُ على الدهر ، كقول محمد الأبيوَرْدي :

تَنَكَّرَ لي دهري ولم يَدْرِ أنني
أعِزُّ وأهوالُ الزمانِ تَهونُ
وَظلّ يُرِيني الخَطْبَ كيف اعتداؤُه
وبِتُّ أريه الصبرَ كيف يكونُ

أو كقول محمودِ الوراق :

الدهرُ لا يبقى على حالةٍ لكنه يُقبِل أو يُدبِرُ
فإن تلقّاكَ بمكروهِه فاصبر فإن الدهرَ لا يصبرُ

ويقول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم :

تعوَّدتُ مَسَّ الضُّرِّ حتى أَلِفْتُه
وأسْلَمني طولُ البلاء إلى الصبر
ووسَّع صدري للأذى الأُنسُ بالأذى
وإن كنتُ أحياناً يَضيق به صدري
وصَيَّرَني ياسي من الناس راجياً
لِسُرْعَةِ لطفِ الله من حيث لا أدري

أمّا قولُه : وأحكمتني من الأيام تجربة ، فهو من مثل قولِ أبي فراس الحمداني :

لقد زِدْتُ بالأيامِ والناسِ خِبرةً
وجُرِّبْتُ حتى أحكمتني التجاربُ

ويقول عُبَيد الله بن الحُرّ الجُعفي :

حَلَبْتُ خُلوفَ الدهرِ كهلاً ويافعاً
وجَرَّبْتُ حتى أحكمَتني التجاربُ

ويقول مُقاتِل بن مسعود العبدي في هذا المعنى :

عَرَفْتُ الليالي بؤسَها ونعيمَها   وحنّكَني صرفُ الزمان وأدّبا

وينسب إلى معاوية بن أبي سفيان قوله :

قد عِشت في الدهر ألواناً على خلق   شتّى وقاسيتُ فيه اللّين والطّبَعا
كُلّاً لبست فلا النعماء تبطرني   ولا تعودت من مكروهها جشعا
لا يملأ الأمرُ صدري قبل مصدره   ولا أضيق بــه ذرعاً إذا وقعا

ويقول الشيخ عبدالغني النابلسي :

جرّبت دهري فما أبقى التجارب لي   شيئاً أروم كأني نلت أوطاري
وحاربتني الليـالي والأنام معاً   بأسهم البيْن حتى قلّ أنصاري
وقد دهتني هموم لو على فلك   يدور تُلقى لأضحى غير دوّار

والبيت الأخير يشبه بيتاً لابن لنكك :

جار الزمان علينا في تصرفه   وأي دهرٍ على الأحرار لم يُجُر
عندي من الدهر ما لو أن أيسره   يُلْقَى على الفلك الدوار لم يَدُر

ورأيت لعمر ابن الوردي أبياتاً في غاية النقمة على الدهر وأهلِه، فهو يقول:

صبراً لصرف زمانٍ قاطع الحجج   لم يدرِ ما صحةَ الممشى من العَرَج
صبراً على صرفه صبراً فرحلتنا   قريبةٌ عنــه فليحتل على المهج
مـا باله لا يرى قدراً لذي شِيم   سُمح اليدين ويُعلي القَدْرَ مِن سَمِج
جربت أهلَ زماني واختبرت فلم   أجد كريماً ولا عوناً على الحَوَج

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

إني اتهمتُ نصيحَ الشيبِ في عَذَلي   وأنتَ تعرف كيدَ الخصم والحَكَمِ

يوسف مبارك حمد
بغداد – العراق

★

البردة للبوصيري

● **الجواب :** هذا البيت له شطرتان من بيتين مختلفين في قصيدة البردة للبوصيري . فالشطر الأول يقع في هذا البيت من البردة ، وهو :

إني اتهمتُ نصيحَ الشيب في عذلي   والشَّيبُ أبعدُ في نصحٍ عن التُّهَمِ

والشطر الثاني يقع في بيت آخر وهو :

ولا تُطِـع منهما خصماً ولا حكماً   فأنتَ تَعْرفُ كيدَ الخصمِ والحَكَمِ

وأذكر أنني أجبتُ عن سؤالٍ من هذا النوع في مناسبةٍ سابقة ، كما تكلمت عن قصيدة البردة في غير مناسبةٍ واحدة ، ومن أطرف ما قرأتُ في شرحِ

للبردة للعلامة الباجوري قولـه عن البيتين :

إن المُحِبَّ عن العُذّالِ في صمم	مَحَضْتَني النصحَ لكن لستُ أسمعُه
والشيبُ أبعدُ في نصحٍ عن التهم	إني أتّهمتُ نصيحَ الشيبِ في عَذَلي

إنّ من فائدةِ هذين البيتين أنك إذا أحببتَ شخصاً في الحلال وتستحي منه ومن الناس أن تُكَلِّمَه ، فاكتُب البيتين في ساعةِ الزُّهَرة في صحفةٍ من نحاس ، وامْحُ تلك الصحفة بماءِ المطر واشربها فإنكَ تقوى على المحبوب وتجتمع به ولا تخشى من أحدٍ أبداً، وتُفشي إليه سِرَّكَ وتبلغ منه مقصودَك.

وفي شرح البيت الثاني : ولا تُطِع منهما خصماً ولا حكماً : فأنت تعرف كيدَ الخصم والحكَم يقول الباجوري : إذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطانَ حكَماً أو تخاصم العقلُ مع الشيطان وجعلا النفسَ حكَماً فلا تُطِع واحداً من النفس والشيطان ، لا الخصمَ ولا الحَكَمَ ، لأن كُلاً منهما يدعو إلى الشر ، والعقلُ يدعو إلى الخير ؛ فإذا تخاصم العقلُ مع أحدهما كان الحكَمُ مع خصم العقل لأنه من ناحيته ؛ ومما تَقَرّر عُلِم أن الخصمَ قد يكون الشيطان ، بالعكس .

وقد ذكرتُ هذا للاطلاعِ على ناحيةٍ من علم النفس عند القدماء .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

فقلتُ لهـــا يا عزّ أرسل صاحبي
إليـكِ رسولاً والمُوكّل مُرْسَـلُ

بأنْ تجعلي بيني وبينك موعـــداً
وأن تامريني بالذي فيـه أفْـعـلُ

وآخِرُ عهدي منـكِ يومَ لقيتِني
بأسفلِ وادي الدومِ والثوبُ يُغْسَلُ

شكر محمود
مدينة المنصور – محافظة نينوى – العراق

★

كثيّر عزة

● **الجواب :** هذه الأبيات للشاعر كثيّر عزة من حكاية رأيتها في الأغاني في معرض الكلام عن جميل بثينة . فقد حكى أبو مالكٍ النّهْدي قال : جَلس إلينا كثيّرٌ ذات ليلة ، فتذاكرنا جميلاً فقال كثيّر : لـَقِيَني جميلٌ مرة فقال

لي جميل: مِن أينَ أقبلت ؟ فقلتُ : من عند أبي الحبيبة ، أي من عند أبي بثينة.
فقال لي جميل : وإلى أين تمضي ؟ فقلت : إلى الحبيبة ، أي عَزّة . فقال لي جميل : لا بُدّ من أن تَرْجِع عَوْدَك على بَدئك فتستجدّ لي موعِداً من بثينة . فقلتُ : عهدي بها الساعةَ ، وأنا أستحي أن أرجِع . فقال جميل : لا بُدّ من ذلك . فقلتُ له : فمتى عَهدُك ببثينة ؟ قال : في أولِ الصيد ، وقد وَقعت سحابةٌ بأسفل وادي الدَّوْم ، فخَرجت بثينة ومعها جاريةٌ لها تغسِل ثياباً. فلما أبصَرَتني بثينة أنكرتني ، فضَرَبت بيديها إلى ثوب في الماء فالتحفت به . وعَرَفتني الجارية . ثم إنّ بثينة أعادت الثوب إلى الماء ، وتحدثنا حتى غابت الشمسُ ؛ فسألتُها الموعد فقالت : أهلي سائرون . ثم إني ما لقيتُها بعد ذلك ولا وَجَدتُ أحداً آمَنُه فأرسِلَه إليه . فقال كثيّر : فهل لك أن آتيَ الحيّ فأقولَ أبياتاً من الشعر أذكر فيها هذه العلامة ، إن لم أقدِر على الخَلوة بها ؟ فقال جميل : ذلك هو الصواب . فخرج كثيّر وأتى الحيّ وأناخ بهم . فقال له أبو بثينة : ما رَدّك يا ابنَ أخي ؟ فقال كثيّر : قلتُ أبياتاً عَرضت ، فأحببتُ أن أعرِضها عليك . قال أبو بثينة : هاتِها . فقال كثير : فأنشدتُه الأبيات ، وبثينة تسمع :

فقلتُ لها يا عَزُّ أرْسِل صاحبي
إليكِ رسولاً والمُوَكَّلُ مُرْسَلُ

بأن تَجعلي بيني وبينك موعداً
وأن تأمريني بالذي فيه أفْعلُ

وآخِرُ عهدي منكِ يومَ لَقيتني
بأسفلِ وادي الدَّوْم والثوبُ يُغْسَلُ

فضربت بثينة جانبَ خِدَرِها وقالت : إخسأ ! إخسأ ! فقال لها أبوها :

مَهْيَم يا بثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نوّم الناس من وراء الرابية . ثم قالت للجارية : إبْغينا من الدّومات حطباً لنذبح لكثيّر شاة ونشويها له . فقال كثيّر : أنا أعجلُ من ذلك . وخَرَج من الحيّ إلى جميل وأخبره بما قالت بثينة . ففهم جميلٌ كلامَها وقال : الموعدُ الدّومات . ثم خرج كثيّر وجميل حتى أتيا الدومات . وجاءت بثينة ومَن معها ، فما بَرِحوا حتى بَرَق الصبح . فكان كثيّر يقول بعد ذلك : ما رأيتُ مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك المجلس ، ولا مثلَ عِلمِ أحدهما بضميرِ صاحبه ، وما أدري أيُّهما كان أفهم .

وفي حكاية أُخرى أن جميلاً أتى لموعد بينه وبين بثينة ، وهي لم تأتِ لأنّ أهلَها حرموها ومنعوها من الوفاء بوعده ، فقال في ذلك أشعاراً لا مجالَ لذكرها .

ويقال إن عمر بن أبي ربيعة قال له يوماً : امض بنا إلى بثينة ، فقال جميل : قد حُجِر عليّ . فذهب عمر وحده واجتمع بها ، ثم عاد والتقيا ثانية ، وقصّ عليه ما رأى من بثينة ، فأنشد جميل قصيدته الرائية التي مطلعها :

خليليّ عوجا اليومَ حتى تسلّما ... على عذبة الأنيـاب طيّبةِ النشرِ

وهي طويلة ، وفيها يقول :

أيبكي حمام الأيك من فقد إلفه ... وأصبر ، ما لي عن بثينة من صبرِ

يقولون مسحور يُجَنُّ بذكرها ... فأُقسم ما بي من جنون ولا سحرِ

وأقسم لا أنساكِ ما ذرّ شارق ... وما هَبّ آلٌ في مُلَمّعةٍ قفرِ

إلى آخره .

ويقال إن عمر بن أبي ربيعة لمّا سمع القصيدة أنشد قصيدته الرائية التي أولها :

أَمِن آل نُعْم أنت غادٍ فمُبكِرُ ... غداةَ غـد أم رائح فمهجّرُ

● السؤال : من القائل وفي أي مناسبة :

وليس الذي يَجري من العين ماؤُها ... ولكنها روحي تذوبُ وتَقطُرُ

محمد بن الشيخ
كَـيْـهيد – موريتانيا

★

سَوّار بن عبدالله القاضي

● **الجواب** : هذا البيت لِسَوّار بن عبدِالله القاضي قاضي المنصور من حكايةٍ وردت في الأغاني عند ذكر عبدِالله بن العباس الربيعي . قال عبدُالله بنُ العباس الربيعي : لقيَني سَوارُ بنُ عبدِالله القاضي وهو سوارٌ الأصغر فقال : إنّ لي إليكَ حاجةً ، فأتِني خِفية . فأتيتُه فقال : لي إليكَ حاجة قد أنِستُ بكَ فيها ، لأنكَ لي كالولد ؛ فإن شرَطتَ لي كتمانَها أفضيتُ بها إليك . فقلتُ : ذلك للقاضي عليّ شرطٌ واجب . فقال : إني قلتُ أبياتاً في جارية لي أميل إليها ، وقد قَلَتْني وهَجَرتني ، وأحببتُ منك أن تَصنَع لي لحناً وتُسْمِعَنِيه ، وإن غَنّيتَه وأظهرتَه على أن لا يعلمَ أحدٌ أنه شعري فلستُ أبالي ، أتفعل ذلك ؟ قلتُ : نعم ، حُبّاً وكرامة . فأنشدني :

سَلَبْتِ عظامي لحمَهـا فتركْتِها
عَواريَ في أجلادِهـا تتكسَّرُ
وأخليتِ منهـا مُخَّها فكأنَّها
أنابيبُ في أجوافِها الريحُ تَصْفِرُ
إذا سَمِعَت باسمِ الفِراق تَرَعَّدَت
مفاصِلُها مِن هَول مـا تتحذَّرُ
خُذِي بيدي ثم اكشِفي الثوبَ وانظري
بِلَى جَسَدي لكنني أتَسَتَّرُ
وليس الذي يجري من العين ماؤها
ولكنهـا روحٌ تَذوبُ وتقطرُ

قال عبدُ الله : فصنعتُ فيه لحناً، ثم عرَّفت القاضي خبرَه في رُقعة كتبتُ بها إليه وسألتُه وعداً يَعِدُني به للمصير إليه . فكتب إليّ يقول : نظرتُ في القضية فوجدت أن هذا لا يصلُح، وأنه لا ينكتم عليّ حضورُك وسماعي إياك. وأسألُ اللهَ أن يَسُرَّكَ ويبقيكَ . قال عبدالله : فغنيّتُ الصوتَ حتى ظهر واشتهر وغنّى به الناس . فلقيني القاضي يوماً وقال لي : يا ابنَ أخي ، قد شاع أمرُك في ذلك الباب حتى سَمِعناه من بُعدٍ كأنّا لم نعرف القصةَ فيه .

ويُشبه بيتُ سَوّارِ القاضي المسئولُ عنه بيتاً لامرىء القيس يقول فيه :

فلو أنّها نفسٌ تمـوت سويةً ولكنها نفسٌ تساقَطُ أنفسا

وهذا البيت منسوب في معجم الشعراء إلى محمد بن أبي ربيع الصوري .

وكان سوّار بنُ عبدالله قاضياً للمنصور العباسي .

ورأيتُ في معاهد التنصيص أبياتَ سوّارِ القاضي منسوبة إلى بشار بن برد.
ويقول ديكُ الجن في المعنى :

ليس ذا الدمعُ دمعَ عيني ولكنْ هي نفسٌ تُذيبُهــا أنفاسي

ويقول ابنُ دريد :

لا تحسبي دمعي تحدّر إنمـا روحي جرت في دَمْعِيَ المتحدّرِ

ولسوار القاضي أبيات رقيقة في الغزل ، وهي قوله :

سلبتِ عظامي لحمَها فتركتِها عواريَ في أجلادهـا تتكسّر
وأخليتِ منها مخّها فكأنهـا أنابيب في أجوافها الريح تصفِر
إذا سمِعت باسم الفراق ترعّدت مفاصلهـا خوفاً لمـا تَتَنظّر
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب فانظري بِلى جسـدي لكنني أتسـتر

وكان بين سوار والسيد الحميري خصومة فقال فيه السيد الحميري عند أبي جعفر المنصور :

قل للإمام الذي ينجي بطاعته يوم القيامة من بحبوحة النـار
لا تستعينَنْ جزاك اللهُ صالحةً يا خيرَ من دب في حكم بسوّار
لا تستعن بخبيث الرأي ذي صلف جم العيوب عظيم الكِبر جبار

إلى آخره .

وله فيه هجاء أقذع من ذلك ، وكان قال فيه من أبيات :

إن سوّار بنَ عبد الله من شر القضـــاة

ورأيت في معاهد التنصيص أن أبيات سوار الخمسة السابقـة هي لبشار .
وهذا غريب .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

لمّا تَبَدّى الصبحُ مِن حِجابهِ كَطَلْعَةِ الأَشْمطِ مِن جِلبابهِ

ثابت حسن
مراكش – المغرب

*

أبو نواس

● **الجواب :** هذا البيت لأبي نُواس في مطلع قصيدة طردية يصف فيها كلبَ صيد ، ويقول فيها بعد البيتين الأوّلَين :

هِجنا بكلبٍ طالما هِجنا به يَنْتَسِفُ المِقْوَدَ مِن كَلاّبِه

كأنَّ مَتْنَيْه لدى انسِلابه مَتْنا شُجاع لَجَّ في انسيابه

تراه في الحُضْرِ إذا هَاهَا به يكاد أن يَخْرُجَ مِن إهابه

إلى آخره .

ولأبي نواس أشعارٌ أُخرى في الصيد ، وهي من الطَّرْديّات . وقد اعتنى

بها عددٌ من الشعراء حتى أصبح لها بابٌ من أبواب الشعر العربي . وامرؤ القيس في مقدمة مَن فتح الباب في هذا القول . وجرى أبو نواس في قصيدةٍ أُخرى على منوال امرىء القيس في وصفِ فرسٍ هيكل حيث يقول :

قد أغتدي والليـــلُ في إهابه أدْعَجُ ما جُرِّدَ مِن خِضابِه
مُدَثَّرٌ لم يَبْدُ مِن حِجابه كالحبشيِّ انْسَلَّ مِن ثيابه

إلى آخره .

وأبو نواس رَثَى كلباً من كلاب الصيد كان له ، لسعته حيَّةٌ فمات ، وقال فيه من قصيدة :

يا بؤسَ كلبي سيـــدِ الكلاب قد كان أغناني عن العُقاب

ونذكر مِن شعراء الطرديات مثلاً أو مَثَلَين لابن المعتز ، فهو يقول بمثل قول أبي نواس :

قد أغتدي والليـــلُ في مآبه كالحبشيِّ فَرَّ من أصحابه
والصبحُ قد كشَّف عن أنيابه كأنه يضحـــك في ذهابه

ومن قوله أيضاً :

قد أغتدي على الجيـــاد الضُّمَّر والصبحُ في طُرَّةِ ليلٍ مُسْفِرِ
كأنــه غُرَّةُ مُهرٍ أشْقَرِ والوحشُ في أوطانها لم تُذْعَرِ

● **السؤال :** ما مناسبة القول لهذين البيتين :

تَرُوح من الحسناء أم أنت مغتدي   وكيف انطلاقُ عاشقٍ لم يُزَوَّدِ

تراءت لنا يومَ الرحيل بمقلَتَي   غرير بملتفٍّ من السِّدر مُفْرَدِ

مهديد محمد

البَيض – ولاية سعيدة – الجزائر

★

قيس بن الخطيم

● **الجواب :** هذان البيتان لقيس بن الخطيم من قصيدةٍ له قالها لحسان ابن ثابت الخزرجي . والحكايةُ أنّ رجلاً من الخزرج لَقِيَ رجلاً من الأوس ، فقتل الخزرجيُّ الأوسيَّ ، فعلم الأوسُ بذلك فخرجوا وقتلوا الخزرجيّ بَياتاً في الليل ، وكانت العادةُ أن لا يُقتل رجل في داره أو في نخله. فلما علم الخزرج بمقتل صاحبهم خرجوا بالسلاح والتقوا بالأوس في وادٍ هناك ، فاقتتلوا أربعةَ أيام . فقال قيس بن الخطيم في ذلك :

تَروح من الحسناء أم أنتَ مغتدي   وكيف انطلاقُ عاشقٍ لم يُزَوَّدِ

تراءت لنا يوم الرحيل بِمُقْلَتَي غريرٍ بِمُلتفٍّ من السِّدرِ مُفْرَدِ

ويقول في آخر الأبيات :

وذي شيمةٍ عسراءَ تُسْخِط شيمتي أقول له : دعني ونفسَك أرْشِدِ

فما المالُ والأخلاقُ إلاّ معارةٌ فما اسطعتَ من معروفها فتزوَّدِ

متى ما تَقُد بالباطل الحقَّ يأْبه وإن قُدْتَ بالحَقِّ الرَّواسِيَ تَنْقَدِ

متى ما أتيتَ الأمرَ من غيرِ بابه ضَلِلْتَ وإن تَدْخلْ من الباب تَهْتَدِ

فأجابه حسان بن ثابت بشعرٍ من الوزن والقافية فقال :

لَعَمرُ أبيكَ الخيرِ يا شَعْثَ ما نَبا عليَّ لِساني في الخطوبِ ولا يَدي

لساني وسيفي صارمان كلاهما ويَبْلُغُ ما لا يَبلُغُ السيفُ مِذْوَدي

فلا المالُ يُنسيني حيائي وعِفّتي ولا واقعاتُ الدهرِ يَغْلُلْنَ مِبْرَدي

ثم قال يخاطب قيسَ بنَ الخطيم :

فلا تَعْجَلَنْ يا قيسُ وارْبَع فإنما قُصاراكَ أن تُلْقَى بكلِّ مهندِ

حُسامٍ وأرماحٍ بأيدي أعِزَّةٍ متى تَرَهُم يا ابنَ الخطيم تَبَلَّدِ

إلى آخره .

● **السؤال** : من القائل وما المناسبة :

أَلِمّا على الربـعِ القديم بِعَسْعَسا ... كأني أنادي أو أُكَلِّمُ أخرسـا

الشيخ بن عبد الله السالم
أنواكشوط – موريتانيا

★

امرؤ القيس

● **الجواب** : هذا البيت مطلعُ قصيدة لامرىء القيس الشاعر الجاهلي المشهور ، قيل إنه قالها بعد أن لَبِس الحُلّةَ المسمومةَ التي أهداها إليه قيصرُ ملكُ الروم ، وكان قد وَشى به رجلٌ من بني أسد اسمُه الطمّاح لدى قيصر بأنه (أي امرَأ القيس) كان يراسِل ابنتَه ويَذكر فيها أشعاراً . فلمّا لَبِس امرؤ القيس الحُلةَ أسرع فيه السُّمُّ وتساقط جلدُه ، وسمي بذلك ذا القروح فقال :

تأوّبني دائي القـديمُ فغَلَّسا ... أُحاذِرُ أن يَرْتَدَّ دائي فأُنْكَسا

ولم تَرِمِ الدارُ الكثيبَ فَعَسْعَسا كأني أُنادي أو أُكلّم أخرسا

والبيت الثاني هنا له رواياتٌ أُخرى منها :

ألاَ تسالِ الربعَ الجوابَ بِعَسْعَسا
كأني أُنادي أو أُكلّم أخرسا

ومنها :

ألِمّا على الربعِ القديمِ بِعَسْعَسا
كأني أُنادي أو أُكَلّم أخرسا

وهذا البيت الثاني في الروايات هو البيتُ الذي يقوله امرؤ القيس في مطلع القصيدة بحسب بعض المراجع . وبعضُ المراجع الأخرى تذكر أن المطلع هو :

تأوبني الداءُ القديمُ فغلّسا أحاذر أن يَرْتَدَّ دائي فأُنْكَسا

كما سبق ذكره .

وعَسْعَس هنا جبلٌ طويلٌ لبني عامر وله دارةٌ أو أرض واسعة حوله .

وفي القصيدة إشارة إلى الطّمّاح الذي وشى به إلى قيصر وهي قوله :

لقد طَمَح الطّمّاحُ مِن بُعدِ أرضه
لِيُلْبِسَني مِن دائه ما تَلَبَّسا

وفي القصيدة أبياتٌ مشهورة منها قولُه عن النساء :

أراهُنّ لا يُحْبِبْنَ مَن قَلّ مالُه
ولا مَن رأينَ الشيبَ فيهِ وقوّسا

وقولـه :

فلو أنهـــا نفسٌ تموت جميعةً ولكنها نفسٌ تَساقَط أنْـفُسا

وقوله :

وبُدِّلْـتُ قَرْحاً دامياً بعد صِحّةٍ فيا لَكِ مِن نُعْمَى تبدَّلْـنَ أبْؤُسا

وبعضهم يروي هذا البيت :

وبُدِّلْـتُ قرحاً دامياً بعد صحةٍ لَعَلَّ مَنـــايانا تَحوَّلْـنَ أبؤُسا

ويقال إنّ سَوّاراً القاضي زاد في أبياته الغزلية بيتاً خامساً ليس له، وهو:

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنهـــا نفس تذوب فتقطر

ورأيت أن هذا البيت لبشار بن برد، بل إن جميع أبيات سوار هي لبشار، وهذا غريب ويقول ديك الجن :

ليس ذا الدمع دمع عيني ولكن هي نفس تذيبهـــا أنفاسي

ويقول ابن دريد :

لا تحسبي دمعي تحدّر إنمـــا روحي جرت في دمعيَ المتحدِّر

وهذه أبيات رأيتها في أمالي القالي :

ليس المقصِّر وانياً كالمقصِر حكم المعذِّر غـــير حكم المُعذِر

لو كنت أعلم أن لحظكِ موبِقي لحذِرت من عينيكِ ما لم أحذر

لا تحسبي دمعي تحدّر إنمـــا نفسي جرت في دمعيَ المتحـدر

خبري خذيه عن الضَّنَى وعن البكا ليس اللسان وإن تَلِفتُ بمخبر

ولقد نظرتُ فردّ طرفي خاسئاً حَذَرُ العدا وبهاء ذاك المنظر

ياسِي يُحَسِّن لي التستر فاعلمي لو كنت أطمع فيك لم أتستر

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

بليلِ صُولٍ تناهى العرضُ والطولُ
كأنما ليلُه بالليلِ موصولُ

محمد القادر بن محمد
كادْلك – السنغال

★

حُنْدُجُ بن حُنْدُج

● **الجواب :** هذا البيت لشاعر اسمُه حُنْدُجُ بن حُندج المُرّي من شعراء حماسة أبي تمام ، والبيت من أبياتٍ هي :

في ليلِ صُولٍ تناهى العَرضُ والطُّولُ
كأنما ليلُه بالليلِ موصولُ

لا فارَقَ الصبحَ كفي إن ظَفِرتُ به
وإن بَدَت غُرَّةٌ منه وتحجيلُ

لِساهرٍ طـال في صُولٍ تَمَلْمُلُه

كأنَّـه حَيَّـــةٌ بالسَّوطِ مَقتولُ

متى أرى الصبحَ قد لاحت مَخايِلُه

والليلُ قد مُزِّقَت عنه السرابيلُ

ليـلٌ تَحَيَّر مـــا يَنْحَطُّ في جهةٍ

كأنـه فوق متنِ الأرضِ مشكولُ

نُجومُه رُكَّدٌ ليست بزائـــلةٍ

كأنما هُنَّ في الجوِّ القناديـــلُ

مـا أقْدَرَ اللهَ أن يُدني على شَحَطٍ

مَن دارُه الحَزْنُ مِمَّن دارُه صولُ

أللهُ يَطـــوي بِساطَ الأرض بينهما

حتى يُرَى الربعُ منه وهو ماهولُ

وفي مثل هذا المعنى يقول بشار بن برد :

خَـليليَّ ما بالُ الدُّجَـى لا تَزَحْـزَحُ

ومـــا لِعمودِ الصبح لا يَتَوَضَّحُ

أضَـلَّ النهـارُ المستنيرُ طريقَـه

أم الدهرُ ليلٌ كُلُّه ليس يَبْرَحُ

وطال عليَّ الليـــلُ حتى كأنـه

بليلين موصـولٌ فما يَتزَحْزَحُ

ومثلُه قول المهلهل في عدم زوال الليل :

أَلَيْلَتَنا بذي حُسَمٍ أنــيري إذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحوري

فإن يَكُ بالذنائب طــال ليلي فقد أبكي من الليــلِ القصيرِ

كأنّ كواكِبَ الجوزاء عُوذٌ مُعَطَّفــةٌ على رُبَعٍ كَسيرِ

كأنّ الجَدْيَ في مَثناةِ رِبْقٍ أسيرٌ أو بمنزلة الأَســيرِ

كأنّ النجمَ إذ وَلَّى سُحَيراً فِصالٌ جُلْنَ في يومٍ مَطيرِ

كواكبُها زواحِفُ لاغِباتٌ كأنَّ سماءَهــا بيديْ مدير

ويقول المعري في طول الليل :

وليلين : حالٍ بالكواكبِ جَوْزُه
وآخرَ مِن حَلْي الكواكب عاطِلُ

كأنّ دُجاه الهجرُ والفجرُ موعِدٌ
بوصلٍ وضوءُ الصبح حِبٌّ مُماطِلُ

قطعتُ بــه بحراً يَعُبّ عُبابُه
وليس له إلاّ التبلجَ ساحِــلُ

ولشرف الدين بن منقذ :

ولَرُبَّ ليلٍ تاه فيه نجمُه فقطعتُه سَهَراً فطال وعَسْعَسا

وسألتُه عن صبحه فاجابني لو كان في قيد الحياة تَنفَّسا

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

جرى قلمُ القضاءِ بما يكون فَسِيّانِ التحركُ والسكونُ
جنونٌ منك أن تسعى لرزقٍ ويُرزَق في غَشاوته الجنينُ

يحيى بن علي عكور
بيشة – المملكة العربية السعودية

★

أبو الخير الكاتب الواسطي

● **الجواب:** هذان البيتان لأبي الخير الكاتب الواسطي، وذكر ابن خِلكان أن الشيخ أبا بكر القرطبي كان كثيراً ما يُنشِد هذين البيتين . ولم أر في ابن خلكان ترجمةً لأبي الخير المذكور .

والمعنى في البيتين من أكثر المعاني وروداً في الشعر العربي ، ولعلّه كان يُعَبّر عن حالةِ الحرمان في أيام العَصَبيات حينما كان الانسان يُكافأ على ولائه للسلطان ، ولا يكافأ على علمه وأدبه وجِدّه واجتهاده . فأدّى ذلك بكثيرٍ منهم إلى اليأس ، فنسبوا حِرمانَهم إلى أنّه من القضاء والقدر كأبي الخير

المذكور وكأحمد بن عَلَّوَيْه الأصبهاني حيث يقول :

والمرءُ يَسْعى لفضلِ الرزق مجتهداً　　وما له غيرُ ما قد خطَّه القلمُ

والمعافَى بن زكريا يقول :

فكما لا يَرُدُّ عجزيَ رزقي　　فكذا لا يَجُرُّ رِزْقيَ حِذقي

ويقول سلمٌ الخاسر لمّا كتب إلى أبي العتاهية ويُنسَب إلى الجماز ابنِ أخت سلم الخاسر :

الرِّزْقُ مقسومٌ على مَن ترى　　ينــالُه الأبيضُ والأسوَدُ

كلٌّ يُوَفَّى رِزقَه كامــلاً　　مَن كفَّ عن جهدٍ ومَن يَجْهَدُ

وفي هذا المعنى يقول أحمد بن يوسف الكاتب أو عبـدُ الله بنُ جعفر بن أبي طالب :

قد يُرْزَق المرءُ لا مِن حيلةٍ صَدَرت

ويُصْرَف الرزقُ عن ذي الحيلة الداهي

ومثله قولُ الناشيء الأصغر :

مَن ظنَّ أن الرزقَ ياتي بِمَطْلَب

فقد كَذَبته نفسُه وهــو آثِم

ويشبه ذلك قولَ سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان :

وقد ياتي المُقيمَ الرزقُ عفواً　　ويَطْلُبه فَيُحْرَمُه الحريصُ

وأوضحُ شيء قولُ ابراهيم بن المهدي :

قد يُرزَق المرءُ لم تَتْعَبْ رواحِلُه
ويُحْرَم الرزقَ من لم يُؤْتَ مِن تَعَبِ
مع أنني واجدٌ في الناسِ واحـــدةً
الرزقُ أروعُ شيءٍ عن ذوي الأدبِ
وَخلَّةً ليس فيهـــا مَن يخـالفني
الرزقُ والحمقُ مَقرونان في سببِ
يا ثابتَ العقل كم عانيتَ ذا حُمُـقٍ
الرزقُ أغرى به مِن لازم الجربِ

وقول الكـتَنْجي :

الرزقُ مقسومٌ فأَجمِل في الطلب   ياتي بأَسبابٍ ومن غير سببْ
فاسترزِقِ اللهَ ففي الله غِنًى   أللهُ خيرٌ لك مِن أبٍ حدِبْ

أما أقربُ شيء لقولِ أبي الخير الكاتب الذي نحن بصدده فهو قولُ ابراهيم ابن هرمة :

إنّ الذي شَقّ فمي ضامنٌ   لِيَ الرزقَ حتى يَتوَفّاني

وقول محمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف :

أللهُ يَرْزُقُني والرزقُ يَطلبني   وإن قَعَدْتُ ولم أُلْحِحْ على الطّلَبِ
إنْ قَدَّر اللهُ لي رزقاً سيبلغني   إمّا على الخفضِ أو بالكدِّ والتعبِ

وقول دعبل من أبيات :

أسعى لِأَطْلُبَه والرزقُ يطلبني   والرزقُ أكثرُ لي منه له طلبا

ولعروة بن أذينة حكاية من هذا الباب مع هشام بن عبد الملك عن بيتين له يقول فيهما :

لقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلُقي
إن الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى له فيعنيني تطلبُه
ولو قَعَدْتُ أتاني لا يُعَنّيني

وقد نذكر الحكاية في مناسبة أُخرى

وقول ابن أُذَينة يشبه قول دعبل من أبيات :

قالت سلامة دَعْ هذا اللبونَ لنا   لصبيةٍ مثل أفراخ القطا زَغَبا
قلتُ احبسيها ففيها متعةٌ لهمُ   إن لم يُنِخ طارق يبغي القِرَى سَغِبا
لما اجتبى الضيفُ واعتلت حلوبتُها   بكى العيالُ وغنّت قِدرنا طَرَبا
هذي سبيلي وهذا فاعلمي خلقي   فارضَيْ به أو فكوني بعضَ مِن غَضِبا
ما لا يفوت وما قد فات مطلبُه   فلن يفوتَنّني الرزق الذي كُتِبا
أسعى لأطلبه والرزق يطلبني   والرزقُ أكثر لي مني له طلبا

ويقول أبو الشيص :

لكل امرىء رزق وللرزق جالب   وليس يفوت المرءَ ما خطّ كاتِبُه
يساق إلى ذا رزقه وهو وادع   ويُحرم هذا الرزقَ وهو يطالبه

ويقول محمد بن عبدالله بن أحمد بن يوسف :

الله يرزقني والرزق يطلبني   وإن قعدتُ ولم أُلْحَح على الطلب
إن قَدّر الله لي رزقاً سيبلغني   إما على الخفض أو بالكدّ والتعب

● **السؤال** : من القائل وما المناسبة :

إن قومي تجمعوا وبقتلي تحـــدثوا
لا أبالي بجمعهـــم كل جمـــعٍ مؤنثُ

جلالي المصطفى
خنيفرة – المغرب

★

الزمخشري

● **الجواب** : رأيت في شرح بديعية الشيخ عبد الغني النابلسي أن الزمخشري قال :

قلتُ لمّا تجمعـــوا وبقتلي تحـــدثوا
لا أبالي بِجَمْعِهِم كُلُّ جمعٍ مُؤنَّـثُ

ومعنى (الجمع) هو (الجماعة) فهو مؤنث . وفيه إشارةٌ إلى أن جموع التكسير يجوز فيها التأنيث .

وينسب البيتان أيضاً إلى أبي المختار العلوي في قوم تَجَمَّعوا لِذَمّه . وفي الكلام استهانة بالقوم . ويُشبه ذلك ما قالته سَلمى ابنة عدي ابن الرِّقاع لقوم من الشعراء جاءوا ليغالبوا أباها في الشعر . فلمّا سمعوا البيتين منها – وكانت شاعرة – خجلوا ورجعوا .

ويشبه ذلك قولَ الأعشى في هَوذَة بن علي :

يرى كُلَّ ما دون الثلاثين رُخْصَةً ... ويعدو على جمع الثمانين واحدا

أي إنه يستخف بالثلاثين ، فإذا صاروا ثمانين نازلهم وحده .

ومن العرب رجالٌ كان الواحد منهم يُعَدّ بألفٍ . فالفِند الزِّمّاني كان يُقاس بألف. ويُروى أن عَمْرو بنَ العاص بعث إلى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه ثلاثةَ آلاف فارس للاستعانة بهم في فتح مصر وكان يحاصرها ، فأرسل إليه عمر بحارثةَ بنِ حُذيفة ، وبالزبير بن العوام وبالمِقداد بن الأسود ، اعتباراً منه بأن كلّ فارسٍ منهم بألفِ فارس .

وكان الفِند الزِّمّاني في الجاهلية يقاس بألف ، وقد مدح أحد الشعراء قوماً بشجاعتهم فقال عنهم :

فواحدهم كالألف بأساً ونجدة ... وألْفُهمُ للعرب والعجم قاهر

وكان الفِند الزماني إذا ضرب الرجلين المردوفين برمحه انتظمهما فيه ، وبهذا مدح بكر بن النطاح أبا دلف فقال وبالغ :

قالوا أينظم فارسين بطعنةٍ ... يوم اللقـــاء ولا تراه كليلا

لا تعجبوا لو كان مَدَّ قناته ... ميلاً إذاً نظم الفوارس ميلا

وكانوا يقولون إن وجود نابليون في المعركة يعادل وجود مئة ألف جندي .

وفي القرآن الكريم : « كم من فئةٍ قليلة غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله » .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

تَعَلَّمْ شِفاءَ النفس قهرَ عَدوِّها فبالِغْ بِلُطْفٍ بالتَّحَيُّلِ والمكرِ

عَلثُون محمد

برج بوعريريج – ولاية سطيف – الجزائر

★

زياد بن سَيّار

● **الجواب :** هذا البيت لشاعرٍ كان من أقران النابغة الذُّبياني اسمُه زياد ابن يسار كما في مغنى اللبيب أو زياد بن سَيّار كما في خزانة الأدب للبغدادي . ولم أجد في شرحِ مغنى اللبيب وشواهده للسيوطي ولا في شرح محمد الأمير ،ترجمةً لهذا الشاعر ، ولا في خزانة الأدب للبغدادي. ولم أجد له ذكراً في الأغاني ، ولا في معجم الأدباء للمرزُباني ولا في الشعر والشعراء لابن قتيبة . والشاهد في البيت أن الفعل (تعلَّمْ) هنا نَصَب مفعولين هما (شفاءَ) و (قَهْرَ) وهذا قليلٌ في اللغة ، والمشهور قول سارية بن زُنَيم :

تَعَلَّمْ رسولَ الله أنــــك قادرٌ على كل حيٍّ من تِهامٍ ومَنْجِدِ

تَعَلَّمْ رسولَ الله أنك مدركي　　وأن وعيداً منكَ كالأخذِ باليد

أو كقول القطامي :

تَعَلَّمْ أنَّ بعــد الغَيِّ رشداً　　وأنَّ لهــذه الغِيَرِ انقشاعا

وكُلُّ ذلك بمعنى إعلم . ولكنَّ الذين استعملوا (تَعَلَّمْ) ونصبوا بها فعلين فقد جَرَوا فيها على مجرى أفعال القلوب مثل ظن وزعم وخال وغيرِهما ، كقول عبدِ الله بن همّام السّلولي :

فقلتُ أَجِرني أبا خــالدٍ　　وإلاّ فَهَبْني امرأً هــالِكا

وقولِ أبي أمية أوْسٍ الحنفي :

زَعَمَتني شيخاً ولستُ بشيخٍ　　إنما الشيــخ مَن يَدِبُّ دبيبا

ومثلُه قولُ اللّعين المِنْقَري :

أبِالأراجيزِ يا ابنَ اللُّؤْمِ تُوعِدني
وفي الأَراجيز خِلتُ اللُّؤْمَ والخَوَرا



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها   عند التقلب في أنيابها العطبُ

الحافظ الطالب مصطفى
فيلِنك – جمهورية النيجر
الطاهر محمد ابراهيم بريدو
مليط – السودان

★

عنترة العبسي

● **الجواب :** هذا البيت مشهور وهو للشاعر الجاهلي عنترة العبسي من قصيدة مطلعها :

لا يحمل الحِقدَ مَن تعلو به الرتبُ   ولا ينال العلا مَن طبعه الغضبُ

وقالها عنترة يتوعد النعمانَ ملك العرب ويفتخر بقومه ، فهو يقول له :

إن كنتَ تعلم يا نعمانُ أن يدي   قصيرةٌ عنـــكَ فالأيام تنقلبُ

إنّ الأفاعي وإنْ لانت مَلامِسُها   عند التقلّب في أنيابها العطبُ

اليومَ تعــلم يا نعمان أيُّ فتى   يَلْقى أخاكَ الذي قد غَرَّه العُصَبُ

ولعنترة قول آخر في هذا المعنى ، وهو :

أثْني عليَّ بما عَلِمتِ فإنني   سَمْحٌ مُخالَقتي إذا لم أُظْلَمِ

فإذا ظُلِمتُ فإن ظلمي باسلٌ   مُرٌّ مَذاقَتُه كطعمِ العَلْقَمِ

ويقول لبيد بن ربيعة :

حُلْوٌ كريمٌ وفي حلاوتــه   مُرٌّ لطيفُ الأَحشاءِ والكَبِدِ

ويقول قيس بن الخَطيم :

فَبِيهِمْ للمُلاينيــنَ أناةٌ   وطِماحٌ إذا يُراد الطِّماحُ

ويقول كثيِّر عَزّة :

هو العَسَلُ الصافي مِراراً وتارةً   هو السُّمّ مَذروراً عليه الذّرارِحُ

ويقول ابن مُقبل :

إنّا مَشاييمُ إنْ أرَّشتَ جاهلَنا   يومَ الطِّعان وتَلقانا ميامينا

وفيما هو أقربُ لمعنى عنترة عن الأفاعي يقول السَّمْهَري بن أسَد كما في ذيل الأمالي والنوادر للقالي في حاجب بن خُشَينة العبشمي :

فتًى من بني الخطاب يَهْتَزُّ للندى   كما اهتزّ عَضْبُ الشفرتين يمانِ

هو السيفُ إنْ لاينتَه لانَ مَتنُه ... وَغرباه إن خاشنتَه خَشِنانِ

وروى أبو تمام في حماسته هذين البيتين على هذا النحو :

كريمٌ يَغُضُّ الطرفَ فَضلُ حيائه ... ويدنو وأطرافُ الرماحِ دواني

وكالسيفِ إن لايَنتَه لانَ مَسُّه ... وحَدّاه إن خاشنتَه خشِنانِ

ولم يذكر أبو تمام قائل البيتين .

وفي المعنى أيضاً أقوال في الحلم والجهل نتركها إلى مناسبة أخرى .

ومنهم من ذم الملاينة والإحسان ومدح المعاقبة ، كالفِند الزِّماني فهو القائل في حرب البسوس :

صفحنا عن بني ذُهل ... وقلنا القومُ إخوانُ

عَسَى الأيام أن يُرجِعن قوماً كالذي كانوا

فلمَّا صَرح الشرّ ... فأمسى وهو عُريان

ولم يَبق سوى العدوان دنّاهم كما دانوا

وبعضُ الحِلم عند الجهل للذلة إذعان

وفي الشرّ نجاة حين لا ينجيك إحسان

وهذا يشبه قول سالم بن وابصة :

إن من الحِلم ذلاًّ أنت عارفه ... والحِلم عن قدرة فضل من الكرم

وسأل يزيد بن معاوية أباه : هل ذممتَ عاقبةَ حلم ؟ فقال : ما حلمت عن لئيم وإن كان ولياً إلاّ أعقبني ندماً ، ولا أقدمتُ على كريم وإن كان عدواً إلاّ أعقبني أسفاً . ومن الحَزْم قول أبي أُذَينة :

لا تقطعنْ ذنبَ الأفعى وترسلها ... إن كنتَ شَهْماً فأَتْبع رأسَها الذنبا

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

أنت ابنُ بِيضٍ لعمري لستُ أنكِره
وقد وُصِفْتَ ولكن مَن أبو بِيضٍ

محمد فال
بو أخي – موريتانيا

*

أبو الجَوْن السُّحَيْمي

● **الجواب :** هذا البيت لأبي الجَوْن السُّحَيْمي يقوله في الشاعر ابن بيض . ورأيتُ في الأغاني حكايةً على ذلك وهي أن أبا الجون السُّحَيمي وحَمْزَةَ بنَ بيضٍ الشاعر اختصما إلى المهاجِر بن عبد الله الكِلابي وكان والياً على اليمامة ، فوَثب عليه حمزةُ وقال :

غَمَّضْتُ في حاجةٍ كانت تُؤَرِّقُني
لولا الذي قلتَ فيها قبل تَغْميضي

قال المهاجر : وما قلتُ لك ؟ قال حمزة :

حلفتَ باللهِ لي أن سوف تُنْصِفُني

فساغ في الحلقِ ريقي بعد تجريضي

فقال المهاجر : وأنا أحلِف لأنصِفَنَّك . فقال حمزة :

سَلْ هؤلاء إلى مـــاذا شهادَتُهم

أم كيف أنت وأصحابَ المعاريضِ

فقال المهاجر : أوجِعُهم ضرباً . فقال حمزة :

وسَلْ سُحَيماً إذا وافـــاك جمعُهمُ

هل كان بالسِّرِّ حوْضٌ مثلُ تحويضي

فحكم المهاجر له على خَصمِه السُّحَيْمي . فقال السُّحَيمي في ذلك من الوزن والقافية :

أنت ابنُ بيضٍ لعمري لستُ أنكِرُه

حقّاً يقيناً ولكن مَن أبو بيضِ ؟

إن كنتَ أنبضتَ لي قوساً لِترْمِيَني

فقـد رميتُكَ رميـاً غيرَ تنبيضِ

أو كنتَ خضَّضْتَ لي وَطْباً لِتَسْقِيَني

فقد سَقيتُك محضاً غـير ممْخوضِ

فوَجم حمزةُ وقطِع به ولم يَقُل شيئاً . فقيل له : وَيْلَكَ ما لَكَ لا تُجيبه ؟ فقال : وبِمَ أجيبُه ؟ واللهِ لو قلتُ له : عبد المطلب بن هاشم هو أبو بيض لما نفَعني ذلك بعد قوله : ولكن مَن أبو بيضِ ؟

● **السؤال :** من قائل هذا البيت وما المناسبة :

أنا الشمسُ في جوّ العلوم مُنيرَةٌ ولكنَّ عَيبي مَطْلَعي في المغربِ

هواري محمد
سطات – المغرب

*

ابن حزم الظاهري

● **الجواب :** هذا البيتُ لابن حزمِ الظاهري الأندلسي ، وأحدُ أجداده كان مولى يزيدَ بنِ أبي سفيان والأصلُ من فارس والمسكن أندلسي . وكان يقول بالمذهب الظاهري ، ولا سيما في معاني القرآن الكريم ، وهي الأخذُ بما انكشف واتضح معناه للقارىء أو السامع من غيرِ تأمُّلٍ وتفكر . وهذا معناه أن استعمالَ التأمّل والتفكر يؤدي إلى التأويل الشخصي أو إلى التحمُّل في إيجادِ معانٍ لم تكن موجودة في الأصل بحسب الباطن وقد أدّى هذا المذهبُ الباطني إلى تأويلاتٍ واستخراجاتٍ غريبة ، اعتمد أربابُها في بعض الأحيان على نسبةِ الأسرارِ الخفية لبعضِ الكلمات أو لبعضِ الحروف . وفي هـذا بحث طويل .

ويقول ابنُ حَزم عن مذهبه وعن نفسه :

ألم تَرَ أني ظــــاهِريٌّ وأنني على ما بدا حتى يَقومَ دليل

يريد أن يقول إنه يؤمن بما يبدو ظاهراً له ، وهو مُقيمٌ على هذا الرأي إلى أن يأتيَ دليلٌ على خلافِ ذلك . وأقربُ شيء إلى الظاهرية في الفلسفة الغربية هو مذهبُ الظاهرية المعروف بكلمةِ Phenominalism .

ومن أقوال ابن حزم في تثبيت معنى الظاهر قوله :

ولكن لِلعِيانِ لطيفُ مَعْنَى له سأل المعاينـــةَ الكليمُ

ولابن حزم الظاهري كتابٌ اسمه « كشفُ الإلباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحابِ القياس » . وكان العلماءُ من رجــال الدين قد حمَلوا عليه حملةً شعواء ونسبوا إليه الزَّيْغَ والضلال ، وأوغروا صدرَ المعتمِد بن عبّاد عليه فأمر بإحراق كتبه .

والبيتُ المسئولُ عنه من قصيدةٍ مَدَح بها ابنُ حزمٍ الظاهري قاضِيَ الجماعة في قُرطبة عبدَ الرحمن بن بَشير ، ويقول فيها :

أنا الشمسُ في جوِّ السماءِ مُنـيرةٌ

ولكنَّ عَيْبي أنَّ مَطْلَعِيَ الغـربُ

ولو أنني مِن جانب الشرقِ طالِـعٌ

لَجَدَّ على ما ضاع من ذكريَ النَّهْبُ

ولي نحو أكنافِ العراقِ صَبابـةٌ

ولا غَرْوَ أن يستوحِشَ الكَلِفُ الصَّبُّ

ثم يقول عن نفسه :

وإنَّ رجالاً ضيّعوني لَضُيَّعٌ
وإنَّ زماناً لم أنَلْ خِصْبَه جَدْبُ

ولكنَّ لي في يوسُفٍ خيرُ أُسوةٍ
وليس على مَن بالنبيِّ ٱئْتَسى ذنبُ

ويقول ابن حزم عن مذهبه الظاهري :

يقول أخي : شجاكَ رحيلُ جسمٍ ... وروحك ما له عنها رَحيل
فقلت له : المُعايِن مطمئنٌ ... لذا طلب المعاينةَ الخليلُ

وأبيات ابن حزم التالية في مذهبه الظاهري هي من جملة أبيات يقول فيها :

وذي عَذَلٍ فيمن سَباني حسنُه ... يُطيل ملامي في الهوى ويقول :
أفي حسنِ وجهٍ لاح ، لم ترَ غيبَه ... ولم تَدْرِ كيف الجسم، أنت قتيل ؟!
فقلتُ له : أسرفتَ في اللوم ظالماً ... وعنديَ رَدٌّ ـ لو أردتَ ـ طويل :
ألم ترَ أني ظاهري ، وأنني ... على ما بدا حتى يقومَ دليل

وكان المعتمد بن عَبّاد صاحب اشبيلية قد أحرق كتب ابن حزم، فقال ابن حزم :

فإن تحرقوا القرطاسَ لا تحرقوا الذي ... تضمَّنه القرطاسُ، بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلّت ركائبي ... وينزل إن أنزِلْ ويُدفن في قبري
دَعوني مِن إحراقِ رَقٍّ وكاغِد ... وقولوا بعلم كي يرى الناسُ مَن يدري
وإلاَّ فعودوا في المكاتب بَدأةً ... فكم دون ما تبغون لله من سِتر

وله أيضاً في مثل هذا المعنى :

مَن ظلَّ يبغي فروعَ عِلم ... بَدْءاً ولم يَدرِ منه أصلا
فكلّما ازداد فيه سعياً ... زاد لعمري بذاك جهلا

وقال في نكبته :

لا يَشْمَتَنْ حاسدي إنْ نكبةٌ عَرَضت ... فالدهرُ ليس على حالٍ بِمُتَّرَك
ذو الفضل كالتِّبر طوراً تحت مِيقعَةٍ ... وتارةً في ذرى تاجٍ على مَلِكِ

● **السؤال :** ما معنى قول القائل :

وقُرَيشٌ هي التي تسكُن البحرَ بهـا سُمِّيت قُريش قُرَيشا

يحيى بن أحمد الكندي
شنيانـكا – تنزانيا

★

المُشَمْرج بن عمرو الحميري

● **الجواب :** هذا البيت لشاعر جاهلي اسمه المُشَمْرَج بن عمرو الحميري ، ويقول المرزباني في معجم الشعراء أنّ البيت يُرْوَى أيضاً لغير المُشَمْرج هذا. والأبياتُ التي ورد فيها البيت هي :

وقُرَيْشٌ هي التي تسكن البحرَ بهـا سُمِّيَت قُرَيشٌ قُرَيشا

تأكُلُ الغَثَّ والسمينَ ولا تترك فيـــه لذي جناحين ريشا

هكذا في البلاد حيٌّ قريشٍ يأكلون البلادَ أكلاً كَشيشا

ولهم آخِرَ الزمــانِ نبيٌّ يُكثِر القتلَ فيهمُ والخموشا
تملأ الأرضَ خيلُه ورجــالٌ يحسِرون المَطِيَّ سَيْراً كميشا

وفي لسان العرب أنّ في البحر دابةً تُدْعى قُرَيشاً لا تَدَعُ دابةً غيرَها إلاّ أكَلَتها فجميعُ الدواب تخافها ، والقِرْش دابة في البحر تُسَمّى أيضاً الكوْسَج واللّخم وهي المعروفة بكلب البحر ، ولعلّ تصغير قِرش بِقُرَيش يكون تصغيرَ تعظيم . فيقال إنّ قبيلةَ قريش سُمّيَت قُريشاً باسم هــذه الدابة ، ولكن لا يوجد تعليل شافٍ لهذه التسمية ، وكيف كان الأمرُ في إطلاق هذا الاسم على تلك القبيلة . وفي لسان العرب أيضاً أن القبيلة سُمّيَت قُريشاً لتَقَرُّشِها أي تجمُّعِها إلى مكةَ من حواليها بعد تفرقها في البلاد حين غَلَبَ عليها قُصَيُّ بنُ كلاب الذي يسمّى مُجَمِّعاً . وقيل سُمّيت القبيلةُ بقريش على اسم قُريش بن مَخْلَد بن غالب بن فِهر وكان صاحبَ العِير عندهم ؛ وكان الناسُ يقولون : قدِمت عِيرُ قريش وخَرَجت عِيرُ قُريش . وقيل إنها سُمّيت بذلك لِتَجْرِها وتكسُّبها وضَربها في البلاد ، تبتغي الرزق ، فإنهم كانوا أصحابَ تجارة ، ولم يكونوا أصحاب ضَرْعٍ وزَرْعٍ ، وهم يقولون : فلان يتقرّش المالَ أي يَجمَعُه . وهذه الأقوال جميعُها مبنية على التشابه اللغوي بين الكلمات وليس على أساسٍ واقعي يتعلّق بالحوادث والأشياء الحقيقية التي تجري في الحياة . وهذه الطريقة في التعليل اللغوي أضاعت على العرب كثيراً من الحقائق التاريخية .

ومما يُذكر بهذه المناسبة أن الزّجّاج النحوي كان يَزْعَم أن كُلّ لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقصت حروفُ إحداهما عن الأخرى فإن إحداهما مشتقةٌ من الأخرى . فالرَّجْلُ مشتقٌ من الرجل ، والثّوْرُ إنما يُسَمَّى ثوراً لأنه يُثير الأرض ؛ والثوبُ إنما سُمّيَ ثوباً لأنه ثاب لِباساً (أي أصبح لباساً)

بعد أن كان غزلاً وهكذا . ويحكى أن يحيى بن علي بن يحيى المنجم سأله : والجَرّة لِمَ سُمّيَت جَرّة ؟ فأجاب قائلاً : لأنها تُجَرّ على الأرض ، فقال له : لو جُرّت على الأرض لَكُسِرت . وقال ابنُ العلاّف تعليقاً على أقوال الزّجّاج: يجب أن يكونَ العُصْفُر مُشْتَقاً من العُصفور ، والعَذْب من الشراب مُشتَقٌ من العذاب ، والخَريف من الفصول مشتق من الخروف ، والإقليم مشتقٌ من القَلَم وهكذا .

والاشتقاق في اللغة باب واسع ، ويبحث في كيفية صوغ كلمة من كلمةٍ أخرى على أساس صيغة أو صِيغ معلومة لأنه لا يجوز الصوغ اعتباطاً دون قاعدة . والاشتقاق قسمان : أصغر وأكبر ، فالأصغر هو زيادة حرف أو أكثر في الأصل لأداء معنى معين أو معانٍ معينة ، مثل : ضارب ومضروب ومضرب ويضرب وغيرها فهي مشتركة في (ض ر ب). والاشتقاق الأكبر هو حفظ الأصل مع تغيير الهيئة دون زيادة مثل : (ق و ل) و (و ل ق) و (و ق ل) و (ل ق و) و (ل و ق) و (ق ل و) ، وهذا من ابتداع ابن جني ، ولا يعمل به. والعرب رأوا أن المعاني كثيرة فخصوا كلّ نوعٍ من هــذه المعاني بصيغة ، فزادوا حروفاً فالضارب غير الضرب ، وكذلك الضريب والضروب والمضروب والمضرب ، وزادوا حركات بدل الحروف ، فقــالوا : خَطوة وخُطوة ومَشية ومِشْية ومُفْتَق ومُفتِق وسَجْن وسِجْن ومَحْبَس ومِحْبَس . ويجب في هذه الحالة معرفة الصيغ ومعانيها ، فلا يجوز مثلاً أن يقال : مِقْعَد بدلاً من مَقْعَد وهو مكان القعود ، لأن مِقعد (بكسر الميم) هو آلة القعود . وبعضهم يستعمل مِفْعال بمعنى القياس ، مثــل استعمالهم لكلمة (مِحرار) لمقياس الحرارة وهو غلط شنيع لا يصدر إلاّ عن الجاهلين باللغة من العلماء في علم الطبيعة أو الكيمياء ، ومنهم من يقول (مِحماض) لمقياس الحموضة أي Acidonicter وهو غلط شنيــع لأن (مِحماض) هو آلة أو أداة التحميض وليس مقياس الحموضة ، حمانا الله وحمى اللغة من هؤلاء الجهلة .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

لولا بَنوها حولها لخبطتُها

محمود الأسمر
شتوتكارت – ألمانيا الغربية

*

كعب بن مالك الأنصاري

● **الجواب :** هذا البيت بتمامه هو :

لولا بَنوها حولهــا لَخَبَطْتُها   إلى أن تُداني الموتَ غيرَ مُذَمَّمِ

وقد ورد هذا البيتُ في مَعرض حكاية رأيتُها في معجم الأدباء لياقوت عن ابن دأب الليثي ، فقد حَدَّث المـرْزُباني عن عبدالله بن مُصْعَب عن مصعب بنِ الزبير عن أبيه الزبير بن العوام قال : كنا جماعةً نجالس الخليفةَ الهادي : أنا وسعيدُ بنُ سَلْم الباهلي ، وابنُ دأب الليثي ، وعبدُ الله بن مُسلم وكان هذا أجرأنا عليه ، فخرج الهادي علينا يوماً مُغضَباً متغيّراً ، فسأله عبدُ الله بن

مُسلِم عن سبب الغضب والتغير ، فقال الهادي : قد عرَفتم مَوضِعَ لُبانةَ بنتِ جعفر بن أبي جعفر مني (وكانت زوجتَه) ، فإنها أغلظت لي بإدلالها عليَّ في شيءٍ ، فلم أجد صبراً ، فنِلتُها بيدي (أي إنه ضربها) وندِمْتُ على ذلك . فسكتنا خوفاً من غضبه أو مِن تصويب عمله هذا لأن الخبرَ سيصل إليها . فقال ابنُ دأب .. يا أميرَ المؤمنين ، هذا الزبيرُ بن العوام حَواريُّ رسولِ الله ﷺ وابنُ عَمَّته ، ضرَب امرأتَه أسماءَ بنتَ أبي بكرٍ الصديق ، وهي من أفضلِ نساءِ زمانها حتى كسَر يَدَها ، وكان ذلك سببَ مفارقته إياها لأنه قال : أنتِ طالِقٌ إنْ حال عبدُ الله بيني وبينَكِ ، يَعني عبدَ الله ابنَ الزبير ابنَه . ولكنّ عبدَ الله لم يُخَلِّه وخلَّصها منه ، فطَلقَتْ . وهذا عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه يقول : لا يُسألُ المرءُ فِيمَ يَضرِب امرأتَه. وهذا كعبُ بن مالكٍ الأنصاري ، وهو أخو الزبير ، آخَى رسولَ الله ﷺ بينهما ، عَتَب على امرأته ، وهي من المهاجرات ، في شيء فضربها حتى حال بنوها بينهما ، فقال :

لولا بَنوها حولها لَخبَطْتُها ... إلى أن تُداني الموتَ غيرَ مُذَمَّمِ

ولكنهم حالوا بِمَنعِيَ دونَهـا ... فلا تَعْدَميهم بين ناهٍ ومُقْسِمِ

فمالَت وفيها حائشٌ مِن عَبيطِها ... كحاشيةِ البُردِ اليماني المُسَهَّمِ

قال : فضحك الهادي وسُرِّيَ عنه ؛ وأمر لابنِ دأب بخمسين ألفَ درهم وخمسين ثوباً . وقال عبد الله بن مصعب : فتأسَّفتُ كيف سَبقني ابنُ دأبٍ إلى شيءٍ أحفَظه مثلَ حفظِه . وابنُ دأب كثيرُ الروايات، حتى إنّ الأصمعي الكثيرَ الروايات كان يَعجَب من غرابات رواياته ، فقد قال الأصمعي يوماً : أتَـعجَب لابنِ دأب حين يَزْعُم أن الأعشى قال :

مَن رأى لي غُزَيِّلي أربَحَ اللهْ تِجارَتُهْ

وخِضابٌ بكفِّه أسودُ اللونِ قارتُهْ

يا سبحانَ الله ، يَحذِف الألف التي قبل الهاء في كلمة (الله) ويُسَكِّن الهاء ثم يَرْفَع (تجارتُه) وهو منصوب ، ويُجَوِّز هذا عنه ، ويَروي الناسُ عن مثله ! ؟ .

وكعب بن مالك أحد شعراء النبي ﷺ الثلاثة ، ومعه حسّان بن ثابت وعبدالله بن رَواحة . وهو عريق في الشعر ، ابنه عبدالرحمن شاعر وابن ابنه بشير بن عبدالرحمن شاعر . وممن بن عمر بن عبدالله بن كعب شاعر ، والزبير ابن خارجة بن عبدالله بن كعب شاعر ، وعبدالرحمن بن عبدالله بن كعب شاعر ، ومعن بن وهب بن كعب شاعر . وكان كعب بن مالك عثمانياً ، وهو أحد من قَعَد عن نصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وشعراء النبي ﷺ الثلاثة يناصرون النبي ضد قريش ويهجونهم . وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم عن الوقائع والمآثر ، وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر . وكعب بن مالك هو القائل في قريش :

هَمَّت سَخينةُ أن تغالِب ربَّها وليُغلَبَنَّ مغالب الغلّاب

وكانت قريش تسمى (سخينة) . وله البيت المشهور :

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطوِنا يوماً ونُلحِقها إذا لم تَلْحَقِ

ويقال إنه أشجع بيت . وقيل إن قوماً بينهم وبين أبيه ثأر أحدقوا به وقالوا له : استسلم وسلّم الظعينة ، فقال : أمّا وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا ، وقاتل حتى قُتِل .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

وأرَّقني في الرَّيِّ نوحُ حمامة   فَنُحتُ وذو البَثِّ الغَريبُ يَنوحُ

محمد راشد سعيد
كتيبة الحدود الشمالية – سلطنة عمان

*

عوف بن مُحَلِّم الخزاعي

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر عَوف بن مُحَلِّم الخزاعي من أبيات قالها في حكايةٍ جرت له مع عبد الله بن طاهر. فقد ذكروا أن عوفَ بنَ مُحَلِّم هذا أصلُه مِن حَرّان ثم اتصل بطاهرِ بنِ الحسين فكان نديمَه وسميرَه مدة ثلاثين سنة لا يُفارقه في بغداد مع شدةِ شوقه إلى أهله ووطنه . ثم تُوفي طاهرُ بن الحسين فقرَّبه ابنُه عبدُالله بنُ طاهر ، وأخذ عوف يسأله أن يُطلِقَ سراحَه ليعودَ إلى أهلِه . واتَّفق أن خرج عبدُالله من بغداد إلى خراسان، فأخذ عوفاً معه وجعله عديلَه على الراحلة . فلما شارفا الرَّيَّ سمع عبدُالله صوتَ عندليب يغرِّد تغريداً مُطرباً ، فأعجَبَ ذلك عبدَ الله والتفت إلى عوفٍ وقال له : يا ابنَ مُحَلِّم ، هل سمعتَ بأشجى من هذا ؟ فقال عوف : لا والله . فقال

عبدُالله : قاتلَ اللهُ أبا كبيرٍ الهذلي حيث يقول :

ألاَ يا حَمامَ الأَيكِ إلْفُكَ حاضِرٌ وغُصنُكَ مَيّادٌ فَفيمَ تَنوحُ

أفِق لا تَنُح مِن غيرِ بَيْنٍ فإنني بَكَيتُ زماناً والفؤادُ صحيحُ

وَلوعاً، فشطَّت غُربةً دارُ زَيْنَبٍ فها أنا أبكي والفؤادُ قَريحُ

فقال عوف : أحسن والله ، وأجاد أبو كبير ؛ إنه كان في الهذليين مئةٌ وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مُفلِق ، وما كان فيهم مثلُ أبي كبير . وأخذ عوفٌ يصفه . فقال له عبدالله : أقسمتُ عليك إلاّ أجزتَ قولَه . فقال عوف : لقد كَبِر سِنّي وفَنِي ذِهني ، وأنكرتُ كلَّ ما كنتُ أعرفه . أعزّك الله ، شيخ غريب حملتَه على البديهة ولا سيما في معارضةِ أبي كبير . فقال عبد الله : بِحَقّ طاهر إلاّ فعلت . فأنشد عوف يذكر حالَه في غربته عن أهله وولده :

أفي كُلِّ عامٍ غُربةٌ ونزوحُ
أما للنوى من وَنيةٍ فَتُريحُ

لقد طَلَّح البينُ المُشِتُّ ركائبي
فهل أرَيَنَّ البَيْنَ وهو طَليحُ

وأرَّقَني بالرَّيِّ نوحُ حمامةٍ
فَنُحْتُ وذو الشجوِ الحزينُ يَنوحُ

على أنّها ناحت ولم تُذْرِ دمعةً
ونُحتُ وأسرابُ الدموع سُفوحُ

وناحت وفرخاها بحيث تَراهمـــا

ومِن دونِ أفراخي مَهامِهُ فِيحُ

ألاَ يا حمَامَ الأيكِ إلْفُكَ حاضِرٌ

وغُصنُكَ مَيّــادٌ ففيم تَنوحُ

عَسَى جُودُ عبدِ الله أن يَعكِسَ النوى

فَتُضْحي عصا التَّسْيار وهي طَريحُ

فإن الغِنى يُدني الفتى مِن صديقـه

وعُـــدْمَ الفتى بالمُقتِرين نَزوحُ

فبكى عبد الله ورقّ له وقال : واللهِ إنني لـَضَنينٌ بمفارقتك ، شحيحٌ على الفائت من محاضرتك ، ولكن واللهِ لا أعملتَ معي خفًّا ولا حافِراً إلا راجعاً إلى أهلك . وأمر له بثلاثين ألفَ درهم . وقيل إنه أمر له بعشرةِ آلافِ درهم كلّ سنة وقال : لا تَتعبَنّ إلينا فإنها تُوافيكَ في منزلك إنشاء الله .

وهذه الحكايةُ عن الحمام والغربة شبيهةٌ بما ذكره القالي صاحبُ الأمالي عن أبي بكر بن دريد قال : خرجْنا مِن عُمان في سَفرٍ لنا ، فنزلنا في أصلِ نخلةٍ ، فنظرتُ فإذا حمامتان تَزْقوان في فرع النخلة فأشجاني هذا المنظر فقلت :

أقولُ لِوَرْقاوين في فَرعِ نَخلةٍ وقد طَفَّلَ الإمساءُ أو جَنَحَ العَصرُ

وقد بَسَطت هاتا لتلك جناحَها ومال على هاتيكَ من هذه النحرُ

لِيَهْنِكُما أنْ لم تُراعـــا بِفُرقةٍ وما دَبَّ في تشتيت شملكما الدهرُ

فلم أرَ مثلي قطّع الشوقُ قلبَه   على أنه يَحكي قساوتَه الصخرُ

وذكروا عن مجنون ليلى أنه نام ليلة تحت شجرةٍ فغرّد طائرٌ على الشجرة فنَبّه المجنونَ فقال :

لقد هَتَفَت في جِنح ليلٍ حمامةٌ   على فننٍ تدعو وإني لنـــائمُ

فقلتُ اعتذاراً عند ذاك وإنني   لِنفسيَ فيما قـــد رأيتُ للائمُ

أأزعُم أني عاشِقٌ ذو صَبابةٍ   بليلى ولا أبكي وتبكي البهائمُ

كَذَبتُ،وبيتِ الله،لو كنتُ عاشِقاً   لَمَا سَبَقَتْني بالبكاءِ الحمـــائمُ

وفي كتاب « نثار الأزهار في الليل والنهار » لابن منظور أن مثلَ قولِ المجنون قولٌ ناقصٌ في باب المحبة ، لأن المحبَّ يجب أن لا يحتاجَ إلى نوحِ الحمام حتى يتذكرَ حُبَّه وحبيبه ، ولكنّ الصحيحَ هو قولُ أبي صخرٍ الهُذلي :

وليس المُعَنَّى بالذي لا يَهيجُه   على الشوقِ إلاّ الهاتفاتُ السَّوانِحُ

ولا بالّذي إن صَدَّ يوماً خَليلُه   يقول ويبدي الصبر : إني لَجازعُ

ولكنه سُقْمُ الجوَى ومِطـــالُه   وموتُ الجفا ثم الشئونُ الدوامعُ

رَشاشاً وتَهتاناً ووَبلاً وديمـــةً   كذلك يُبْدي ما تُجِنّ الأَضالعُ

ويقول العرب : ناح الحمامُ وغنّى الحمام ، فيَنسبون إليه الحزنَ أحياناً والسرورَ أحياناً أُخرى بحسب الحالة النفسانية للشاعر في ذلك الوقت . ولهذا قال المنازي :

شجا قلبَ الشجيِّ فقال غَنّى   وبَرَّح بالشَّجيِّ فقـــال ناحا

وشبيه بحكاية المجنون وحكاية عوف بن مُحَلِّم ما ذكروه عن العباس ابن الأحنف عند وفاته . فقد رأيت في كتاب « نثار الأزهار » أن رجلاً من قريش قال : حججنا وعدنا ، فأتينا في بعض المنازل امرأة في خبائها ، فاستأذنّا عليها فقالت : يا هؤلاء ، أفيكم أحدٌ من أهل البصرة ؟ قلنا : نعم . قالت : هاهنا رجلٌ يريد أن يوصي إلى بعضكم وتَشْهَدوا وفاته . فقمنا إليه ، وإذا رجلٌ مُدْنَف . فكلمناه فنظر إلينا ، وإذا طائرٌ سقط على شجرة وصوّت . فنظر إليه وبكى وأنشد :

يا بعيدَ الدار عن وطنه   مُفْرَداً يبكي على شَجَنه
ولقد زاد الفؤادَ شجىً   هاتِفٌ يبكي على فننه

ثم أغمي عليه ، ولمّا فتح عينيه سمع الطائرَ يصوّت فقال :

كلّما جدّ البكاء به   زادت الأسقامُ في بدنه
شفّه ما شفّني فبكى   كلُّنا يبكي على سكنه

ثم تُوُفّي . وسألنا المرأةَ عنه فقالت : هذا العباس بن الأحنف .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

إذا تولّى سَراةُ الناس أمْرَهم نما على ذاك أمرُ القوم وازدادوا

الجنيدي الحاج أحمد
شندي – السودان

★

الأفوه الأودي

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر الجاهلي الأفوه الأودي واسمه صَلآءة بن عمرو ، وكان أحدَ فحول شعراء الجاهليـة وحكمائها وساداتها وفرسانها . والبيتُ من أبياتٍ مشهورة قال فيها :

البيتُ لا يُبْتَنَى إلاّ له عَمَـــدٌ
ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوتـــادُ
فإن تجمَّع أوتـــادٌ وأعمِدةٌ
وساكِنٌ بلغوا الأمرَ الذي كادوا

لا يَصْلُح الناسُ فوضى لا سَراةَ لهم
ولا سراةَ إذا جُهّالُهم ســـادوا

تُهْدَى الأُمورُ بأَهلِ الرأي ما صَلَحت
فـإن تولّت فبالأَشرارِ تنقـادُ

إذا تولّى سَراةُ النـاسِ أمرَهُمُ
نمـا على ذاك أمرُ القوم فازدادوا

وله أيضاً في الحكمة قولـه :

لنا معاشِرُ لم يَبْنُوا لقومِهِمُ وإن بنى قومُهم ما أفْسَدوا عادوا

ويُروَى له أيضاً قوله :

بَلوتُ الناسَ قرناً بعد قرنٍ فلم أرَ غيرَ ذي قيلٍ وقالِ

ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ هولاً وأصعبَ مِن معاداةِ الرجالِ

وذُقتُ مرارةَ الأشياء طُـرًّا فما شيءٌ أَمَرُّ من السؤالِ

وقال عبدُالله بن الزُبَير : هذه الأبيات الثلاثة جامعةٌ لما قالت العرب . وأورد له صاحبُ الأغاني أبياتاً غزلية منها :

فيا عَزَّ إن واشٍ وشى بيَ عندكمْ
فـــلا تُكرميه أن تَقولي له مَهْلا

كما نحن لو واشٍ وشَى بـكِ عندنا
لَقُلنا تَزَحْزَحْ لا قريباً ولا سهلا

ألم يانِ لي يا قلبُ أن أتركَ الجهلا
وأن يُحدِثَ الشيبُ المِلمُّ لي العَقلا

على حينَ صار الرأسُ مني كأنما
عَلَت فوقه نَدّافَـةُ العُطُب الغَزْلا

وهذه الأبيات الأربعة تُروى لكُثَيِّر عزة .

وللأفوه الأودي من مشهور الشعر قولـُه :

إنما نعمـــةُ قوم مُتْعَةٌ وحياةُ المرءِ ثَوْبٌ مُسْتَعارُ
حَتَم الدهرُ علينا إنـــه ظَلَفٌ ما نال منا وجُبارُ

وللأفوه الأودي أشعار أُخرى جمعها عبد العزيز اليمني في كتاب اسمـــه «الطرائف الأدبية» وذكر له هناك بقية الأبيات التي منها : إنما نعمة قوم متعة .. وعددها ٣٠ بيتاً وذكر بقية الأبيات التي منها البيت المسؤول عنه ، وعددها ١٧ بيتاً .

وزعم بعضهم أن الأفوه الأودي أول من قصد القصائـد ، وله رائيته التي منها البيتان اللذان ذكرناهما آخراً ، وقيل إن النبي ﷺ نهى عن إنشادها لأن فيها قوله عن اسماعيل عليه السلام :

رَيَّشت جُرْهم نبلاً فَرَمى جُرهماً منهن فُوقٌ وغِرار

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

لو كان قلبي معي ما اخترتُ غيرَكم
ولا رَضِيتُ سواكم في الهوى بَدلا

عبد الله علي أحمد بن الشيخ
الرياض – المملكة العربية السعودية

★

عنترة العبسي

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر الجاهلي عنترة العبسي وجدته في إحدى المجاميع الشعرية الغزلية ولم أجِدْه في المجموعات الأخرى . وهو من بيتين هناك هما :

لو كان قلبي معي ما اَخْتَرْتُ غيرَكُمُ
ولا رَضِيتُ سِواكُم في الهوى بَدَلا
لكنّـه راغِبٌ في مَن يُعَذّبــه
فليس يَقبل لا لوماً ولا عَــذَلا

ولا يُستَبعد أن يكونَ هذا من شعر عنترة ، لأن له شعراً غزلياً رقيقاً ، ولا سيما إذا تغزل بمحبوبته عبلة . ومن ذلك قولُه :

يا طائرَ البانِ قد هيَّجْتَ أشجاني
وزِدْتَني طَرَباً يا طائرَ البانِ
إن كنتَ تَنْدُبُ إلفاً قد فُجِعتَ به
فقد شجاك الذي بالبين أشجاني

إلى آخره .

وهو شبيه بقوله الآخر :

وقد هَتَفَت في جِنْحِ ليلٍ حمامةٌ مُغَرِّدَةٌ تشكو صروفَ زمانِ
فقلتُ لها لو كنتِ مِثْلي حزينةً بَكَيتِ بدمعٍ زائدِ الهَمَلانِ
وما كنتِ في دَوحٍ تميس غُصونُه ولا خُضِبَت رِجلاك أحمرَ قاني

وشبيهٌ بقوله أيضاً :

وما شاق قلبي في الدُّجَى غيرُ طائرٍ
يَنوحُ على غُصْنٍ رطيبٍ من الرَّنْدِ
به مثلُ ما بي فهو يُخفي من الجوى
كمثلِ الذي أُخفِي ويُبدي الذي أُبدي
ألاَ قاتلَ اللهُ الهوى كم بسيفِه
قَتيلِ غرامٍ لا يُوَسَّدُ في اللحدِ

وقول عنترة في البيتين المسئول عنهما يشبه قولَ عبد العزيز القاضي من المُحْدَثين المتأخرين :

زعموا أنني هَوِيتُ سِواكُمْ كَذَبوا ما عَرَفْتُ إلاّ هَواكُمْ

قد عَلِمتم بِصِدْقِ مُرْسَلِ دَمعي فسلُوه إن كان قلبي سلاكُمْ

قال لي عُذَّلي متى تُبْصِرُ الرُّشدَ وتسلو ؟ فقلت يومَ عَماكُمْ

حاوَلوا سَلْوَتي بلومي فأَغْرَوْني فمن ذا بِصَدِّكُم أغراكُمْ

لا تُحيلوا قلبي على حسنِ صبري أحسن اللهُ في اصطباري عزاكُمْ

وللوزير ابن زيدون قوله في وَلاّدة :

واللهِ ما طلبت أهواؤنا بدلاً منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

ولا استفدنا خليلاً عنك يُشغلنا ولا اتخذنا بديلاً منك يسلينا

أمّا هواك فلم نعدل بمنهله شرباً وإن كان يُروينا ويظمينا

فما ابتغينا خليلاً منك يُحْسِبنا ولا استفدنا حبيباً عنك يُغنينا

ولو صبا نحونا من علو مطلعه بدر الدجى لم يكن حاشاك يُصبينا

ومنه قول كثيّر يخاطب عزّة :

وواللهِ ثم اللهِ ما حلَّ قبلها ولا بَعدها مِن خُلَّة حيث حَلَّتِ

وعن نوح الحمامة وتذكر الحبيب قول شمس الدين الكوفي :

حمائم الدوح في الأغصان نائحة كما تنوح فتحكيها وتحكينا

تشجو وتندب من شوق لمن فقدت ومن فقدنا فتشجيها وتشجينا

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

أيا معشرَ العُشاق بالله خبِّروا   إذا اشتد عِشْقٌ بالفتى كيف يصنع

فتحي عمر أبو كتيف
زليطن – الجماهيرية العربية الليبية

★

الشافعي

● **الجواب :** كنت أجبت عن هذا السؤال غير مرة ، وذكرتُ عن هذا البيت حكايةً عن الأصمعي وحكايةً أُخرى عن غيره . ثم وَجدت في معجم الأدباء لياقوت حكاية ثالثة . وهي أنّ رجلاً جاء الشافعي برُقعةٍ فيها هذا السؤال :

سَلِ المُفْتِيَ المكِّيَّ مِن آل هاشمٍ
إذا اشتدَّ وَجدٌ بامرئٍ كيف يصنعُ ؟

فكتب الشافعي تحته :

يُداوي هواه ثم يَكْتُم سِرَّه   ويَصبِر في كلِّ الأمور ويخضعُ

فأخذ الرجلُ الرُّقعةَ وقرأ الجواب، ثم كتب تحت البيت سؤالاً آخر وهو:

فكيف يُداوي والهوى قاتلُ الفتى

وفي كلّ يوم ٍ غُصّـــةً يتَجَرَّعُ

فكتب الشافعي الجوابَ تحته وقال :

فإن هو لم يَصبِر على ما أصابه   فليس له شيءٌ سوى الموتِ أنفعُ

وهنا تنتهي الحكاية ، في حين أن حكايةَ الأصمعي فيها خاتمة ، وهي أن الرجل لمّا قرأ الجواب كتب يقول :

سمعنا أطعنا ثم مُتنا فبلّغوا   سلامي إلى من كان بالوصل يَمنعُ

وحكايةُ الشافعي هذه شبيهةٌ بحكاية أخرى ذكرها ياقوت في معجم الأدباء ، برواية الربيع بن سليمان قال: كنّا عند الشافعي إذ جاءه رجلٌ برقعة، فنظر فيها الشافعي وتبسّم ، ثم كتب فيها ودفعها إلى الرجل. فلمّا خرج الرجلُ لحِقناه ، وأخذنا الرقعة ، فإذا فيها هذا السؤال :

سَلِ المفتيَ المكّيَّ هل في تزاورٍ   وضَمّةِ مُشتاقِ الفؤادِ جُناحُ ؟

وإذا فيها جوابُ السؤال للشافعي :

أقول مَعاذَ الله أن يُذهِبَ التقى   تلاصُقُ أكبادٍ بهِنّ جِراحُ

وفي حكاية أُخرى عن الشافعي أنه كان يوماً من أيام الجُمع جالساً للنظر ، فجاءته امرأةٌ فألقت إليه رُقعةً فيها :

عفا الله عن عبدٍ أعان بدعوةٍ   خليلَيْن كانا دائمَيْن على الوُدِّ

إلى أن مَشَى واشي الهوى بنميمةٍ إلى ذاك مِن هذا فزالا عن العهدِ

فلمّا قرأها الشافعي ، جعل ذلك اليومَ يومَ دعاء بدلاً من يومِ نظر ، وأخذ يستغفر ويقول : ألّلهُم ألّلهم ، حتى تفرّق أصحابه .

وذكر المبرّد في الكامل عن المفتي المكي وقال : وأنشدني أبو العالية :

سَلِ المفتِيَ المكيَّ هل في تزاورٍ ونَظرة مُشتاقِ الفؤاد جُناحُ

فقال مَعاذَ الله أن يُذهِب التقى تلاصُقُ أكبادٍ بهنّ جِراحُ

وذكر المُبَرّد لبعض العرب المحدَثين قولَه في هذا المعنى :

تلاصَقْنا وليس بنا فُسوقُ ولم يَرِدِ الحَرامَ بنا اللُّصوقُ

ولكنّ التباعدَ طال حتى تَوَقّد في الضلوع له حَريقُ

فلمّا أن أُتيح لنا التلاقي تعانَقْنا كما اعتنق الصديقُ

وهل حَرَجاً تراه أو حراماً مَشوقٌ ضَمّه كَلِفٌ مَشوقُ

ورأيت في شرحٍ مطبوعٍ للقصيدة الزينبية هذا السؤال : إذا تحقق المحِبُّ هلاكَ نفسه إن لم يُقبل المحبوب ، هل يُباح له تقبيلُه أم لا ؟ والجواب : نعم، بشروط ، كما قاله الحافظ بن حجر حين سُئِل :

ماذا يقول إمامُ العصر في دَنِفٍ
أضحى قتيلَ الهوى من أسهم المُقَلِ

فهل يَجوز له إحيـــاءُ مُهْجته

مِن ثغرِ محبوبه بالرَّشْف والقُبَلِ

وهـــل يجوز له يوماً يُعانِقـه

ويَشتفي القلبُ في قولٍ وفي عَمَل

فهذه قِصَّتي في شرحِها عَجَبٌ

فَأَسْمَحْ بردٍّ جوابٍ يا مُني أملي

فأجاب الحافظ بن حَجَر :

إن صحّ دعواه في إتـلاف مهجته

وأنَّ رَشْفَ اللَّمى يُبْري من العِلَلِ

فَلْيَرْشُفَنَّ رضاب الثغر مُحْتَسِباً

وَلْيَقْطُفَنَّ بفيه وردةَ الخَجــلِ

فذاك في ملةِ الإســلام أيسرُ من

قتـلِ امرىءٍ مؤمنٍ بالله في الأزلِ



● **السؤال** : من القائل وما المناسبة، وما المقصود بقوله « يذكرني حـم » :

هَتَكْتُ له بالرمح جَيبَ قميصه   فخرَّ صريعاً لليـــدين وللفم

يُذَكِّرُني (حـم) والرُّمْحُ شاجِرٌ   فهلاّ تلا (حـم) قبـل التقدم

جزا غانم العوفي

المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية

★

قاتل محمد بن طلحة بن عبد الله

● **الجواب** : هذان البيتان مُخْتَلَفٌ فيمن قالهما، وهما من أبيات قالها قاتلُ محمد بن طلحة بن عبيد الله في وقعة الجمل. والأبيات هي :

وأشْعَثَ قَوّامٍ بآياتِ رَبِّـه   قليلِ الأذى فيما ترى العينُ مُسْلِمِ

ضَمَمْتُ إليه بالسِّنان قميصَه   فَخَرَّ صريعاً لليـــدين وللفمِ

على غيرِ شيءٍ غَيْرَ أنْ ليس تابعاً   عَلِيًّا ومَن لا يَتْبَعِ الحَقَّ يَنْدَمِ

يُذَكِّرُني (حم) والرُّمْحُ شاجِرٌ   فَهلاَّ تلا (حم) قبلَ التقدمِ

يريد هنا بـِ (حم) قولَه تعالى: « قُل لا أسألُكم عليه أجراً إلاَّ المودةَ في القُربى ». وعبارة « فَخرَّ صريعاً لليدين وللفم » معناها أنه سَقَط صريعاً على وجهه. ومن ذلك قولُ جابر الثعلبي في يوم الكُلاب:

فيومَ الكُلاَب قد أزالت رماحُنا   شُرَحْبيلَ إذ آلى أَلِيَّةَ مُقْسِمِ

لَيَنْتَزِعَنْ أرماحَنا فأزاله   أبو حَنَشٍ عن ظهرِ شَنْقاءَ صِلْدِمِ

تناوله بالرمح ثم انْثَنَى بـه   فَخَرَّ صريعاً لليدين وللفمِ

وفي الحماسة البصرية أن البيتين المسئول عنهما لِلمُقَشْعِرِّ بن جُديع النَّضْري في يومِ الجمل لمّا طَعَنَ محمدَ بن طلحة الذي كان على الخيل. وفي الأخبار الطوال للدِّيْنَوَري أنَّ الوقعةَ كانت يوم الجمل وليس في يوم صِفّين. والبيتان يتنازعهما شعراءُ عديدون. والذين اجتمعوا على قتل محمد بن طلحةَ هم: المُكَعْبَرَ الأسدي والمكعبَر الضبّي وعَفّار السعدي، ومعاوية بن شداد العبسي. ويقال إن الذي قتله شُرَيح بن أوفى العبسي. واختلفوا في قول القائل، فقالوا إنه لِعصام بن المُقشَعِرّ العَبسي أو للأشعث بن قيس أو لكعب ابن حُدَيِر الغنوي. وفي الاقتضاب لِلبَطَلْيَوْسي أن البيتين للمُكَعْبَر الأسدي أو للمُكعبَر الضبي أو لِشُرَيح بن أوفى العبسي أو لِعِصام بن المُقشَعِرّ العبسي أو للأشعث بن قيس الكندي. ويقول البطليوسي في الاقتضاب إن محمد بن طلحة قُتل يوم صِفّين، وكان عليٌّ رضي الله عنه قال لأصحابه: اجعلوا شعاركم « حاميم لا يُنصَرون ». وكان محمد بن طلحة من أصحاب معاوية، فكان إذا حَمَل عليه رجلٌ من أصحاب علي يقول محمد: أسألُك بحاميم، فيكفُّ الرجلُ عنه، إلى أن حَمَل عليه الأشعثُ بنُ قيس، فقال له

محمد : أسألك بحاميم ، فلم يلتفت إلى قوله ، فقتله وقال :

وأشعثَ قَوّامٍ بآياتِ ربه

إلى آخر الأبيات الأربعة التي ذكرناها في أول الجواب .

ويقول محمدُ الأمير في شرح مغني اللبيب إن القصدَ من شعار (حٰم) هو الإشارة إلى قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودةَ في القربى » وهو في الآية الثانية والعشرين من سورة الشورى . وفسَّر بعضُهم ذلك بأن الله يحض المسلمين على مودة آل البيت .

ورأيت في شرح الخفاجي لدرة الغواص أن البيت :

يذكرني حٰم والرمح شاجر ... فهلاّ تلا حٰم قبل التقدم

قاله العبسي في السَّجّاد وقد قتله . ويقال : قرأت الحواميم والطواسين ، وأنشد أبو عبيدة :

حلفتُ بالسبع اللواتي طُوِّلت ... وبِمِئِينٍ بعدها قد أُمئِيت

وبالمثاني ثُنِّيت وكُرِّرت ... وبالطواسين التي تثلثت

وبالحواميم اللواتي سُبِّعت ... وبالمفصّل التي قد فصلت

ويقول الكميت :

وجدنا لكم في آل حم آيةً ... تأوَّلها منا تَقِيٌّ ومُعْرِب

والتَّقِيّ هو الذي يستر مذهبه ومحبته . والمُعرِب هو الذي يجاهر بها .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

أيها المُدّعي سُلَيماً سَفاهاً ... لستَ منها ولا قُلامَةَ ظُفرِ

إنما أنتَ من سُلَيمٍ كواوٍ ... أُلحِقَت في الهجاءِ ظُلْماً بعمرٍو

أحمد بن أحمد

الخير – مركز سانلوي – السنغال

★

أبو نواس

● **الجواب :** هذان البيتان لأبي نواس يهجو الشاعر أشجع السُلَمي ، وأشجع من قبيلة سُلَيم ، وأبو نواس يُنكِر عليه أن يكونَ من سُليم ، بل إنه دَعِيٌّ أُلحِقَ بِسُليم ظلماً ، كما ألحقوا (الواو) بعمرو من غير لزوم ولا فائدة .

ورأيت في كتاب ثمرات الأوراق لابن حِجّة الحموي أن رجلاً كان يكتب كتاباً وإلى جانبه آخر . فانتهى الكاتب إلى اسم (عمرو) مرفوعاً فكتبه بغير (واو) . فقال له صديقه الذي كان يجانبه : يا مولانا زدها (واواً) للفرق بينها

وبين (عُمر) . فقال له : لقد تفضل مولانا بزيادة (الواو) بمعنى (تَفَوْضَل) يريد أن يقول إن زيادة (الواو) تُفسِد الكلمة . وهم يُسقِطون (الواو) في (عَمراً) المنصوبة لأنهم يقولون إنه لا مجال لِلَّبْس في (عُمَر) لأن (عُمَر) ممنوعة من الصرف ولا تنوَّن .

ومن القول في معنى أبي نواس قولُ أبي سعيدِ الرُّستُمي :

أفي الحقِّ أن يُعطَى ثلاثون شاعراً
ويُحْرَم ما دون الرضا شاعرٌ مِثلي

كما سامحوا عَمْراً بواوٍ مَزيـــدةٍ
وضُويق بِسْمِ الله في ألِفِ الوَصْلِ

أي إنهم يزيدون (الواو) على (عمرو) ويحذفون الألف من (باسمِ) .

ويقول السَّراج الوَرّاق ، في من اسمُه عمْرو ، وجَمَعَ الواوات :

ما لي أرَى عَمْرَنا أنَّى اَسْتَجَرْتُ به
قد صار عَمْراً بواوٍ فيه وانْصَرَفا

والمستجيرُ بعمرٍو عند كربته
فما أزيدُك تعريفاً بمـــا عُرِفا

وتلك (واوٌ) ولا واللهِ ما عَطَفت
ولو أتت واوَ عطفٍ ما أتت طرَفا

ولو غدَت واوَ حالٍ لم تَسُرَّ ولو
أتى بها قَسَماً مـــا بَرَّ إن حَلَفا

أو (واوَ) رُبَّ لما جرَت سوى أسفٍ
وكَثَّرته خلافاً للذي أَلِفا

أو (واوَ) مَعْ لم أَجد خيراً أتى معها
أو (واوَ) جمعٍ غدا من فُرقةٍ تَلِفا

وليتَ صُدْغاً بها قد شبَّهوه غدا
يُكْوَى بنارٍ وهذا في السُّلوِّ كَفى

وقوله : وليتَ صُدغاً بها قد شبهوه غدا ، يُشير إلى أن الشعراء يُشبّهون الصُّدْغ أو الشَّعَرَ الذي يَتَدَلّى من الصُّدغ بالواو . ويحكى عن أميرِ المؤمنين عُمَرَ بنِ الخطاب أنه قال لرجل أعرابي : أكان كذا وكذا ...؟ فقال الأعرابي : لا أطالَ اللهُ بَقاءَك . فقال له عمر : قد عُلِّمتُم فلم تتعلَّموا ؛ هلاّ قلتَ : لا ، وأطال الله بقاءَك . ويقال إن الصاحبَ بنَ عباد سمع بحكايةِ (الواو) هذه مع الأعرابي ، فقال : هذه الواو هنا أحسنُ من واوات الأصداغ في وَجَنَاتِ المِلاح .

ويقول العرب : وقع رمضان في (الواوات) : أي قارب الانتهاء ، لأنهم يقولون واحدٌ وعشرون من الشهر ، واثنان وعشرون ، وثلاثة وعشرون وهكذا إلى الثلاثين ولذلك قال محمد بن علي بن بَسّام :

قد قَرَّب اللهُ بعد الجوع لي شِبَعاً
كأنني بهلالِ العيد قد طَلَعا

فَخُذ لِلَهْوِك في شَوّالَ أُهْبَتَه
فإنَّ شَهْرَكَ في الواواتِ قد وَقعا

ويقولون عن (نون) الجمع مثلَ قولهم عن (واو) عمرو ، فأبو الفتح البستي يقول :

تألَّم قلبي ليتني كنتُ مَيِّتاً وأدركني ما كنتُ منه أخافُ
حُذِفْتُ وغيري ثابتٌ في مكانه كأنيَ نُونُ الجمع حين تُضافُ

وهو نون الاضافة ، مثل :

كأنيَ تنوين وأنت إضافة فأين تراني لا تَحُلّ مكانيا

ويقول أبو المحاسن الشوّاء :

وكنا خمسَ عَشْرةَ في التئام على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحتُ تنويناً وأضحى حبيبي لا تُفارقه الإضافه

وفي واو عمرو يقول ابن بَسّام :

يا طُلُوعَ الرقيب ما بين ألفٍ يا غريماً أتى على الميعاد
يا ركوداً في يوم صيفٍ وغيمٍ يا وجوهَ التّجار يومَ الكساد
خلّ عنا فإنما أنت فينا واو عمرو أو كالحديث المُعاد

ويقال في الرجل الذي لا يحتاج إليه : واو عمرو أو بغلة الشطرنج ، لأنه ليس هناك في قطع الشطرنج قطعة باسم بغلة الشطرنج .

● **السؤال** : من القائل وما المناسبة :

إذا الناس غطّوني تغطّيتُ عنهمُ ‏ ‏ ‏ وإن بحثوا عني ففيهم مَباحثُ

وإن نبشوا بئري نبشتُ بئارهم ‏ ‏ ‏ ليعلم قومٌ كيف تلك النبائثُ

الشيخ عبدالله أحمد السراجي
المخا - الجمهورية العربية اليمنية

★

أبو دلامة

● **الجواب** : رأيت في كتاب الكامل للمبرّد أنّ هذين البيتين لأبي دُلامة، قالهما في معرض حكايةٍ بينه وبين طبيب . فقد اختلف أبو دلامة مولى بني أسد إلى الطبيب لمعالجةِ ابنٍ له كان مريضاً ، ووعد أبو دلامة الطبيبَ أنه إذا شُفيَ ابنه من المرض الذي فيه أن يُعطيَه ألفَ درهم . فشُفي ابنُه ، فطالبه الطبيبُ بالشرط فقال أبو دلامة إن الدراهمَ ليست متوافرةً عنده، ووعده بأن يَدْفع . واقترح عليه أن يَدّعي على جارٍ له بألفِ الدرهم لأنه موسر ، وأنه هو وابنُه يشهدان عند القاضي بذلك . ولمّا مَثلَ المتخاصمان أمام القاضي ابنِ شُبْرُمَة طلب منهما البينة ، فطلع أبو دلامة وابنُه شاهدين ، ففهم القاضي الحيلة . فلما

جلس أبو دلامة بين يدي القاضي قال :

إذا الناسُ غطَّوْني تغطَّيتُ عنهمُ وإن بَحَثُوني كان فيهم مباحثُ
وإن حفَروا بئري حفَرتُ بئارَهم لِيَعْلَمَ قومٌ كيف تلك النبائثُ

فقال ابنُ شُبْرُمة : من ذا الذي يَبْحَثُكَ يا أبا دلامة ؟ ثم قال للمدعي الطبيب : قد عرفتُ شاهديك ، فَخَلِّ عن خَصْمِك ، ورُح العشيةَ إليّ . فراح الطبيب فأعطاه ابنُ شُبْرُمة ألفَ الدرهم من ماله .

وهذه الحكايةُ مذكورة في شَذَرات الذهب مع شيء من التغيير . فإن المريض في حكاية شذرات الذهب أبو دلامة نفسُه ، ورواية البيت الثاني هناك هي :

وإن نَبَشوا بئري نبشت بثارهم ليعلم قوم كيف تلك النبائث

وفي لسان العرب :

فإن نَبَثوا بئري نَبَثْتُ بئارَهم لِيَعْلَمَ قَومٌ كيف تلك النبائثُ

وهذه الرواية أقرب إلى الصواب بالنظر إلى القافية (النبائث) .

وذكر المُبرّد هذه الحكاية في الكامل في معرِض الكلام عن القضاة .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

يا أشباهَ الرجال ، عقولُ ربّاتِ الحِجال ، واللهِ لقد مَلأْتُم قلبي قيحاً...

عبد الله بن علي
ديجون — فرنسا

★

علي بن أبي طالب

● **الجواب :** هذا القول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قاله في خطبة لجيشه على أثر قتل عاملٍ له هو حسّان بنُ حسان البكري ، وتخاذل جيشُه عن التصدي للقاتل وردّه . فبعد أن حَمِد الله وأثنى عليه قال : « أمّا بعد ، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصةِ أوليائه ، وهو لباسُ التقوى . ألا وإني قد دَعَوْتكم إلى قتال هولاء القوم ليلاً ونهاراً وسِرًّا وإعلاناً ، وقلتُ لكم : أغزوهم قبل أن يَغزوكم ، فواللهِ ما غُزي قومٌ قَطُّ في عُقْرِ دارِهم إلاّ ذلّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، حتى شُنّت الغاراتُ عليكم ومُلِكَت عليكم الأوطان . وهذا أخو غامد ، قد وَرَدَت خيلُه الأنبارَ ، وقد قتل حسّانَ بنَ حسّانَ البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها . ولقد بلغني أنّ

الرجلَ منهم كان يَدخُل على المرأةِ المسلمة والأخرى المعاهَدةِ ، فينتزعُ حِجْلَها وقُلُبَها وقلائدها ورِعاثَها ، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام . ثم انصرفوا وافرين ، ما نال رجلاً منهم كَلْمٌ ، ولا أريق لهم دمٌ . فلو أن امْرءاً مُسلماً مات مِن بَعدِ هذا أسفاً لما كان به ملوماً . فيا عجباً، واللهِ يُميتُ القلبَ ويَجلبُ الهمّ إجماعُ هؤلاء القوم على باطِلِهم ، وتَفرُّقُكم عن حقكم . فقبحاً لكم ، وتَرَحاً ، حين صِرتم غَرضاً يُرْمَى ، يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغْزَوْن ولا تَغزون ، ويُعصَى اللهُ وتَرْضَون . فإذا أمرتكم بالسيرِ إليهم في أيام الحرّ ، قلتم هذه حمارّةُ القيظ ، أمْهِلْنا يُسَبَّخْ عنا الحرُّ ؛ وإذا أمَرتُكُم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صَبارّةُ البرد ، أمهِلنا يَنسَلِخ عنا البرد . كلّ هذا فِراراً من الحرّ والقُرّ ، فأنتم واللهِ من السيف أفَرّ . يا أشباهَ الرجال ولا رجال ، حلومُ الأطفال وعقولُ ربّاتِ الحِجال ، لوَدِدْتُ أني لم أرَكُم ولم أعْرِفكم معرفةً واللهِ جرّت نَدَماً وأعقَبَت سَدَماً . قاتلكم الله ، لقد مَلأتم قلبي قيحاً وشحنتُم صدري غيظاً .. » ثم قال يخاطب قريشاً وقد عيّروه بعدم علمه بالحرب : « للهِ أبوهم ، وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مراساً وأقدمُ فيها مَقاماً مني ، لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين ، وها أنا قد ذَرّفْتُ على الستين ، ولكنه لا رأيَ لمن لا يُطاع » .

وهذه لعلّها من أشهرِ خطبه ، رضي الله عنه . ومن خطبه المشهورة الخطبةُ الشّقْشِقية ، تشتمل على حكم وأنواع بلاغة . سُمّيت بذلك لأنّ ابنَ عباس قال له : لو اطّرَدْتُ مقالتَك من حيثُ أفضيت (أي لو أتبَعتَ بعضَ كلامك بعضاً ماضياً فيه من حيث انتهيتَ إليه) فقال له علي رضي الله عنه : يا ابنَ عباس ، هيهات ، تلك شِقشِقَةٌ هَدَرت ثم قرّت .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي له أكيلاً فإني لست آكِلَه وَحدي

أخاً طارقاً أو جارَ بيتٍ فإنني أخاف ملاماتِ الأحاديثِ مِن بعدي

المدامي الحاج
بلدية أبو الحسن – ولاية الأصنام – الجزائر

★

حاتم الطائي

● **الجواب :** هذان البيتان لحاتم الطائي من أبيات رأيتها في حماسة أبي تمام وغيرها ، والأبيات هي :

أيا ابنةَ عبد الله وابنـــةَ مالك

ويا ابنةَ ذي البُردين والفرس الوَرْدِ

إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي له

أكيلاً فإني لستُ آكِلَه وحـــدي

أخاً طارقاً أو جارَ بيتٍ فإنني
أخاف مَذَمَّاتِ الأحاديثِ من بعدي

وإني لَعبدُ الضيف ما زال ثاوياً
وما فِيَّ إلاَّ تلك مِن شيمةِ العبدِ

ورأيت أنهم نسبوا هذه الأبيات لغير حاتم الطائي . فالعقد الفريد مثلاً ينسبها إلى الفرزدق. وبعضهم عاب الفرزدق على مدحه هذين الشخصين : عبدَالله ومالكاً: ومدحه شخصاً ثالثاً قال عنه إنه ذو بُردين وأنه صاحب فَرَسٍ وَرْد، وليس هذا من المديح في شيء . ولكنَّ أبا عبيدة فَسَّر سببَ هذا المدح ومعناه فقال : إن وفودَ العرب اجتمعت عند النعمان ، فأخرج إليهم بُرْدَيْ مُحَرِّق المشهور بتحريقه مئةَ رجل ، وقال : ليقم أعزُّ العرب قبيلةً فَلْيَلْبَسْهُما ، فقام عامر بن أُحيمِر بن بَهدلة فاتَّزر بأحدهما وتردَّى بالآخر ، فقال النعمان : أنت أعزُّ العرب قبيلةً . فقال عامر : العِزُّ من العرب في معدّ ثم في نزار ثم في مضر ثم في خِندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في عَوف ثم في بهدلة ، فمَن أنكر هذا في العرب فلينافِرْني . فسكت الناس . فقال النعمان : هذه عشيرتُك ، فكيف أنت كما تزعُم في نفسك وفي أهلِ بيتك ؟ فقال : أنا أبو عَشَرة وعمُّ عشرة وخالُ عشرة ، وأمّا أنا في نفسي فهذا شاهدي . ثم وضع قدَمَه في الأرض وقال : مَن أزالها فله مئةٌ من الإبل ، فلم يتعاطَ ذلك أحد . فذهب بالبُردين فسمي بذي البردين . وفيه يقول الفرزدق :

فما تمَّ في سعدٍ ولا آلِ مالك غلامٌ إذا ما قيل لم يَتَبَهْدَلِ
لهم وَهَب النعمانُ بُرْدَيْ محرِّقٍ لمجدِ مَعَدٍّ والعديدِ المُحَصَّلِ

ثم رأيتُ الأبياتَ الأربعةَ في الكامل للمبرد منسوبةً إلى قيس بن عاصم المِنقري . وقوله :

وإني لعبد الضيف ما زال ثاوياً　　وما فِيَّ إلاّ تلك من شيمة العبد

يشبه قولَ المقنّع الكندي :

وإني لَعَبْدُ الضيفِ ما دام نازلاً　　وما شيمةٌ لي غيرُها تُشبه العَبْدا

ورأيت في شرح شواهد المغني أنّ الأبيات ليست لحاتم الطائي وإنما هي لقيس بن عاصم ، ويقول السيوطي في شرح الشواهد : أخبرنا ابنُ دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن جَده قال : تزوج قيسُ بن عاصم المِنقري بنفُوسةَ بنتِ زيدِ الفوارس الضّبّي، وأتته في الليلة الثانية من بِنائه بطعام ، فقال : أين ألَيلى ؟ فلم تعلم ما يُريد ، فأنشأ يقول :

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالكٍ
ويا أبنهَ ذي البُرْدَين والفرَس الوَرْد

إلى آخر الأبيات .

وفي روايةِ السيوطي بيتان لم يذكرهما أبو تمام في حماسته ولا المبرد في كامله وهما :

وكيف يُسيغ المرءُ زاداً وجارُه
خَفيفُ المِعا بادي الخصاصةِ والجُهدِ
ولَلموتُ خيرٌ مِن زيارةِ باخلٍ
يُلاحِظ أطرافَ الأكيل على عَمْدِ

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

طـال ليلي وبِـتّ كالمجنون ... وأعترتني الهمومُ في جَيرونِ

ثم خاصرتُها إلى القبةِ الخضراء ... تمشي في مرمرٍ مَسنونِ

احمد بن حبيب الله

پكيني ـ السنغال

★

عبد الرحمن بن حسّان وأبو دهبل الجُمَحي

● **الجواب :** هذان البيتان من قصيدة منسوبان في الأغاني وفي خزانة الأدب للبغدادي وغيرِهما إلى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، ومنسوبان في الحماسةِ البصرية وعند ثعلب إلى أبي دَهبَل الجُمَحي . واختلف الرواةُ لهذه القصيدة في سبب قولها ، فبعضهم يقول إنّ عبدَ الرحمن بنَ حسّان قالها في رَملةَ أخت معاويةَ بنِ أبي سُفيان ، ويقول البعضُ الآخر مثلَ ذلك ولكن تُنسَب الأبيات إلى أبي دَهبَل الجُمَحي . وفي القصيدةِ وصفٌ للمرأة التي كان فيها التشبيب فهو يقول :

وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّاصِ صيغت مِن جوهرٍ مكنونِ

وإذا ما نَسَبْتَهـا لم تَجِدْها في سَنـاءٍ من المكارم دونِ

ولقد قلتُ إذ تطـاوَل ليلي وتقلّبتُ ليلتي في فُنـــونِ

ليتَ شِعري أمِن هوىً طار نومي أم بَراني ربّي قصيرَ الجفونِ

ثم خاصَرْتُها إلى القبةِ الخضراء تمشي في مرمرٍ مسنـــونِ

وقال عنها في آخر الأبيات :

ثم فارقتُهـــا على خيرٍ ما كان قرينٌ مفارقـــاً لِقَرينِ

وإذا كانت هذه القصيدة لأبي دَهبَل الجُمَحي فإن له أشعاراً تماثل شعرَه هنا ، ومن ذلك قولـه في امرأةٍ من قومه اسمُها عَمرة :

تطاول هذا الليلُ مـــا يَتَبَلَّج وأعيَتْ غواشي الهمّ ما تَتَفرجُ

ويقول فيها :

وإني لمحزونٌ عشيةَ زُرْتُهـا وكنت إذا ما جئتُها لا أُعَرِّجُ

يَجول وشاحاها ويَغْتَصُّ حجلُها ويشبُع منها وَقْفُ عاجٍ ودُمْلُجُ

فلما التقينا لَجْلَجَت في حديثها ومن آيةِ الصدّ الحديثُ المُلَجْلَجُ

وله فيها قولُه :

أليس عظيماً أن نكونَ ببلدةٍ كلانا بهـــا ثاوٍ ولا نتكلّم

والذين يَنسُبون القصيدةَ إلى عبدِ الرحمن بنِ حسان بنِ ثابت ، كصاحب الأغاني ، فإنهم يوردون حكايةً جرت بين معاويةَ بنِ أبي سفيان وابنِه يزيد ، خلاصتُها أن يزيد لمّا سَمِع بالقصيدة وأنها في رملةَ عمّته ، غَضِب ودخل على معاوية وقال : يا أميرَ المؤمنين ، أُقتل عبدَالرحمن بنَ حسان ، فإنه شبَّب بعمتي . فسأل معاوية : وما قال ؟ قال : قال :

طال ليلي وبتُّ كالمحزون ومَلِلْتَ الثَّواء في جَيرونِ

قال معاوية : وما علينا من طولِ ليله ؟ قال : إنه يقول :

فلِذاك اغتربتُ بالشام حتى ظَنّ أهلي مُرَجَّماتِ الظُّنونِ

فقال معاوية : يا بُنَيّ وما علينا مِن ظَنّ أهله ؟ قال : إنه يقول :

هي زهراءُ مِثلُ لؤلؤةِ الغَوّاصِ مِيزَت مِن جَوهرٍ مَسنونِ

قال معاوية : صدَق يا بني . قال : إنه يقول :

وإذا ما نَسَبْتَها لم تَجِدْها في سناءٍ من المكارم دونِ

قال معاوية : صدَق يا بني ، فإنها كذلك . قال : إنه يقول :

ثم خاصَرتُها إلى القبـــة الخضراء تَمشي في مرمرٍ مَسنونِ

قال معاوية : ولا كلُّ هذا يا بُنَيّ ! ثم ضَحِك ، وطلب إلى يزيدٍ أن يُنشِدَه بقيةَ الأبياتِ فأنشده إياها . فقال معاوية : ليس يَجِب القتلُ في مثلِ هذا ، والعقوبةُ دون القتـــل تَغرية ، ولكنّا نكُفُّه بالصلةِ والتجاوزِ عنه .

والحكايةُ ظاهرةُ الصنعة .

ويُشبه هذه الحكايةُ ما رُوي عن الشاعر محمد بن عبدالله بن نُمَير الثقفي حين شبّب بزينبَ بنتِ يوسف أختِ الحجاج وقال فيها :

تَضَوَّع مِسكاً بَطنُ نَعْمانَ أن مَشَت
بـــه زَيْنَبُ في نِسوةٍ عَطِراتِ

فلمّا أُتِيَ به الحجاجُ توعّده الحجاج فقال : واللهِ أيها الأمير ما قلتُ إلا خيراً ، إنما قلت :

يُخَبِّئن أطرافَ البَنـانِ من التقى
ويَخْرُجنَ شَطْرَ الليـل مُعْتَجِراتِ

وسأله عن قوله :

ولمّا رأت رَكْبَ النُمَيْريّ أعـرَضَت
وكُنَّ مِن أَنْ يَلْقَيْنَه حَـــذِراتِ

كم كنتم في هذا الركب ؟ فقال النميري : كنتُ على حمار هزيـل ومعي صاحبٌ لي على أتانٍ مِثله . فضحك الحجاج وعفا عنه . وهذه الحكايةُ أوردها المُبرّد في الكامل . وأما صاحب الأغاني فقال إنّ الشاعرَ النميري هرب من الحجاجِ إلى عبد الملك بنِ مروان في الشام واستجار به فقـال له عبدُالملك : أنشدني ما قلتَ في زينب . فأنشد :

تضوَّعَ مِسكاً بطنُ نعمان إذ مشت
بـــه زينبُ في نِسوةٍ عطراتِ
تهادَيْـنَ ما بين المُحَصَّب مِن منًى
وأقبلنَ لا شُعثاً ولا غَـــبراتِ

مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عشيةً
يُلَبِّــينَ للرحمــن مُعْتَمِراتِ

يُخَبِّئن أطرافَ البنـان من التقى
ويَقْتُلنَ بالألحــاظ مُقتـدِراتِ

ولمّا أنشد البيت :

ولمّا رأت ركبَ النُّمَيريِّ أعرضت
وكُنَّ من أن يَلْقَيْنَه حَذِراتِ

فقال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميري ؟ قال : أربعةُ أحمرة لي كنت أجلِب عليها القَطران ، وثلاثةُ أحمرة صحبتي تحمل الشعير . فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحِكاً ثم قـال له : لقد عظّمتَ أمرَكَ وأمرَ ركبك . وكتب إلى الحجاج أن لا يتعرضَ إليه بسوء . ولكنَّ الحجاج أتى به وأقسم عليه ليُنشِدَنّ ما قال في زينب : فأنشده :

تضوع مسكاً بطنُ نَعمانَ إذ مشت
بـــه زينبٌ في نِسوةٍ عَطِـراتِ

فقال له الحجاج : كذبت والله ما كانت زينب تتعطر إذا خرجت من منزلها. ثم واصل الشاعر إنشادَه حتى بلغ إلى قوله :

ولمّا رأت ركبَ النميريِّ أعرضت
وكُنَّ من أنْ يَلْقَيْنَه حَـــذِراتِ

فقال له الحجاج : حَقٌ لها أن ترتاع لأنها من نسوةٍ خَفِراتٍ صالحات . ثم

واصل إنشادَه حتى بلغ إلى قوله :

مَرَرْنَ بفخٍّ رائحاتٍ عشيةً ... يُلَبِّينَ للرحمن مُعْتَمِراتِ

فقال الحجاج : صَدَقت ، لقد كانت حجّاجة صوّامة .

ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنانِ من التقى
ويَخرُجْنَ جِنْحَ الليل معتجراتِ

فقال الحجاج : صدقت ، هكذا كانت تفعل . ثم عفا الحجاجُ عنه .

والنُّمَيري هو محمد بن عبد الله بن نُمَير نشأ في الطائف حيث نشأ الحجاج، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم وهي أخت الحجاج بن يوسف . وكان يوسف بن الحكم اعتلّ علةً طالت عليه ، فنذرت زينب إن عُوفي أن تمشي إلى بيت اللهِ الحرام . فعوفي يوسف فخرجت في نسوةٍ ، وكانت ثقيلة البدن . فبينا هي تسير إذ لقيها ابراهيم بن عبدالله النميري ، أخو محمد بن عبدالله الشاعر ، منصرفاً من العمرة . فلما قدم الطائف أتى الشاعر مسلّماً عليه ، وقال له : ألكَ علم بزينب ؟ قال : نعم ، لقيتها في بطن نعمان . فقال له ابراهيم : ما أحسبك إلاّ وقد قلت شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشد قصيدة كانت أول ما قاله من الشعر ومطلعها :

تضوع مِسكاً بطنُ نعمانَ إذ مَشَت ... به زينبٌ في نسوةٍ عَطِرات

وقال النميري فيها أيضاً من قصيدة :

فوالله لا أنساكِ زينبُ ما دعت ... مُطَوَّقةٌ ورقاء شجواً على غصن

وفيها له أشعار أخرى . ولمّا توفيت زينت رثاها النميري وقال :

لزينب طيف تعتريني طوارقه ... هُدوءاً إذا النجم ارْجَحَنَّت لواحِقُه
سيبكيكِ مِرنان العَشِيّ يُجيبُه ... لطيفُ بنان الكف دُرْمٌ مَرافِقُه

إلى آخره .

● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

وَزِنِ الكلامَ إذا نَطَقْتَ ولا تكن ثرثارةً في كل وادٍ تخطُب

محمد عبدالسلام الشريف

فزان — الجماهيرية العربية الليبية

★

صالح بن عبدالقدوس

● **الجواب :** هذا البيت لصالح بن عبد القدوس من قصيدته المشهورة المعروفة بالزينبية ، ومطلعها :

صَرَمت حبالَك بعد وَصْلِكَ زينب والدهرُ فيـه تصرّم وتقلّبُ

والقصيدة كـلـُّها في النصيحة .

والمعنى في البيت المسئولِ عنه يحتمل وجهين : الأول أن الإنسان يجب أن لا يكون مكثراً في كلامه لأن من كثرةِ الكلام الخطأ والوقوعَ في الغلط ؛ والوجهُ الثاني أن الإنسان يجب أن يكون حذراً محترساً لا يقول كلامَه إلا

بعد التروي وبعد الوزن . وفي معنى الوجه الأول والثاني قول الخبز أرزي :

إذا ما لسانُ المرء أكثرَ هَذْرَه   فذاك لسانٌ بالبلاء مُوَكَّلُ
إذا شئتَ أن تحيا عزيزاً مُكرَّماً   فَدَبِّر ومَيِّز ما تقولُ وتَفْعَلُ

ورأيت في معجم الأدباء عن تفضيل الصمت خوفاً من الإكثار في الكلام قولَ الفضلِ بن الحُباب الجمحي :

قالوا نَراكَ تُطيل الصمتَ قلتُ لهم
ما طولُ صَمْتِيَ مِن عِيٍّ ومِن خَرَسِ
لكنه أحمدُ الأمرين عاقبةً
عندي وأبعدُه من منطِقٍ شكسِ
أأنْشُر البَزَّ فيمن ليس يَعرفه
أو أنْثُر الدُّرَّ للعُميان في الغَلَسِ
قالوا نراك أديباً ليس ذي خَطَلٍ
فقلتُ : هاتوا أروني وجهَ مُقتبسِ
لو شئتُ قلتُ ولكن لا أرى أحداً
يَرْوي الكلامَ فأُعطيه مدى النفَسِ

وقلة الكلام عادةً دليل على العقل ، ومن ذلك قول طرفة بن العبد :

يَدُلُّ على جهل الفتى فضلُ نُطقه   ونُطقُ أخي العقل الرصين قليلُ
وإنّ لسانَ المرء ما لم يكن له   حصاة على عوراته لدليلُ

ومن ذلك قول أبي نواس في إقلال الكلام حرصاً على السلامة :

خَلِّ جنبيك لرامِ وامْضِ عنه بسلامِ
مُتْ بداء الصمت خيرٌ لكَ من داء الكلامِ
ربمـــا استفتحتَ بالنطـــق مغاليقَ الحِمامِ
إنمـــا السالم من ألجم فـــاه بلجـــام

ومنه قولُ الشَبْراوي :

الصمتُ زينٌ والسكوتُ سلامة فإذا نطقتَ فلا تَكُن مِكثارا
ما إن نَدِمتُ على سكوتي مرةً ولقد نَدِمتُ على الكلام مِرارا

وأمّا الأقوال في الوجه الثاني عن التحفظ في الكلام والاحتراس والتروي فكثيرة ، منها مثلاً قول صالح بن عبد القدوس :

وَزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنمـــا
يبدي عقولَ ذوي العقولِ المَنْطِـقُ

ومنه قولٌ منسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو :

إحفظ لسانكَ أيها الإنسانُ لا يَلْدَغَنَّكَ إنـــه ثُعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تخاف لقاءه الأقرانُ

ويحكى أن الكسائي واليزيدي ، وهما عالمان نحويان ، اجتمعا عند الرشيد

فحضرت صلاة المغرب فتقدّم الكسائي فصلى ، فأرتِج عليه في سورة : قل يا أيها الكافرون . فحضرت صلاة العشاء فتقدم اليزيدي فأرتِج عليه في سورة الفاتحة . فلمّا سلّم قال له الكسائي :

إحفَظ لِسانَكَ أن تقولَ فتُبْتَلَى ... إنّ البــلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

وفي الأخبار أن أولَ من قال : إن البلاءَ مُوَكّلٌ بالمنطق هو أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه .

ويقول الشافعي رضي الله عنه :

قالوا سكتَّ وقد خوصمتَ قلتُ لهم ... إن الجوابَ لبابِ الشَّرّ مِفْتاحُ
والصمتُ عن جاهل أو أحمقٍ شرف ... وفيه أيضاً لصون العِرض إصلاحُ
أمَا تَرَى الأُسْدَ تُخشى وهي صامتة ... والكلبُ يَخشَى لعمري وهو نَبَّاحُ

ويقول الناشىء الأصغر الحلاّء :

إني ليَهجرني الصديــقُ تجنباً ... فأريــه أن لهجره أسبابا
وأخــاف إن عاتبته أغريتُه ... فأرى له ترك العِتاب عتــابا
وإذا بُليتُ بجاهل متغافــل ... يدعو المُحالَ من الأمور صوابا
أوليتُه مني السكوتَ وربّما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

وقال النبي ﷺ : « رحم الله عبداً صمت فسَلِم ، أو قال خيراً فغَنِم » .

● **السؤال :** من القائل :

وليس بنافعٍ ذا البخلِ مالٌ ولا مُزْرٍ بصاحبه السَّخاءُ

وبعضُ الداء مُلْتَمَسٌ شِفاه وداءُ الحُمْق ليس له شِفاءُ

عبد الرحيم صالح عبد السلام
البيضاء – الجماهيرية العربية الليبية

★

قيس بن الخطيم

● **الجواب :** هذان البيتان للشاعر قَيس بن الخطيم ، وعاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم ، وقُتِل قبل الهجرة ، قتله الخزرج أعداءُ الأوس ، وكان قيس من الأوس . ورُوي أنّ قيساً قَدِم على النبيّ ﷺ بمكة ، فعرض النبيُّ عليه الإسلام فقال : إني لأعلم أن الذي تأمرني به خيرٌ ممّا تأمرني به نفسي ، وفيها بقيةٌ من ذاك ، فأذهَبُ فأستمتعُ من النساء والخمر ، وتَقْدَمُ بَلَدَنا فأتبَعُكَ . فقُتِل قبل أن يَتبَعه النبي .

والبيتان المسئولُ عنهما يقعان في مطلع أبيات همزية لقيس بن الخَطيم ،

ويروى البيت الثاني هكذا :

وبعضُ الداء مُلتَمَسٌ شِفاهُ   وداءُ النَّوْك ليس له شِفاءُ

والنَّوْكُ أو النُّوك هو الحُمْق ، فكأنه يريد أن يقول :

لكل داء دواءٌ يُسْتَطَبُّ به   إلاَّ الحماقةَ أعيت مَن يداويها

ويُرْوَى البيتُ أيضاً :

وداءُ الجسم مُلتَمِسٌ شِفاءٌ   وداء النُوكِ ليس له دواءُ

وبقيةُ الأبيات هي :

يوَدُّ المرءُ ما تَعِدُ الليالي   وكان فَناؤهُنّ له فَناءُ

كذاك الدَّهْرُ يَصْرِف حالَتَيه   ويُعْقِبُ طَلْعَةَ الصبح المساءُ

فإن الضغطَ قد يَحْوي وِعاءً   ويَتْرُكُه إذا فَرَغ الوِعاءُ

وما مُلِىءَ الإناءُ وشُدَّ إلاَّ   لِيُخْرِجَ ما به امتلأَ الإناءُ

ولم يذكر له صاحب المفضليات شعراً ، ولكنَّ أبا تمام في حماسته ذكر له أبياتاً منها البيتان المسئول عنهما ، ولكنَّ التبريزي في شرحه يقول إن الأبيات للربيع بن أبي الحُقَيق اليهودي من بني قُرَيْظَة وكان حليفاً للخزرج ضد الأوس. والأبيات التي ذكرها أبو تمام في حماسته مطلعها :

وما بعضُ الإقامة في ديارٍ   يُهانُ بها الفتى إلا بَلاءُ

وبعضُ خلائق الأقوام داءٌ   كداء البطن ليس له دواءُ

ومن أبياتها المشهورة :

وَبَعْضُ القول ليس له عِناجٌ ... كمخضِ الماء ليس له إتاءُ

يُريدُ المرءُ أن يُعطَى مناه ... ويأبى اللهُ إلاّ ما يشاءُ

وكُلُّ شديدةٍ نزلت بقومٍ ... سيأتي بعد شدتها رخاءُ

وأبو تمام يذكر البيتين في آخر الأبيات لا في أولها كما رأيت في ديوانِ لقيس ابن الخطيم . وكثيرٌ من الكتب تروي بيتَ قيس بن الخطيم :

وبعضُ القول ليس له عِناجٌ ... كمخضِ الماءِ ليس له إتاءُ

على هذه الصورة :

وبعضُ القولِ ليس له عِناج ... كمحضِ الماءِ ليس له إناء

وهو غلط .



● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

يَمشي الفقيرُ وكُلُّ شيءٍ ضِدُّه والناسُ تُغلِق دونه أبوابَها

حسب الله محمد علي
الطائف – المملكة العربية السعودية

أحمد محمد أمين
بنغازي – الجماهيرية العربية الليبية

*

العباس بن الأحنف

● **الجواب :** هذا البيت للعباس بن الأحنف من جملة أبيات مشهورة وهي:

يمشي الفقيرُ وكلُّ شيء ضِدُّه والناس تغلق دونه أبوابها

وتراه مَبْغُوضاً وليس بمذنبٍ ويَرَى العداوةَ لا يَرَى أسبابَها

حتى الكلابُ إذا رأت ذا ثروةٍ خَضَعت لديه وحركت أذنابَها

وإذا رأت يوماً فقيراً عابراً نبحتِ عليه وكشّرت أنيابها

وكنت ذكرت في حلقة سابقة شيئاً من مثل هذه الأقوال . ثم رأيت في كتاب المحاسن والأضداد للبيهقي أشياء أخرى في هذا المعنى أضيف منها طرفاً قليلا . من ذلك حكايةٌ عن رجل في الجاهلية تغير عنه بنو عمه وأخواله لمّا افتقر ، فقال لامرأته يشكو حالَه :

دَعِي عنكِ عَذْلي ما مِن العَذْلِ أعْجَبُ
ولا بُدَّ حالٌ بعد حـــالِ تَقَلُّبُ
وكان بنو عمي يقولون مَرْحبـــاً
فلمّا رَأوْني مُقتِراً مات مَرْحَـبُ
كانَّ مُقِلاً حين يَغـــدو لحاجةٍ
إلى كُلِّ مَن يَلْقى من الناسِ مُذْنبُ

وذكر أيضاً أنّ رجلاً من الأغنياء ، مرّ برجل من أهل العلم فتحرّك له ذو العلم وأكرمه ، فقيل له : هل كانت لكَ إليه حاجة ؟ قال : لا ، ولكنْ ذو المالِ مَهيب . وقال في ذلك الشاعر :

أرَى كُلَّ ذي مـالٍ يُجَلُّ لِماله ... ومَن ليس ذا مالٍ يُهان ويُحقَرُ
ويَخـذُله الإخوانُ إنْ قلَّ مالُـه ... وليس بمَحْبوبٍ ، بَلَى هو يُهْجَرُ

وذَكـَر أشياء أخرى ، وأشعاراً منها :

إذا قَلَّ مـالُ المرء قَلَّ حياؤه
وضاقت عليـــه أرْضُه وسَماؤه
وحارَ ولا يَدْري وإن كان حازماً
أقُدّامُـه خـــيرٌ له أم وراؤه

إذا قل مـالُ المرء قَلَّ حيـاؤه
ولا خيرَ في وجهٍ يَقِل حياؤه

ومنها :

إذا كان جَدُّ المرء في الشيء مُقْبلاً
تَأَتَّـت له الأشياءُ مِن كُلِّ جـانبِ
وإن أَدْبَـرَت دُنياه عنه تَوَعَّـرَت
عليه وأعْـيَتْه وُجوه المطــالبِ
وإن قَلَّ مـالُ المرء أقصـاه أهلُه
وأعْـرَض عنه كُلُّ إلْـفٍ وصاحبِ
وكَذَّبــه الأقوامُ في كُلِّ مَنْطِقٍ
وإن كان فيه صادقـاً غيرَ كاذبِ

إلى آخره .

ويقول أحمد بن طاهر :

ولا يساوي درهماً واحداً مَن ليس في منزله درهم

وقيل لبعض العقلاء : كم لك من صديق ؟ فقال : لا أعلم ذلك ، لأن الدنيا مُقبلة عليّ والأموال موجودة لدي . وإنما أعرف ذلك إذا ولّـت ، كما قال طُـرَيح الثقفي :

النـاسُ أعداءٌ لكل مُدقِــع صِفرِ اليدين وإخوة للمكثِر

● **السؤال :** من قائل هذا البيت وفي أي مناسبة :

وقد أتناسى الهَمَّ عند احتضاره   بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

الناجي محمد أبو بكر
كلية الشريعة – البيضاء – الجماهيرية العربية الليبية

*

المتلمس

● **الجواب :** هذا البيت منسوبٌ إلى الشاعر الجاهلي المتلمِّس ، وقال صاحب الأغاني : زَعَموا أن المتلمس وقف ذاتَ يومٍ على مجلسٍ لبني قيس بن ثعلبة ، وطَرَفَةُ بن العبدِ يلعب مع الغلمانِ يستمعون ، فزَعموا أن المتلمسَ أنشد هذا البيت :

وقد أتناسى الهَمَّ عند احتضاره   بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

والصَّيْعَرِيَّة فيما يَزعُمون سمةٌ تُوسَمُ بها النوقُ باليمن دون الجمال ، فقال طَرَفة : اِسْتَنْوَق الجمل ، فأرسلها مثلاً . فضَحِكَ القومُ ، فَغَضِب المتلمس

ونظر إلى لسانِ طَرَفة وقال : ويلٌ لهذا من هذا ، أي وَيْلٌ لِرأسِه من لِسانه . والمعروف عن طرفة أنه قُتِل بسبب هِجائِه عَمْرَو بنَ هند وأخاه قابوساً .

وذكر صاحبُ الأغاني أيضاً أنّ طرفةَ ، وهو غلامٌ ، عاب على المُسَيَّبِ ابنِ عَلَس الشاعرِ بيتاً قاله في قصيدته وهو قولُه :

وقد أتناسى الهَمَّ عند احتضارِهِ بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

والصَّيْعَرية سِمَةٌ تكون على الإناثِ خاصة ، ومُكْدَم غليظ . ومع البيت بيتان آخران هما :

كُمَيْتٍ كِنازِ اللحم أو حِمْيَرِيَّةٍ مُواشِكَةٍ تَنْفي الحَصا بِمُلَثَّمِ

كأنَّ على أنسائِه عِذْقَ خَصْبَةٍ تَدَلَّى مِن الكافور غيرَ مُكَمَّمِ

كِنازِ اللحم = مُكْتَنِزِ اللحم ؛ مُواشِكة : سريعة ؛ وخُفٌّ مُلَثَّم قد لَثَمته الحجارة وآذَته . وشَبَّه حُصْلُبَ ذَنَبه أي شَعْرَ ذنبه بعُنقودِ النخلة ، والعِذْق هو العنقود والخَصْبَة هي الدَّقْلَة أو النخلة الكثيرةُ الحَمْل ؛ غير مُكَمَّم : غير مُغَطّى .

فقال طَرَفة عند سماعه هذا الشعر من المُسَيَّب بنِ عَلَس : استنوق الجمل ، أي إنّ هذه السِّمَة لا تكون إلاّ على الناقة ، فكيف يَدَّعي بأنها على حِصانٍ .

وقد وَجَدْتُ في القاموس أن الأعشى هو الذي يقول :

كأنَّ على أنسائِها عِذْقَ خَصْبَةٍ تَدَلَّى من الكافور غيرَ مُكَمَّمِ

ويظهر من الكلامِ السابق أن البيتَ المسئولَ عنه منسوبٌ إلى المتلمّس وإلى المسيَّب بنِ علس . أمّا بيتُ الأعشى فهو من قصيدة له ، يَصِف فيها ناقتَه . والتشابه بين البيتِ المسئولِ عنه وبيتِ الأعشى شيءٌ يكثر ورودُه في الشعر الجاهلي . وسأذكر الآن أبياتاً من الشعرِ الجاهلي تبدأ كلها بعبارة : وقد أتناسى الهَمَّ عند احتضارِه أو بما هو قريبٌ من ذلك. فهذا عَبيد بنُ الأبرص يقول :

وقد أُسَلِّي هُمومي حين تَحْضُرني ... بِجَسْرَةٍ كَعَلاةِ القَيْنِ شِمْلالِ

والجَسْرَة هي الناقة القوية .

ويقول الأعشى ميمونُ بن قيس :

وقد أُسَلِّي الهَمَّ حين اعترى ... بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عاقِرِ

ويقول الأعشى أيضاً :

فَدَعها وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بجَسْرَةٍ ... تَزَيَّدُ في فضلِ الزِمام وتَغتَلي

ويقول لبيد بن ربيعة :

وكنتُ إذا الهمومُ تَحَضَّرَتْني ... وضَنَّتْ خُلَّةٌ بعد الوِصالِ

صَرَمتُ حِبالَها وصَدَدْتُ عنها ... بناجِيَةٍ تَجِلُّ عن الكَلالِ

ويقول امرؤ القيس :

فَدَعْ ذا وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِجَسْرَةٍ

ذَمُولٍ إذا صام النهارُ وهَجَّرا

ويقول أيضاً :

فَهَل تُسْلِيَنَّ الهَمَّ عنكَ شِمِلَّةٌ   مُداخَلةٌ صُمُّ العِظام أُصوصُ

والشِّمِلَّة الناقة السريعة الخفيفة .

ويقول النابغة الذبياني :

فَسَلَّيْتُ ما عِنْدي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ
تَخُبُّ بِرَحْلي تارةً وتُناقِلُ

ويقول طرفة بن العبد :

وإني لَأُمضي الهَمَّ عند احتضارِه
بِعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَرُوح وتَغْتَدِي



● **السؤال** : من القائل وفي أي مناسبة :

ومنا الذي أحيا الوئيدَ وغالبٌ وعَمْرٌو ومنا حاجِبٌ والأقارع

عبدالله الشريف مصطفى
زالنجي – السودان

★

الفرزدق

● **الجواب** : هذا البيت للشاعر الأموي الفرزدق من قصيدةٍ يفتخر فيها على الشاعر جرير وأولُها :

مِنا الذي اختير الرجالُ سماحةً وخيراً إذا هبّ الرياحُ الزّعازعُ

ويُعَدّدُ الفرزدقُ آباءَه وأجدادَه أصحابَ المكارم والفعال الحميدة ، ويُعَدّدُ مكارِمَهم وفعالهم ، ثم يقول يخاطب جريراً :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جَمَعَتنا يا جريرُ المَجامِعُ

والبيتُ المسئولُ عنه هو من جملةِ الأبيات التي يُعَدّد الفرزدقُ فيها

مَفاخِرَه والذي أحيا الوئيدَ هو صَعْصَعةُ جَدُّ الفرزدق ، وغالبٌ أبوه . وصَعْصَعةُ أولُ مَن تَرك وأْدَ البنات وفَداهُنّ بمالِه، وكفّ كثيرٍ من العربِ عن وَأْدِهِنّ من بعد . وفي هذا يقول الفرزدق :

وَمِنّا الذي مَنَع الوائداتِ وأحيـا الوئيدَ فلم تُوءَدِ

وكان غالبٌ أبوه جَواداً شريفاً ، وكان الناسُ يَعوذون بِقَبْرِه يَحْتَمون به فلا يَصِلُهم أذى . وفي ذلك يقول الفرزدق عن عجوزٍ عاذت بقبر أبيه خوفاً :

عَجُوزٌ تُصَلِّي الخمسَ عاذت بغالبٍ فلا والذي عاذَت به لا أَضِيرُها

ومن ذلك أيضاً قولُ مُكاتَبٍ لبني مِنْقَر :

بِقَبْرِ ابنِ لَيْلى غالبٍ عُذْتُ بَعْدَما
خَشِيتُ الرَّدَى أو أن أُرَدَّ على قَسْرِ
بِقَبْرِ امرىءٍ تُقري المِئِينَ عِظامُه
ولم يَكُ إلاّ غالِباً مَيِّتٌ يَقْري

وكتب الفرزدق إلى تميمِ بنِ زيدٍ في عجوز عاذت بقبر أبيه غالب :

تميمَ بنَ زيدٍ لا تَكونَنَّ حاجتي بِظَهْرٍ فلا يَعْيا عليَّ جوابُها
أَتَتْني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحُفْرةِ السافي عليها تُرابُها

وفي القصيدةِ التي منها البيتُ المسئولُ أبياتٌ مشهورة . ومنها :

فَيا عَجَباً حتى كُلَيْبٌ تَسُبُّني كأن أباها نَهْشَلٌ أو مُجاشِعُ

وبنو نَهْشل هم بنو عمومة الفرزدق ، ورهطُ الفرزدق بنو مُجاشِع .
ويقول عنها في بيت آخرَ له مخاطباً جريراً :

بيتاً زُرارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِه وَمُجاشِعٌ وأبو الفوارِسِ نَهْشَلُ

وكذلك قولُه من قصيدة :

أبي الشيخُ ذو النسلِ الكثيرِ مُجاشِعٌ
نَمــاني وعبدُ الله عَمّي ونَهْشَلُ

وجاء ذِكْرُ الموؤدة في القرآن الكريم : « وإذا الموؤدةُ سُئِلَت بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَت » . والمَوؤدةُ هي التي تُدْفَن حَيَّةً حتى تموت ، وكانوا يَقتلون البناتِ على هذه الطريقة . وجاء أنَّ قيسَ بنَ عاصمٍ المِنْقَري وَفَد على النبيِّ ﷺ فقال له بعضُ الأنصار عن وأده للبنات فقال قيس : ما وُلِدَت لي بِنتٌ إلاّ وَأَدْتُها ، وما رَحِمْتُ منها إلاّ واحدة وَلَدَتْها أمُّها وأنا في سفر ، فَدَفَعتْها أمُّها إلى أخوالها وقالت إنها وَلَدَت مَيْتاً . ثم مَضَت سنون حتى تَرَعْرَعت البنتُ وزارت أُمَّها ذاتَ يومٍ ، فدَخَلتُ ورأيتُ الصبيةَ فأعْجَبَني حُسنُها ، وقلتُ : مَن هذه الصبية ؟ فقالت أُمُّها : هذه ابنَتُك ، أخفيتُها وقلت إنني وَلدتُ ميتاً . فأمسكتُ عنها حتى اشتَغَلَتْ أُمُّها يوماً ، فأخرَجْتُ البنتَ وحَفَرتُ حُفرةً فجعلتُها فيها وهي تقول : يا أبتِ ، أتُغَطّيني بالتراب ؟! حتى واريتُها وانقطع صوتُها ، فما رَحِمْتُ واحِدَةً ممَّن وأدتُ من البناتِ غيرَها . فدَمَعَت عينا النبي وقال : إنَّ مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَم . وقيل إن قيساً هذا وَأد بيده بِضْعَ عَشرةَ ابنة . ويقال إن الوأدَ كان شائعاً في قبائلِ العرب قاطبةً حتى جاء الإسلامُ وقد قَلَّ إلاّ في تميم . وقيل إن الوأدَ كان في تميم وقيس وبكر وهَوازن وأسَد . وفي القرآنِ الكريمِ قولُه تعالى : « ولا تقتلوا أولادَكم خَشْيَةَ إملاق » .

● السؤال : من القائل وفي أي مناسبة :

ويومَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتي

أحمد الكراي
صفاقس – تونس

★

امرؤ القيس

● الجواب : هذه الشطرة من بيت للشاعر الجاهلي امرىء القيس من معلقته المشهورة التي مطلعها :

قِفا نبكِ مِن ذِكْرىٰ حبيبٍ ومَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوىٰ بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

والبيت بكامله :

ويومَ عَقَرْتُ للْعَذارىٰ مَطِيَّتي فَيا عَجَباً مِن كُورِها المُتَحَمَّلِ

والبدء بكلمة (يوم) أو يوماً أو (رُبَّ يومٍ) عـادةٌ شعريةٌ متبعة في

الشعر الجاهلي خاصة ، ومثلُ ذلك في شعر امرىء القيس قولُه من المعلقة :

ويومَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فقالت : لك الويلاتُ إنكَ مُرْجِلي

وقولُه :

ألاَ رُبَّ يومٍ لكَ مِنْهُنَّ صالحٍ ولا سِيَّما يومٍ بِدارَةِ جُلْجُلِ

وقولُه :

ويوماً على ظهر الكثيب تَعَذَّرت عليَّ وآلت حَلْفةً لم تَحَلَّلِ

وقولُه من غير المعلقة :

ويا رُبَّ يومٍ قد لَهَوْتُ وليلةٍ بآنِسَةٍ كأنَّها خطُّ تِمْثالِ

وقولُه :

فيوماً على سِرْبٍ نَقِيٍّ جُلودُه ويوماً على بَيْدانةٍ أُمِّ تَوْلَبِ

وقولُه :

ألاَ رُبَّ يومٍ صالحٍ قد شَهِدْتُه
بِتاذِفَ ذاتِ التَّلِّ مِن فَوقِ طَرْطَرا

وقولُه :

ويا رُبَّ يومٍ قد أروح مُرَجَّلاً حبيباً إلى البيضِ الكَواعِبِ أمْلَسا

ولم أجِد في شعر النابغة الذبياني بيتاً واحداً يبدأ هذه البداية ، ولا في شعر زهير بن أبي سُلْمى . ويقول طَرَفةُ بنُ العبد :

ألاَ رُبَّ يومٍ لو سَقِمْتُ لَعادَني ... نِساءٌ كِرامٌ من حُيَيٍّ ومالكِ

وهو البيتُ الأوْحَد من هذه الصيغة الذي رأيتُه في شعر طَرَفة المختار .
ولم أجِدْه في المختار من شِعر عَنْتَرَة .

ومما يُذكر بمناسبة هذا البيت لامرىء القيس ما ذكره الفرزدق من أنه كان بالبصرة ، فخرج إلى المِرْبَد ، فرأى آثارَ دَوابٍّ قد خرجت إلى البَرِّيَّة ، فاتبع آثارها حتى انتهى إلى غدير ، فإذا نِسوةٌ مُستَنقِعاتٌ في الماء ، فقال : لم أرَ كاليوم قط ، ولا يومَ دارةِ جُلجل ، ثم انصرف مُسْتَحيِياً . فنادينَه : يا صاحبَ البغلة ، ارْجع ! فَرَجَع . فقُلْنَ له : بالله لَمّا أخبَرْتنا ما كان حديثُ دارةِ جُلْجُل ؟ قال الفرزدق : حَدَّثني جَدي وأنا غلام أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنةِ عَمٍّ له يقال لها عُنَيزة ، حتى كان يومُ الغدير وهو يوم دارةِ جُلجل ، فإن الحيَّ احتملوا ، وتَقَدَّم الرجالُ وتخلفت النساء ، فتخلَّف امرؤ القيس ، وكمن في غَيابَةٍ من الأرض ، حتى مَرَّت به النساء ومعهن عنيزة ، فلمّا وردن الغدير ، نزلن فيه . فأتاهن امرؤ القيس ، وأخذ ثيابَهن ، وقال والله لا أعطي جاريةً منكن ثوبهـا حتى تخرج متجردة . فخرجنَ عاريات ، ثم خرَجت عنيزة عارية فقام ونحر ناقته وأطعمهن ولمّا ارتحلنَ حملته عنيزةُ على غارب بعيرها . وفي ذلك اليوم يقول :

ويومَ عقَرْتُ للعذارى مَطِيَّتي ... فيا عَجَباً مِن رَحْلها المُتَحمَّل



● **السؤال :** من قائل هذا البيت وما المناسبة :

أيا مَعْشَرَ العُشّاقِ باللهِ خبّروا   إذا اشتد عِشْقٌ بالفتى كيف يصنعُ

انيس العفيفي
من الناصرة

★

حكاية عن الأصمعي

● **الجواب :** هذا البيت يتكرر السؤال عنه كثيراً من حضرات السائلين، وكنت أجبتُ عنه غيرَ مرة بروايات مختلفة ، فلا أُريد إعادتها . ولكنني سأورد أشياءَ من هذا القبيل لا تخلو من مُتعةٍ وطرافة . فقد رأيتُ في شرحٍ مطبوعٍ للقصيدة الزينبية أن أحدَهم سأل عن المُحِب إذا تَحقّق هلاكَ نفسه إن لم يُقبّل مَحبوبَه ، هل يُباح له تقبيلُه أم لا . وكان الجواب « نعم » في رأي شارحِ القصيدة ، وأورد شاهداً على ذلك قولُ ابنِ حَجَر الحافظ حين سُئل :

ماذا يقول إمامُ العَصْرِ في دَنِفٍ
أَضحَى قَتيلَ الهوى مِن أَسْهُم المُقَلِ

فهل يَجوز له إحيـاء مُهجته
مِن ثَغرِ محبوبه بالرَّشفِ والقُبَلِ
وهـل يَجوز له يوماً يُعانِقُه
ويَشتفي القلبُ من قولٍ وفي عمَلِ
فهذه قِصّتي في شَرحِها عَجَبٌ
فاسمح بِردٍّ جوابٍ يا مُنى أمَلي

فأجاب الحافظ ابن حَجَر :

إن صحَّ دعواهُ في إتلافِ مُهجَته
وأنَّ رَشفَ اللَّمَى يُبري من العِلَلِ
فَليَرشُفَنَّ رُضابَ الثغرِ مُحتَسِباً
ولْيَقطُفَنَّ بِفِيه وَردَةَ الخَجَلِ
فذاكَ في مِلّةِ الإسلامِ أَيسَرُ مِن
قَتلِ امرِىءٍ مُؤمنٍ باللهِ في الأَزَلِ

وسأل بعضُهم أحدَ العلماء وقال :

ماذا تَقولُ السادةُ أهلُ العُلاَ   في رجلٍ بِعِشقِه قد ابْتَلَى
وكان قد آلى على نفسه   لا يَشرَبُ الصهباء إلاّ على
وَرْدِ أغصانِ قامةٍ مَيس   ومـا عليه رُخصُه أو غَلا
فالآن لا وَرْدٌ ولا وَقْتُه   ولا له صبرٌ بان يُمهَلا

أفتوا الذي قد جاء يا سيدي فإنه قد جاء مُستَعجِلا

فأجاب ذلك العالِم وقال :

إن كان عَزَّ الوردُ يا سيدي فَكُن لورد الخد مُستَقبِلا

وأشرَب مع المحبوبِ في روضةٍ وأمزُج من الخُرطوم ما قد حَلا

هـذا جوابي لك يا سائلاً يا ذا الذي قد جاء مُستعجِلا

وسأل آخر :

ما قولُكَ يا فَقيهُ في فَتواكَ عَجِّل بالكلامْ

مَن يَبِتْ معانِقاً لمن يهواه في جِنحِ ظَلامْ

هـل إذا قَبّل فـاه مُفطِرٌ أم هُوَ صـامْ

فأجاب المسئول :

يا سائلَ الفقيه عن فتواه فالشرع فَسيحْ

أصغِ للقولِ وخـذ معناه فالقولُ صَريحْ

مَن يَبِت مُعانِقاً لمـن يهواه إن كان مليحْ

هو لا يُفطِر بالتقبيل وكذا الصومُ صحيحْ

ومن المذكور عن الشافعي أنه سُئِل يوماً كما في معجم الأدباء لياقوت :

سَلِ المُفتي المَكّيَّ هل في تزاورٍ ونَظرةِ مُشتاقِ الفؤادِ جُناحُ

فأجاب الشافعي أو يُرْوَى عنه :

فقال معاذَ اللهِ أن يُذهِبَ التقى تَلاصُقُ أكبادٍ بِهِنّ جِراحُ

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

أجارَتنا إن الخطوبَ تَنوبُ وإني مُقيمٌ ما أقـــام عَسيبُ
أجارَتنا إنا غريبـان ها هنا وكل غريب للغريب نَسيبُ

علي عبده موسى الجابري اليمني
من البيضاء في اليمن
ومقيم في الطائف في المملكة العربية السعودية

★

١) امرؤ القيس ٢) صخر بن عمرو بن الشريد
٣) ابن ميادة

● **الجواب :** هذان البيتان مع بعض التغيير هنا وهنا يتنازعها ثلاثة شعراء . أولهما امرؤ القيس قالهما حين حضرته الوفــاة ، والروايةُ عنه أنه رأى قبراً لامرأةٍ من بناتِ ملوكِ الروم هَلكت بأنقره ، فسأل عن صاحبِ القبر ، فخُبِّر بخبرها فقال :

أجارتنـــا إن المزارَ قريبُ وإني مُقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ

أجارتَنا إنا غريبانِ ها هنـا وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

والشاعِرُ الثـاني هو صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء ؛ والحكايةُ عنه أنه كان قد أصيب بجرح مميت في إحدى المواقع وطال به الضّنَى ، ونتأ من الجرح شيءٌ كاليد ، فعزم على قطع هــذا الشيء ، فلمّا قطعه يَئِس من نفسِه فقال :

أجارتَنـــا إن الخُطوبَ قريبُ على الناس كُلَّ المُخْطِئين تُصيبُ

أجارتَنا إنا غريبان هـــا هُنا وكُلُّ غريب للغريبِ نَسيب

والشاعِرُ الثالث هو ابن ميادة الرّمّاح بنُ مالكٍ القيسي فقد جاء في كتاب تزيين الأسواقِ عن أبي الفرج الأصفهاني عن زيادِ بنِ غَـطَـفان أنّ الرّماحَ بنَ مالكٍ المذكور عَلِق امرأةً يقال لها : أمُّ جَحْدَر واتصل بها مدةً ثم ارتحلت مع قومها . فبحث عنها الرماح حتى وجدها في بيتٍ لها ، فقامت للقائه وسَمِعت في تلك اللحظة غراباً يَنْعَق فـتَـغَـيَّر وَجْهُها ، وقالت إن الغرابَ يُخْبِـر أنْ لا اجتماعَ لهما بعدئذٍ . ففارقها ، وفي الصباح أخبرته امرأةُ أخيها أنّ رجلاً شاميًّا خطبها إلى أهلها ، وتزوجها ورحل بها . فكان الرّمّاح يتردد على مكان بيتِها أياماً ، ثم وقف هناك يوماً وأنشد :

أجارتَنا إن الخطوبَ تَنوبُ عليَّ وبعضَ الآمنين تُصيبُ

أجارتَنا لستُ الغداةَ ببـــارحٍ ولكنْ مُقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ

فإن تسأليني هل صَبَرْتُ فإنني صَبورٌ على ريبِ الزمانِ صليبُ

جَرَى بأنبتاتِ الحبلِ من أم جحدر ... ظِباءٌ وطيرٌ بالفراق نَعوبُ

إلى آخره .

ويحكى أنّ مجنون ليلى كان يزور امرأةً من حَرِيش يستخبرها عن ليلى ، فبلغ ذلك أهلَها فمنعوه من زيارتها ، فقال متمثلاً ببيت امرىء القيس :

أجارتَنا إنا غريبان ها هنا ... وكُلُّ غريب للغـريب نَسيبُ

فلا تَزْجُـريني عنك خِيفةَ كاشحٍ ... إذا قال شرًّا أو أُخِيف لبيبُ

وابن مَيّادة عُرِف بأمّه ميادة وكانت غير حُرّة ، ومع ذلك فقد كان يفتخر بها ، وقال عنها :

ترفعني أمـــي وينميني أبي ... فوق السحاب ودُونَ الكوكب

وقال في أمّ جحدر لمّا خرج بها زوجها إلى بلاده :

ألا ليتَ شِعري هل إلى أم جحدر ... سبيل ، فأما الصبرُ عنها فلا صبرا

إذا نزلت بُصْرَى تراخى مزارُها ... وأغلق بوّابان مِن دونها قصْرا

فلو كان نذر مُدنياً أمّ جعفر ... إليّ لقد أوجبتِ في عُنُقي نَذْرا

ألا لا تَلُطي السترَ يا أمّ جحدر ... كفى بذرى الأعلام من دوننا سترا

ومن شعره فيها ، وقد ذكرنا بعض أبياته ، قوله أيضاً :

أجارتنا صبراً فيا رُبَّ هالكٍ ... تقطّع من وجدٍ عليه قلوب

وقد سرق ابنُ ميادة البيتين المسؤول عنهما من امرىء القيس ، كما قال صاحب الأغاني .

● **السؤال :** من القائل وما المناسبة :

نَظَرت إليك بحاجةٍ لم تَقْضِها   نَظَر السقيم إلى وُجوهِ العُوَّدِ

محمود الأسمر
سِندل فِنكَن – ألمانيا الغربية

★

النابغة الذبياني

● **الجواب :** هذا البيت للنابغة الذبياني من قصيدةٍ له معروفة مطلعها :

مِن آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغتدِي   عَجْلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ

ويقول أبو عبيدة وغيرُه إنّ النابغة كان خاصاً بالنُعمان ، وكان من ندمائه وأهلِ أُنسه ، فرأى زوجتَه المتجردة يوماً فسقط نصيفُها فاستترت بيديها وذراعِها ، فكادت ذراعُها تستر وجهَها لِعَبالَتها وغِلَظها ، فقال النابغة هذه القصيدة ومنها :

زَعَم البوارحُ أنّ رِحْلَتَنا غداً   وبذاك تَنْعابُ الغُرابِ الأسودِ

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بـــه إن كان تفريقُ الأحبةِ في غدِ

ثم يقول :

سَقَط النصيفُ ولم تُرِدِ إسقاطَه فتناولتـــه واتّقَتْنا باليـــدِ

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأن بَنانَه عَنَمٌ على أغصانـــه لم يُعْقَدِ

وبفاحِمٍ جَثْلٍ أثيثٍ نبتُه كالكَرْمِ مال على الدّعام المُسْنِدِ

نَظَرَتْ إليكَ لحاجةٍ لم تَقضِها نَظَرَ السقيمِ إلى وُجوهِ العُوّدِ

وأمّا قولُه سقط النصيفُ فيُرْوَى أنّ عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أتعلمون أن النابغةَ كان مُخَنّثاً ؟ قالوا : وكيف ذلك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : أو ما سمعتم قوله :

سَقَط النصيفُ ولم تُرِدِ إسقاطه

واللهِ ما عَرفَ هذه الإشارة إلاّ مُخَنّث. وقد أخذ هذا المعنى من النابغة أبو حَيّة النميري فقال :

فألْقَت قِناعاً دونه الشمسُ واتّقَت

بأحْسَنِ موصولَيْن كفّا ومِعْصَما

ثم أخذه الشّمّاخ فقال :

إذا مرّ من تخشى اتّقَتْه بِكَفّها وسِبٍّ بنَضحِ الزّعفرانِ مُضَرّجِ

وأظرفُ ما يُعْرَف في هذا المعنى قولُ القاضي التنوخي :

لم أنسَ شمسَ الضحى تُطالِعُني ونحن في روضةٍ على فَرَقِ
وجَفْنُ عيني بمائِهِ شَرِقٌ وقد بَدَت في مُعَصْفَرٍ شَرِقِ
كأنَّه دمعتي ووَجْنَتُها حين رَمَتنا العُيونُ بالحَدَقِ
ثم تَغَطَّت بكُمِّها خَجَلاً كالشمسِ غابت في حُمْرَةِ الشفقِ

أمّا كلامه عن مرض الجفون، فقد ذكرنا منه شيئاً كثيراً في مناسبةٍ سابقة ولكنّ الشعراءَ يستحسنون في هذا الباب قول عدي بن الرّقاع العاملي :

وكأنّها بين النساء أعارها عينيه أحورُ من جآذر جاسم
وسْنانُ أقصده النعاسُ فرنَّقَت في عينه سِنَةٌ وليس بنائم

ومما هو قريب من ذلك قول صاعد اللغوي عن الحسناء تغطي وجهها خجلاً :

أتتك أبا عامر وردةٌ يذكّرك المسكُ أنفاسَها
كعذراءَ أبصرها مُبْصِر فغطت باكامها رأسَها

أما أبو نواس فإن الحسناء عنده غطت جسمها بشعرها ، فهو يقول :

نفت عنها القميصَ لصب ماءٍ فورَّد وجهها فرطُ الحياء
فلمّا أن قضت وَطراً وهمَّت على عَجَلٍ إلى أخذِ الرداء
رأت شخص الرقيب على التداني فاسبلت الظلامَ على الضياء

● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

وما ذنبُ أعرابيةٍ قَذَفت بها   صروفُ النوى من حيث لم تكُ ظَنَّتِ

عبد الكريم درويش
مستغانم - الجزائر

★

أعرابية

● **الجواب :** هذا بيتٌ من أبياتٍ تقولها أعرابيةٌ مجهولة الاسم ، وفي الأبيات تبديل وتغيير. وقد وجدتُ نقلاً عن محاضرات الأبرار أن أحدَ خلفاء بني العباس تزوج أعرابية وعاشت في المدن معه في راحة ونعيم ، ولكنها ظلت تشتاق إلى وطنها وإلى البراري وأحاليبِ الرّعاء . فبنى لها قصراً على رأس البرية بشاطىء الدجلة وأمر بالأغنام والرُّعيان أن تَسرَحَ أمامها وهي تنظر ؛ فلم يزدها ذلك إلاّ شوقاً. ثم مرّ بها يوماً وهي قاعدة من حيث لا تشعر بمكانه ، فسمعها تبكي وتقول هذه الأبيات :

وما ذَنبُ أعرابيةٍ قَذَفت بها   صروفُ النوى من حيث لم تَكُ ظَنَّتِ

تمنّت أحاليبَ الرِعاء وخيمةً   بنجدٍ فلم يُقضَ لها ما تمنّتِ

إذا ذَكرت ماءَ العُذَيبِ وطيبَه وبَرْدَ حصاه آخِرَ الليل أنَّتِ

لهــا أنَّةٌ عند العِشاء وأنّة سُحيراً ولولا أنَّتاهــا لَجُنَّتِ

ويقال إن الخليفةَ أعادها إلى أهلها . وتشبه هذه الحكايةُ حكايةَ مَيسون البجدلية زوجة معاوية وأمّ ابنه يزيد .

وأكثرَ الشعراء من الحنين إلى الوطن . وأكتفي هنا بذكر بعض الأبيات ليحيى بن أبي طالب كما أوردها القالي في أماليه :

أيا أثَلاتِ القاع مِن بَطن تُوضحِ حَنيني إلى أطْلالِكُنّ طَويـلُ

ويا أثَلاتِ القاع قد مَلّ صُحبتي مَسيري فهل في ظِلّكُنّ مَقيلُ

ويا أثَلاتِ القاعِ قلبي مُوكّلٌ بِـكُنّ وجَدْوَى خيرِكُنّ قليلُ

ألاَ هل إلى شَمّ الخزامَى ونظرةٍ إلى قَرْقَرَى قبـل المماتِ سَبيلُ

فأشربَ مِن ماءِ الحُجَيلاءِ شَربةً يُداوَى بها قبــل المماتِ غليلُ

أُحدِّثُ عنكِ النفسَ أن لستُ راجعاً إليكِ فحزني في الفؤادِ دَخيلُ

وما أشبهها بحكايةِ امرأةٍ ضَبّية تُسمى حسّانة قَعدت على بركةٍ في روضة بين الرياحين والأزهار في ألطفِ وقتٍ ، فقيل لها : كيف حالُكِ هنا ، أليسَ هذا أطيبَ مما كنتِ فيه في البادية ؟ فأطرقت قليلاً ثم تنفست وقالت :

أقولُ لأدنى صــاحبيّ أُسِرُّه ولِلْعينِ دمعٌ يَحدر الكحل ساكبُهْ

لَعَمري لنهرٌ باللّوَى نازحُ القذى بعيدُ النواحي غيرُ طَرْق مَشاربُهْ

أَحبُّ إلينا مِن صَهاريجَ مُلئت ... لِلعبِ ، ولم تملُحْ لديَّ مَلاعبُهْ

فيا حبّذا نجدٌ وطيبُ ترابه ... إذا هَضَبتْهِ بالعَشيِّ هواضِبُـهْ

وريحُ صَبا نجدٍ إذا ما تنسمت ... ضُحىً أو سَرَتْ جُنحَ الظلام جنائبُهْ

وأقسِمُ لا أنساه ما دمتُ حيةً ... وما دام ليلٌ مِن نهارٍ يُعاقِبُـهْ

وفي زهر الآداب للحصري القيرواني حكايةٌ عن الأبيات المسئول عنها ، وهي أن أبا الحسن جحظة البرمكي قال يوماً لخالدٍ الكاتب : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحتُ أرقَّ الناس شعراً . قال جحظة : أتعرف قولَ الأعرابي :

فما وَجْـدُ أعرابيةٍ قذفت بها ... صروفُ الليالي حيث لم تكُ ظَنَّتِ

تمنّت أحاليبَ الرِعاءِ وخيمةً ... بنجدٍ فلم يُقْدَر لها ما تمنّتِ

إذا ذَكَرت ماءَ العِضاهِ وطيبَه ... وريحَ الصَّبا مِن نحوِ جندٍ أرَنّـتِ

بأعظمَ مِن وَجدٍ بليلى وَجَدْتُـه ... غداةَ غدونا غَدْوةً وأطمأنّـتِ

وكانت رياحٌ تحمل الحاجَ بيننا ... فقد بَخِـلت تلك الرياحُ وضنّتِ

فصاح خالدٌ وقال : ويلكَ يا جحظة ، هذا واللهِ أرقٌّ مِن شِعري !



● **السؤال :** لمن هذان البيتان وما المناسبة :

وقُولا لِقَلْبٍ قد سَلاَ راجِـعِ الهوى
وللْعَينِ أذري من دُموعِكِ أو دَعي

فلا عَيْش إلاّ مِثلُ عيشٍ مضى لنا
مَصيفٌ أقمنا فيه مِن بَعْدِ مَربَـعِ

عثمان جاخو
باريس — فرنسا

*

كثير عزة

● **الجواب :** هذان البيتان للشاعر كُثَيِّر عَزّة ، ذَكَرهما مع غيرِهما صاحبُ كتاب الأغاني في معرض الكلام على المغنين ، والأبياتُ هي :

خليلَيَّ عوجا ساعةً مِنكُما معي
على الرَّبْـعِ ، نَقْضِ حاجةً ونُوَدِّعِ

ولا تُعْجِلاني أنْ أُلِمَّ بِدِمْنَـــةٍ
لِعَزَّةَ لاحتْ لي بِبَيْداءَ بَلْقَـــعِ

وقولا لِقَلْبٍ قد سَلاَ : راجِعِ الهَوَى
ولِلْعَيْنِ : أذْري مِن دُموعِكِ أو دَعِي

فلا عَيْشَ إلاَّ مِثلُ عيشٍ مَضَى لنا
مَصيفاً ، أقَمْنا فيه مِن بَعْدِ مَرْبَعِ

وجَرَت حكايةُ هذه الأبيات مع مُغَنِّيَةٍ لرجلٍ من الأهْواز في جهات العراق . فقد كان المُغَنِّي المشهورُ مَعْبَدٌ قد علَّمَ جاريةً من الجواري الغناءَ تُدْعى « ظَبْيَة » ، وعُنِيَ بتخريجها حتى مَهرَت في الغناء وأخذَها رَجُلٌ من الأهواز كان يَطربُ لِغنائها ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده مُدَّةً من الزمان فكان لِأسَفِهِ وحزنِه عليها يسألُ دائماً عن أُستاذِها الأولِ الذي علَّمها الغِناء ويبحث عنه ليجتمعَ به . فبلغ مَعبداً أن الرجُلَ الأهوازي يَسألُ عنه ، فخَرج من مكة حتى أتى البصرة ، فوَجد أن الرجُلَ قد خَرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز ، في سفينة ، وأراد معبدٌ أن يلحقَ به ، فلم يجد سفينةً إلاّ سفينةَ الرجل ، وكان لا يعرف أحدُهما الآخر فسافرا معاً . ولمّا صاروا في فمِ نهر الأُبُلَّة أمر الرجلُ جواريَه فغنَّيْن ، ومَعبَدٌ ساكتٌ ، لم يُرِدْ أن يُبيِّنَ على نفسِه أنه أستاذ الغنـاء . فغنت إحدى الجواري من شعر النابغة الذبياني :

بانت سعادُ وأمسى حَبْلُها انْصَرَما
واحتلت الغَوْرَ والأَجراعَ مِن إضَما

فلم تُحسن الجاريةُ الغناء ، فصاح بها مَعبد وقال لها إن غناءَها غير مستقيم .

فغَضِب الرجلُ مولاها وقال لمعبد : وأنت ما يُدريك الغناءُ ما هو ؟ لِمَ لا تُمسِكُ وتلزَمُ شأنكَ ؟ فسكت مَعبد على مَضض . ثم غنَّت من شعر عبد الرَّحمٰن بن أبي بكر :

بأبنةِ الأزديِّ قلبي كَئِيبُ ... مُستهامٌ عندها ما يُنيبُ

ولقد لاموا فقلتُ دعوني ... إنّ مَن تَنْهَوْنَ عنه حبيبُ

إنّما أبْلَى عِظامي وجِسْمي ... حُبُّها ، والحُبّ شيءٌ عجيبُ

أيُّها العائبُ عندي هواها ... أنتَ تَفْدِي مَن أراك تَعيبُ

فأخلّت المغَنيةُ بالغناء فنَبَّهها مَعبدٌ ، فغَضِب الرجلُ وقال له : ألا تكفُّ عن هذا الفضول ؟ فسكت معبد . ثم غنّت من شعر كثير عزّة الأبيات التي ذكرناها . ثم إن مَعبداً لم يَصبر ، فاندفع يُغني ، فأعجب الجميعُ به ، وكشَف عن حقيقةِ نفسِه ، فاحترموه وعظّموه ، وأعطاه الأهوازيُّ مبلغاً من المال مع الهدايا ، وانحدر معه إلى الأهواز وبقي في ضيافته مدة ، ثم ارتحل عنه وعاد إلى الحجاز .



● **السؤال :** هذان البيتان قيلا في أبي جعفر المنصور قبل خلافته ، فمن القائل ، وما اسمُ أبي جعفر :

وإنّ أولى الموالي أن تُواسيَه عند السرور لَمَن واساكَ في الحزَنِ
إن الكرامَ إذا ما أيسروا ذَكروا مَن كان يَألَفهم في المَنْزِلِ الخشِنِ

قائد عبد الله ثابت الأصبحي
الشيخ عثمان – عدن – جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية

★

أبو تمام

● **الجواب :** اختلف كتّاب الأدب في نسبة هذين البيتين ، فابنُ خِلِّكان والمسعودي وياقوت في معجم الأدباء يقولون إنهما لابراهيم بن العباس الصولي ، ويقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء إنهما لِدِعْبِلِ الخزاعي،ورأيت في مختارات البارودي وفي كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبي أنهما لأبي تمام . ورواية البيتِ الأول على الأغلب هي كما يلي :

أوْلَى البَريّـــةِ طُرًّا أن تُواسِيَه
عند السرورِ الذي واساكَ في الحَزَنِ

والروايةُ لهذا البيت كما ذكرها السائلُ الكريم هي رواية الشعر والشعراء . وقد رأيتُ في قصيدةٍ لأبي تمـام يمدح بهـا أبا الحسن عليّ بنَ مُرّ يقول في آخرها :

والروايةُ لهذا البيت كما ذكرها السائلُ الكريم هي رواية الشعر والشعراء .
وقد رأيتُ في قصيدةٍ لأبي تمام يمدح بها أبا الحسن عليَّ بنَ مُرّ يقول في آخرها :

أولى البريةِ حقًّا أن تُراعِيَه
عند السرورِ الذي آساكَ في الحَزَنِ

إن الكرامَ إذا ما أسهلوا ذكروا
مَن كان يألفهم في المنزلِ الخشنِ

ولم أجِد إشارةً لهذين البيتين في كتاب الأغاني ، ولم أجِد أنهما قيلا في أبي جعفر المنصور ، وهو الخليفة العباسي واسمُه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس .

واشتهر بالكرم في الجاهلية ثلاثة رجال لا رابع لهم وهم كعب بن مامة الإيادي وهَرِم بن سنان المُرّي وحاتم الطائي. والكرماء في الإسلام كثيرون.
ورأيت في معجم الأدباء لياقوت عن الواقدي أنه قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا جميعاً كنفس واحدة . فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد ، فقالت امرأتي : أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطّعوا قلبي رحمةً لهم لأنهم يرون صِبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة . قال : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة ، فوجّه إلي كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألفَ درهم ، فما استقر قراري حتى كتب إلي الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صديقي الهاشمي . فوجّهت إليه الكيس بحاله ، وخرجت إلى المسجد وأقمت فيه ليلي مُستحيياً من امرأتي ، فلما دخلت عليها وأخبرتها بما فعلت استحسنت ذلك مني . وبينا أنا كذلك إذ دخل عليّ الهاشمي ومعه الكيس ، وقال : إني بعثت إليك بالكيس ولا أملك غيره ، وكتبت إلى صديقي أسأله التوسعة فبعث إليّ كيساً بخاتمي ، فجئت به إليك لأعرف منك واقعة الحال . قال الواقدي : فتقاسمنا الكيس أثلاثاً . ونمى الخبر إلى المأمون فدعاني وشرحتُ له الخبر . فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل منا ألفان ولزوجتي ألف دينار .

● **السؤال :** من القائل ولِمَن قيل :

كُنّا كَغُصْنَين في أصلٍ غِذاؤُهما — ماءُ الجداول في رَوْضاتِ جَنّاتِ

فأجتثَّ خيرَهما من جنبِ صاحِبه — دَهرٌ يكُرُّ بتَرْحاتٍ وفَرْحاتِ

حسن خليل ابو النور

أرقو – السودان



جارية

● **الجواب :** هذا بيتٌ من أبياتٍ لا يُعرَفُ قائلُها على ما أعلم ، وإنما تُنسَبُ إلى جاريةٍ أو فتاةٍ في بعض كتب الأدب بدون ذكر اسمٍ لها ، والحكايةُ أنّ رجلاً من تميم ضلّت له إبلٌ فخرج في طلبها فإذا هو بجاريةٍ كأنها قمرٌ تُعشي بَصرَ مَن ينظر إليها ، فلمّا رأته قالت : ما لكَ ؟ فقال : ضلّت لي إبلٌ فلم أعرف خبرها . فقالت : هل أدلّكَ على مَن عنده عِلمُهنّ ؟ قال : بلى . فقالت : إن الذي أعطاكهُنّ هو الذي أخذهن وهو أحقُّ برَدّهِنّ فسَله من طريق التيقّن ، لا مِن طريق الاختبار . فأعجبه كلامُها ، ووقف ينظر إليها . وقال لها : ألكِ بعلٌ ؟ قالت : قد كان ، ولكن دُعي

إلى ما خُلِق له فصار إلى ما خُلِقَ منه ، ثم أنشأت تقول :

إني وإن عرَضَت أشياءُ تُضْحِكُني ... لَموجعُ القَلْبِ مَطْويٌّ على الحَزَنِ
إذا دجا الليلُ أحياني تَذَكُّره ... وزادني الصبحُ أشجاناً على شَجَني
وكيف تَرْقُدُ عينٌ صار مُؤْنِسُها ... بين التراب وبين القبر والكَفَنِ
أبلى الثَّرَى وتُرابُ الأرضِ جِدَّته ... كأنّ صُورتَه الحسناءَ لم تَكُنِ
أبكي عليه حَنيناً حين أذْكُرُه ... حَنينَ والِهةٍ حَنَّت إلى وَطَنِ
أبكي على مَن حَنَت ظهري مُصيبَتُه ... وطَيَّرَ النومَ مِن عَيني وأرَّقَني
واللهِ لا أنْسَ حبّي الدهرَ ما سَجَعت ... حمامةٌ أو بكى طيرٌ على فَنَنِ

فقال لها التميميّ : هَل لكِ في زوجٍ لا تُذَمُّ خلائقُه وتؤمَنُ بوائقُه ؟ فأطرقت مَلِيًّا ثم أنشدت تقول :

كنا كَغُصْنَيْنِ في أصلٍ ، غِذاؤُهما ... ماءُ الجَداولِ في روضاتِ جَنّاتِ
فاجْتَثَّ خيرَهما مِن جَنبِ صاحِبه ... دَهْرٌ يَكُرّ بفَرحاتٍ وتَرْحاتِ
وكان عاهَدَني إنْ خانني زَمَني ... أنْ لا يُضاجِعَ أنثى بعد مَثْواتي
وكنتُ عاهَدْتُه أيضاً فعاجَلَه ... ريبُ المنونِ قريباً من سُنَيّاتِ
فاصرِف عِنانَك عَمّن ليس يَرْدَعُه ... عن الوَفاءِ خِلافٌ في التَّحِيّاتِ

والحكايةُ موجودة في كتاب تزيين الأسواق .

● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

يا رُبَّ قائلةٍ يوماً وقد تعبت أين الطريقُ إلى حَمّام مِنْجابِ

القاضي يحيى بن احمد
إب – الجمهورية اليمنية

*

حَمّام مِنْجاب

● **الجواب :** سُئِلتُ هذا السؤالَ غير مرّة ، ولم أقِف على اسمِ قائلِه ، وأشار إليه كتابُ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي وكتابُ عيون الأخبار لابن قُتيبة . ولكنهما لم يذكرا القائل . وعلى كلٍّ ، فإن الحمّام هذا منسوبٌ إلى مِنجابِ بنِ راشد الضبّي وهو رجلٌ من البصرة . ومن جملة مَن ذكروا الحكاية صاحبُ كتـاب الكشكول ، فهو يقول : احتُضِر بعضُ المُسرِفين ، وكان كلما قيل له وهو في آخرِ رَمقٍ من حياته : قُل : لا إلهَ إلاّ الله كان يقول هذا البيت :

يا رُبَّ قائلةٍ يوماً وقد تَعِبَتْ أينَ الطريقُ إلى حَمّامِ مِنْجابِ

وسببُ ذلك أن امرأةً عفيفةً حسناء خرجت يوماً إلى حمّام معروف بحمّام مِنجاب ، فلم تعرف طريقه وتعبت من المشي فرأت رجلا واقفاً على باب داره فسألته عن الحمام ، فقال هو هذا ، وأشار إلى باب داره. فلمّا دخلت أغلق الباب عليها ، فلما عرفت بمكرِه أظهرت له كالَ السرور والرغبة وقالت له : أُخرُج واشترِ لنا شيئاً من الطعام ثم عجّل بالعوْدِ إلينا ، فلما خرج وكان واثقاً بها وبرغبتها ، خرجت هي من الدار وتخلصت منه . فهذا الرجل هو الذي جرت معه هذه الحكاية ، وتذكُّره للحكاية كان يَمنعُه من الإقرارِ بالشهادة ، مع أنه لم يفعل حراماً وإنما هَمّ به .

ويقول الثعالبي في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب إن الحمّامَ منسوبٌ إلى امرأةٍ اسمُها مِنجاب ، وكان الحمّامُ في البصرة يُغِلّ عليها غلّةً كثيرة لأنه لم يكن حمّامٌ أحسنُ منه ، وكانت تأتيه وجوهُ الناس ، وفيه يقول بعضُهم :

يا رُبَّ قائلةٍ يوماً وقد تَعِبَت كيف الطريقُ إلى حَمّامِ مِنْجابِ

وكان في البصرة حمّامٌ آخرُ لامرأةٍ تُدعى طِيبَة فكسَد عليها فقال لها شاعر : ما الذي تجعلينَه لي إن حوّلتُ وجوه الناس عن حمّام مِنجاب إلى حمّامِك ، وتركتُ حمّام مِنجاب مهجوراً لا يُغشى ؟ قالت : ألفَ درهم . فقال الشاعر :

حَمّامُ طِيبةَ لا حَمّامُ مِنْجابِ حمّامُ طيبَةَ سُخْنٌ واسِعُ البابِ

فترَك الناسُ حمّامَ منجاب ، وأقبلوا على حمّامِ طيبة . وحمّامُ بَدران في بغداد كحَمّامِ مِنجاب في البصرة مِن حيث الشهرة .

ولابن سُكرةَ ذَمٌ لحمّامٍ اسمُه حمّامُ ابنِ موسى ، ويقول فيه :

إليكَ أذُمّ حمامَ ابنِ موسى ... وإن فاق المُنَى طِيباً وحَرّا

تكاثَرَت اللُّصوصُ عليه حتى ... لَيَحْفى مَن يُطيف به ويَعْرَى

ولم أفْقِدْ به ثوباً ولكن ... دَخَلْتُ محمداً وخَرَجتُ بِشْرا

وبِشْرٌ هذا هو بِشرٌ الحافي الزاهد المشهور. وكان الحمّام جزءاً من الثقافةِ العامةِ في البلاد الإسلامية، وكانت المدنُ في ذلك العصر تشتهر بحمّاماتها.

ورأيت في شرح الشريشي لمقامات الحريري أن أعرابياً وفد على ابن عمٍّ له في البصرة، فلما رأى البصري شَعَثَ الأعرابي أراد أن ينظفه فقال له يوم جمعة: إن الناس يتطهرون للجمعة ويتنظفون ويلبسون أحسن الملابس، فتعال دخلك الحمام لتتنظف من قشف السفر والبادية وتتطهر للصلاة. فدخل معه الحمام. فعندما وطىء الأعرابي أرض الحمام لم يحسن المشي عليها لشدة ملاستها فزلق وسقط لوجهه ووقعت جبهته على حرف مدخل الحمام فشجه شجة منكرة فخرج مرعوباً ودمه يسيل ويقول:

وقالوا تَطَهَّرْ إنه يوم جمعةٍ ... فأُبتُ من الحمّام غيرَ مُطَهَّر

تزوّدتُ منه شجةً فوق حاجبي ... بغير جهادٍ بئس ما كان متجري

تقول ليَ الأعراب حين رأينني ... به لا بظبي في الصريمة أعفر

وما تعرف الأعراب مشياً بارضها ... فكيف ببيت ذي رخامٍ ومرمر

● **السؤال :** من قائل البيت التالي وما المناسبة :

أراني – ولا كُفران لله – راجعاً ... بخُفَّيْ حنينٍ من نَوالِ ابنِ حاتِمِ

فخر صالح قَدّارة

طولكرم – (ومقيم في الطائف) المملكة العربية السعودية

★

ربيعة الرقي

● **الجواب :** هذا البيت للشاعر ربيعةَ الرّقيّ في يزيد بن حاتم وكان ربيعة قد قال قصيدةً يمدح بها يزيدَ بنَ حاتمِ بنِ قَبيصةَ بنِ المُهَلَّب الأزْدي ويَذُمّ يَزيدَ بنُ أُسَيد السُّلَمي القيسي ومطلع القصيدة كما في الأغاني:

حَلَفْتُ يَميناً غيرَ ذي مَثْنَوِيَّةٍ ... يمينَ امرىءٍ آلى بها غيرَ آثِمِ

لَشَتّانَ ما بين اليَزيدَيْنِ في الندى ... يزيدِ سُلَيْمٍ والأَغَرِّ ابنِ حاتِمِ

فَهَمُّ الفتى الأَزْدِيِّ إتلافُ ماله ... وهَمُّ الفتى القَيْسيِّ جَمعُ الدراهِمِ

والقصيدة طويلة .

فقال له رجلٌ : يا أبا أسامة : ما حمَلَكَ على أنْ هَجوْتَ رجلا من قومكَ وفضّلتَ عليه رجلا من الأزد ؟ فقال ربيعة : أملَقْتُ فلم يَبقَ لي إلاّ داري فرَهَنتُها على خمسمئةِ درهم ، ورحلتُ إلى يزيدَ بن أُسَيد إلى أرمينية فأعلمتُه بمكاني ومدحتُه ، وأقمتُ عنده حولاً ، فوهب لي خمسمئة درهم ، فتحمّلْت وصِرْتُ بها إلى مَنزلي فلم يبقَ معي كبيرُ شيء فنزلتُ في إحدى الدور ، وقلتُ لو أتيتُ يزيدَ بنَ حاتم ، ثم قلتُ : هذا ابنُ عمي فعل بي هذا الفعل فكيف بغيره ؟ ثم حمَلتُ نفسيَ على أن آتِيَه ؛ فأعْلِم بمكاني فتركني أشهراً حتى ضَجِرْت . وكتبت رُقعةً فيها هذا البيت :

أراني – ولا كُفرانَ لله – راجعاً ... بخُفَّيْ حُنين ٍ من يَزيدَ بن ِ حاتِم ِ

فوقعت الرُقعةُ في يد حاجبه فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري ، فبعث خلفي ، فلمّا دخلتُ عليه قال : هيهِ ، أنشِدني ما قلتَ ! فتَمَنَّعْت ، فقال : والله لتُنشِدَنّي . فأنشدتُ . فقال : واللهِ ، لا تَرْجِعُ كذلك . ثم قال : إنزعوا خُفَّيْه . فنُزِعا ، فحشاهما دنانير ، وأمَرَ لي بغِلمانٍ وجوار ٍ وكِساء فقلتُ للرجل : ألا تَرَى لي أن أمْدَحَ هذا وأهْجوَ ذاك ؟ قال الرجل : بَلى والله .



● **السؤال :** من القائل وما المناسبة وما المعنى :

لي صاحبٌ ذو بَهجة قد قابلت   بَطناً بظهر واستحلّت جُرمَها

كالشمس منها البدرُ يَقبِس نورَه   أبداً ويكسِف بعد ذلك جِرمَها

الحاكمي محمد
سيدي قاسم – المغرب

★

قَسْمونة بنت اسماعيل

● **الجواب :** وجدت في كتاب نفح الطيب أنه كان في الأندلس شاعرةٌ يهودية اسمُها قَسمونة بنت اسماعيل وكان أبوها شاعراً ، واعتنى بتأديبها ، وربما صَنَع من الموشحة قسماً فأتمتها هي بالقسم الآخر . وقال لها يوماً أبوها : أجيزي :

لي صاحِبٌ ذو مُهجةٍ قد قابَلت   نُعمَى بِظُلمٍ واستحلّت جُرمَها

ففكّرت قليلاً ثم قالت مُجيزة :

كالشّمس منها البَدْرُ يَقبِس نُورَه   أبداً ويَكْسِف بعد ذلك جِرمَها

فقام أبوها كالمُختَبَل وضمَّها إلى صدره ، وجعل يُقبِّل رأسَها ويقول : أنت ، والعشرِ كلمات ، أشعرُ مني .

وذكر صاحبُ نفح الطيب لها أبياتاً منها قولُها وقد نظرت في المرآة ورأت جمالَ وجهها :

أرَى روضةً قد حان منها قِطافُها ولستُ أرى جانٍ يَمُدُّ لها يدا

فوا أسفا يمضي الشبابُ مُضيَّعاً ويَبْقَى الذي ما إن أسَمِّيه مُفرَدا

وفي رواية البيت الأول نظر لأنّ قولها : ولستُ أرى جانٍ ، لا يصح في اللغة لأنه يجب أن يكون : ولستُ أرى جانياً يَمُدّ لها يداً ، ولذلك كانت الرواية الصحيحة هي :

أرى روضةً قد حان منها قِطافها ومَن لي بجانٍ أن يَمُدَّ لها يدا

أما معنى بيت أبيهـــا اسماعيل من جهـة وبيت ابنته قسمونة من جهةٍ أخرى فهو أن اسماعيل يقول إن هذا الصاحبَ يجزي عن الخير بالشرّ ، فهو يقابل الإحسان باساءة ويُصرُّ على ذلك ، ويَعدُّه حلالاً ، وتقول قسمونة إن مثلَ هذا الصاحبِ مَثَلُ البدر ، فإن البدرَ يأخذ نورَه من الشمس ، ولكنه يكسفُها حينما يعترض في فلكه بينها وبين الأرض ، فكأنه بذلك يقابل الحسنى بالسُّوأى ، مثلَ ذلك الصاحب . وفي هذا المعنى أشعارٌ كثيرة نتركها الآن إلى مناسبتها في المستقبل .



● **السؤال :** من القائل وفي أي مناسبة :

فقالوا أمجنونٌ فقلت مُوَسْوَسٌ أطوفُ بظهر البيد قَفراً إلى قفر

جمال سعيد باخشوين

جدة – المملكة العربية السعودية

★

مجنون ليلى

● **الجواب :** هـذا البيت منسوبٌ إلى مجنون ليلى قيس بنِ الملوّح في ديوانٍ له من قصيدة طويلة مَطلعها :

أقولُ لِأَصحابي وقـد طَلَبوا الصَّلَى
تَعالُوا اَصطَلوا إن خِفتُمُ القرَّ مِن صدري

وكلمة « تـَعالـُوا » حقـُّها أن تكون « تعالـَوْا » بحسب قواعد اللغـة ولكنهم تسامحوا في كلمتين من هذا الفعل فأجازوا «تعالـُوا» بدلاً من «تعالـَوْا» و « تعالي » للمؤنثة المفردة بدلاً من « تعالـَيْ » وعلى هذا قرأ الحسنُ البصري : « قـُلْ يا أهلَ الكتاب تـَعالـُوا » . وفي القصيدةِ هذه بيتٌ آخر بعد البيت

الأول فيه « تعالوا » ، فهو يقول :

فقالوا نُريد المـــاءَ نَسْقي و نَسْتَقي

فقلْت : تعالَوْا فـاَسْتَقوا الماءَ مِن نهري

ويلاحظ هنا أن القصيدة تبدأ بمحاورة بين قيس وجماعة نزلوا منزلاً لم يجدوا فيه لإبلِهم ماءً ، ولمّا أصبحوا لم يجدوا إلاّ ناراً كلما التهبت أطفأتها الريح والمطر ، فقال قيس هذه القصيدة يصف حال الجماعة ، وأخذ يصف ليلى وصفاً يفوق الحد فعجِبوا منه :

فقالوا أمَجْنونٌ ؟ فَقُلْتُ مُوَسْوَسٌ أَطوفُ بظهر البيد قَفراً إلى قَفرِ

فلا مَلِكُ الموتِ المُريحِ يُريحُني ولا أنا ذو عيشٍ ولا أنا ذو صبرِ

ثم يأخذ قيس بالتأوُّه والتوجع ، فيقول :

وصاحت بوَشْكِ البَيْن منها حمامةٌ تَغَنَّت بليلٍ في ذُرا ناعمٍ نَضْرِ

على دَوحةٍ يَسْتَنُّ تحت أصولِها نَواقِعُ ماءٍ مَدَّهُ رَضَفُ الصخرِ

إلى آخرِه .

* * * *



فهرس الموضوعات



فهرس السائلين وأماكنهم

ص

ص

- ع -

ص

– ف –

– ق –

– ل –

ص